حالة التصهين العربي

واقع الانتهاك ومآلات التغيير

دراسة فكرية شرعية



إعداد

وحدة البحوث والدراسات في منتدى العلماء

حالة التصهين العربي

واقع الانتهاك ومآلات التغيير

دراسة فكرية شرعية

msf.online.manager@gmail.com

msf-online.com

muntada.ulama.2015

muntadaalulama

https://t.me/MuntadaAlulama

youtube.com/MuntadaAlulama

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

حالة التصهين العربي

واقع الانتهاك ومآلات التغيير

دراسة فكرية شرعية

إعداد

أ. سهام داوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي أعطى فكفى، ووعد فوفى، والصلاة والسلام على المرسل رحمةً للعالمين، سيّدنا وحبيبنا المصطفى الأمين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنّ القضية الفلسطينية قضية كلّ العصور، تتجدّد معنا صفحات الطمع فيها، والاعتداء على شعبها، والتخطيط للاستيلاء عليها مادامت الصهيونية قائمة بين ظهرانينا، ومادام في العالم من يساندها، ويدعّمها من الشرق والغرب، بل ومادام فينا من يناصرها، ويعلن الولاء لها من (المتصهينين العرب) الذين يسعون لإطفاء جذوة الغضب العربي كلّما تأجّج، وجعل الكيان الصهيوني دولة معترفا بها، وطرفا تُعقد معه الصفقات، وقبلةً تُشدّ إليها الرّحلات.

وإنّ الرافد الأساسي لهذا التوجّه المخزي في طريق التنازلات، والتمكين للعدو الغاصب للأرض، والسكوت على انتهاكه للشرف والعرض هو الهوان، والغُثائية التي حذّر منها الرسول ﷺ في قوله: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأممُ كما تتداعى الأكلةُ إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلّةٍ نحن يومئذٍ، قال بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنّكم غثاءٌ كغثاءِ السّيلِ، ولينزعنّ اللهُ من صدورِ عدوّكم المهابةَ منكم، وليقذفنّ اللهُ في قلوبِكم الوهنَ، قال قائلٌ: يا رسولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدنيا،**

وكراهيةُ الموتِ»[1]، فما هان المسلمون على أعدائهم إلا بعد هوانِهم على أنفسِهم، وسعيِهم خلف المصالحِ الضيّقةِ على حسابِ القضايا المصيريةِ التي ترهن واقعَ الأمّةِ، وتحدّدُ مستقبلَها، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[2].

هؤلاء هم المستسلمون، والمطبّعون، والمتصهينون المتخاذلون عن النصرةِ، والمبرّرون لكلّ تجاوزاتِ اليهودِ في حقِّ إخوانهم تزلُّفاً وانزياحًا، وإسهاماً منّا في تعرية هذا التيار الجارف، ارتأينا الخوض في غمار البحث في ظاهرة (التصهين) من مختلف جوانبها، وعبر المؤكّد من مظاهرها، والمتوقّعِ من مآلاتِها، مع التفصيل في سبل مقاومتها، فكان موضوع بحثنا: (**حالة التصهين العربي.. واقع الانتهاك ومآلات التغيير -دراسة فكرية شرعية-**).

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

يكتسي هذا الموضوع أهميةً خاصّةً لتعلّقه بقضية المسلمين جميعا على مرّ العصور، ولتجدّده مع كلِّ خطوةٍ وقرارٍ يصدر عن الصهاينة، ويصفّقُ له المتصهينون من أشياعِهم، وتعود هذه الأهميةُ بالدرجةِ الأولى إلى:

* الوضع الخطير للأمة، والتخلي الواضح عن قضية فلسطين.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، ٤/ ١٠٨، برقم ٤٢٩٧، والروياني في مسنده (٢٥/ ١٣٤) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عنه، ورجاله ثقات غير أبي عبد السلام فهو مجهول، لكنه لم يتفرّد به، بل توبع، والحديث صحيح بذلك، صححه الألباني.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

* الدور التاريخي الخطير الذي يلعبه تيار «التصهين» في تمكين اليهود من فلسطين، ووضع أيديهم على مقدّساتها.

* التذكيرُ بالواجب المنوط بالغيورين على ثوابت الأمّة، ومقدّساتها إزاء هذا التيار الجارف لضعاف النفوسِ، ومرضى القلوب.

أهداف البحث وفرضياته :

نتطلع من خلال هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- الوقوف على جذور ظاهرة «التصهين»، والأسباب التي قادت إلى خروج رموزها إلى العلن.
- رصد مسيرة «التصهين العربي»، مع إبراز الشخصيات السّياسية والقومية التي تقود قافلتها.
- دحضُ الشبهات التي تقوم عليها حجج المتأثّرين بالصهيونية العالمية.
- إضافةُ ما نعتبره الحلقةَ المفقودةَ في الدراساتِ المتعلّقةِ بالصهيونيةِ، وهو جانبُ الولاءِ الفكري والسّياسي من بعضِ العرب.

وقد انطلقنا من فرضياتٍ وتساؤلاتٍ في رصدِ الظاهرةِ على النحوِ الآتي:

- مادام رجالُ الصهيونية ورموزُها من اليهود، فهل انحصرَ الالتفافُ حولها فيهم، أم تعدّاهم إلى من لا يدينون باليهودية؟.

- ما حقيقة «التصهين العربي»، وما دواعي هذا التوجّه بين العرب؟.
- ما هي الشبهات التي يرفعُها الصهاينةُ؟، ومن يسيرُ في فلكِهم من المتصهينين العربِ لإثباتِ مبادئِهم وأفكارِهم؟، وتسويغِ انتهاكاتِهم على أرضِ فلسطين؟.
- التيارُ العربيُّ «المتصهين» من الخطورةِ بمكانٍ، حيث يبرزُ تأثيره على عدّة أصعدةٍ، على رأسِها الجانبُ السّياسي والعسكري والأخلاقي، فما حدودُ هذا التأثير؟.

خطة البحث :

وتخدمنا للردّ على هذه التساؤلاتِ، وتثبيتِ الفرضيّاتِ الخطّةُ الآتيةُ:

التمهيد: ونقدّم فيه بين يدي الدّراسةِ معلوماتٍ حول جذورِ الحركةِ الصهيونيةِ، وعلاقتِها بالدّيانةِ اليهوديةِ، وبالمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، وما قادت إليه هذه الحركةُ الغاصبةُ من مجازرَ في حقِّ الشعبِ الفلسطيني، إلى جانب ما تسعى لتحقيقِه من مخططاتٍ مستقبليةٍ.

الباب الأول: **حالة التصهين العربي**، **مفهومها**، **مراحلها ووسائلها**

وتندرجُ ضمنه الفصولُ الآتية:

الفصل الأول: المراد بالتصهين، وشبكة المفاهيم المتعلقة به.

الفصل الثاني: مسيرة التصهين العربي ومظاهرها.

الفصل الثالث: مراحل تطور التصهين العربي وأهم شخصياته.

الفصل الرابع: وسائل صهينة العرب.

الباب الثاني: شبهات دعاة التصهين العربي والردّ عليها

وفرّعناها كالآتي:

الفصل الأول: الشبهات الدينية.

الفصل الثاني: الشبهات السياسية والاقتصادية.

الفصل الثالث: الشبهات القانونية.

الفصل الرابع: الشبهات الاجتماعية.

الباب الثالث: مآلات التصهين العربي

ونرصدُ منها:

الفصل الأول: المآلات السياسية والاقتصادية.

الفصل الثاني: المآلات العسكرية.

الفصل الثالث: المآلات الاجتماعية.

الباب الرابع: مقاومة التصهين العربي

وتكون عبر:

الفصل الأول: المناعة الدينية والأخلاقية.

الفصل الثاني: المناعة الفكرية والوعي الجماهيري.

الفصل الثالث: المناعة السياسية والاقتصادية.

الفصل الرابع: المناعة التعليمية والإعلامية.

الفصل الخامس: الإفادة من القوى والجماعات المضادة للصهيونية.

الخاتمة

تتضمّن نتائجَ الدراسةِ، والتوصياتِ المطروحة من أجلِ تحقيقِ الاستمرارية في البحث في الموضوع.

الدراسات السابقة:

مكتبتُنا العربية ثريّةٌ بالمؤلّفاتِ المتعلقة باليهودية، والصهيونية، والقضية الفلسطينية، وعلى رأسِها مؤلفات الدكتور عبدالوهاب المسيري -رحمه الله-، حيث ترك موسوعة لليهود واليهودية والصهيونية، وعدّة مؤلفات متعلّقة بطبيعة الكيان الصهيوني، والأيديولوجية الصهيونية، ومسار العنف الصهيوني، غير أنّ هذه المؤلفات غالبا ما تتتبّع مسار الصهيونية العالمية، وتعرض بإسهابٍ أفكارَها ومخطّطاتها، وإذا ما توسّعتْ فإنها تدرسُ الصهيونيةَ المسيحيةَ، للعلاقةِ الوطيدةِ بين الديانتين اليهودية والنصرانية في مذهبها البروتستانتي على وجه الخصوصِ من عقيدةِ عودةِ المسيح، واستقرارِه بأرضِ المقدس، وقيام معركة آخر الزّمان.

وإنّ المعلومات المتعلّقة بالتصهين العربي إنما ترد عرضًا في بعضِ هذه المؤلّفاتِ في سياقِ الحديثِ عن التنازلاتِ العربيةِ السرّية والمعلنةِ، لضيقِ

أفقِ بعض الزّعماءِ والمفكّرين، وسعيِهم وراء مصالحِهم الخاصّة على حسابِ قضايا الأمّةِ، إلى جانب بعض المقالاتِ المنددّةِ بالواقعِ العربي، والكاشفةِ لأسرارِ الفضائحِ المسجّلةِ من طرفِ «المتصهينين» العرب، والوثائقِ المتناولةِ لبنود الاتفاقياتِ والمعاهداتِ المتغنّيةِ بالسّلامِ، وهي في مجملها ممّا استعنّا به في هذه الدراسةِ.

ويقترب من موضوع بحثنا كتابُ (أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة) للدكتور (نواف هايل تكروري)، وقد تقدّم به لنيل شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، وحرص على تحديد شروط وضوابط التعامل مع اليهود، ومن هو على شاكلتهم من الأعداء، وجاءت مادة الكتاب في باب تمهيدي، وثلاثةِ أبواب أساسيةٍ بيّن في أوّلها أصلَ العلاقةِ بين المسلمين وغيرِهم، وواجبَهم تجاه فلسطين، وفي الثاني: حكمَ الصُّلح مع اليهود، وأثر الاتفاقات المبرمةِ معهم في حفظِ دمائهم وأموالهم، وفي الثالث: أحكام التعامل السياسي مع الكيان الصهيوني، أما الخاتمة فقد ضمّنها أبرز نتائج البحث، وقد خدمتنا هذه الدراسة في بعض نواحي بحثنا المتعلِّقة بدحض الشبهات الدينية، والمقاومة المطلوبة في جانبها الديني والأخلاقي تحقيقا للمناعة من الانزلاق وراء دعواتِ التطبيع والاستسلام.

واستفدنا كذلك من موسوعة «التطبيع والمطبعون: العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٧٩-٢٠١١)» التي فصّل فيها صاحبُها الدكتور (رفعت سيّد أحمد) ومن عمل معه من الباحثين جوانب التطبيعِ المختلفةِ: السياسية،

والاقتصادية، والعسكرية، والاجتماعية، والدينية بالشواهد، والوقائع الممتدّةِ إلى فترةٍ قريبةٍ.

ولم نهمل ونحن ننجزُ البحثَ تتبّعَ الوقائعَ الحاليةِ، والفضائح السرّية والعلنيةِ، والتصريحاتِ المخزيةِ التي تتسارعُ وسائلُ الإعلام لنشرها في حينها، حيث دعّمنا بها فصول الدراسةِ على سبيلِ التدليلِ والتمثيلِ، ومهما كان منّا من جهدٍ في هذه الدراسة فهو أمام الظاهرة المستفحلةِ قليلٌ، سدّدنا فيه وقاربنا، سعيا للمعالجةِ الكفيلة بتسمية الأمور بمسمّياتها، ووضعِ الأحداثِ في سياقِها، وإيقاظِ الأمّة من غفوتها وغفلتها.

***

تمهيد :

لا تخفى خطورة التيار «المتصهين» بين العرب في صميم الأزمة التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط، وفي غمار توجيه قاطرةِ المسلمين بما تمليه القراراتُ والمواقفُ، فإمّا إلى التمكين، أو إلى العمالة التي تستهدفُ وحدة الأمّة، واستقرارَها.. وقبل الاسترسال في الحديث عن هذا التيّار المتغلغل في جسد الأمة، عبر دواليب الحكم، ومواقعِ اتخاذ القرار، ومنابرِ الإعلامِ، ، يجدرُ بنا الوقوفُ مع الصهيونيةِ في جذورِها، وأفكارِها، وامتداداتِها، وعلاقاتِها، ومكرِها الذي لا يتوقّفُ بأمّةِ الإسلامِ، مع إماطة اللثامِ عن مخططاتِها المستقبليةِ في المنطقةِ، وفي العالمِ بأسرِه، فالموضوعُ يحتاجُ منّا شيئا من استقراءِ التاريخِ بالوقوفِ على دفين الأحقادِ، وقراءةَ الحاضرِ بما يدلّلُ على درجةِ الانزلاقِ في هاويةِ الاستسلامِ، والتبصُّرَ في المستقبلِ الذي يحملُ عواقبَ وخيمة لما يُخطّط لهذه الأمّة، وما يطبعُ على زعمائِها ورموزِها من غفلة، وتمادٍ في التسليم.

الصهيونية جذور وأهداف :

تشير كلمة (صهيون) في التراث الديني اليهودي إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرضِ المقدسّة ككل، «والعودةُ إلى صهيون فكرة محورية في النسقِ الديني اليهودي، إذ أنّ أتباع هذه العقيدة يؤمنون بأنّ (الماشيح) المخلّص سيأتي في آخر الأيامِ ليقود شعبَه إلى صهيون الأرضِ، ويحكمَ العالمَ فيسودُ العدلُ والرخاءُ، .. ويطلقُ مصطلح «الصهيونية» أيضا على نظرةٍ محدّدةٍ لليهودِ ظهرت في أوربا، وخصوصًا في الأوساطِ البروتستانتية في انجلترا

ابتداءً من القرنِ السادس عشر، وتنظرُ إلى اليهودِ باعتبارهم شعبًا عضويا مختارا، وطنُه المقدس في فلسطين، ولذا ينبغي أن يُهجّر إليه»[١].

ولقد بدأت النزعات الصهيونية تظهر بين اليهود أواخر القرن التاسع عشر، حيث قال المفكر اليهودي النمساوي (نيثان بيرناوم) في أبريل ١٨٩٠م في مجلة (الانعتاق الذاتي) «إنّ الصهيونية هي إقامة منظمة تضمُّ الحزبَ القومي السياسي، بالإضافة إلى الحزبِ ذي التوجه العملي (أحباء صهيون) الموجود حاليا».

وأُقرّت التّسميةُ في المؤتمر الصهيوني الأول في «بازل» بسويسرا شهر أغسطس ١٨٩٧م، وكان مزمعا عقده في (ميونيخ) بألمانيا لكن المعارضة الشديدة للتجمع اليهودي والحاخامية اليهودية حالت دون ذلك، وكان برئاسة (تيودور هيرتزل)[٢] الذي حدّد هدف المؤتمر في وضع حجر الأساسِ لوطن قومي لليهود، مؤكدا أنّ المسألة اليهوديةَ لا يمكن حلُّها من خلال التوطين البطيء، بل باعترافٍ دولي، وتحرُّكٍ قانوني، وقد حدّد المؤتمرُ ثلاثةَ أساليب مترابطةٍ لتحقيقِ الهدف الصهيوني، هي[٣]:

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ٦/ ١٤.

(٢) تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤)، صحفي يهودي نمساوي مجري، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة، ولد في بودابست، وتوفي في إدلاخ بالنمسا، ترأّس المؤتمرات الصهيونية العالمية السنوية، وبث من خلالها أفكاره، ومخططاته لإنشاء وطن قومي لليهود، واشتهر بعلمانيته، وعدم تمسكه بالدين اليهودي، وله كتاب يقدسه الصهاينة بعنوان (دولة اليهود). (المصدر: Alex، Bein. (Theodor Herzl: A Biography of the Founder of the Modern Zionism

(٣) يُنظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٦/ ٨-١٢.

- تنمية استيطان فلسطين بالعمّال الزراعيين.
- تنمية وتقوية الوعي القومي اليهودي، والثقافة اليهودية.
- اتّخاذ إجراءاتٍ تمهيديةٍ للحصولِ على الموافقة الدولية على تنفيذِ المشروع الصهيوني.

وكرّس المحاضرون في هذا المؤتمر مبدأ كون القومية والعرق والشعب شيء واحد، وهو تفصيل يزيح الاعتبار الديني.

وعُقد المؤتمر الثاني أيضا في «بازل» في أغسطس ١٨٩٨م برئاسة (هيرتزل) الذي ركّز هذه المرّة على تنميةِ النزعةِ الصهيونيةِ لدى اليهود، بعد إعلانِ معظم قياداتِ الجماعاتِ اليهوديةِ في أوربا الغربية معارضتَها للحلِّ الصهيوني للمسألةِ اليهودية، وركّز المؤتمرُ لاستمالةِ المعارضين على ظاهرةِ معاداةِ اليهود، والزّعمِ بتعرُّض اليهودِ في مختلفِ تجمُّعاتهم لويلاتِها، كما جنحت قيادةُ المؤتمر إلى تأجيجِ روح التعصُّب الجماعي، والتضامن مع المستوطنين اليهود في فلسطين لما يتعرضون له من تضييقٍ حسب زعمهم، ولهذا الغرض تم انتخابُ لجنة خاصةٍ للإشرافِ على تأسيس مصرف يهودي لتمويل مشاريع الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

ثمّ عُقد المؤتمر الثالث في المكان نفسه في أغسطس ١٨٩٩م، وعُرِضَ فيه تقريرٌ عن نتائج الاتصالاتِ مع القيصرِ الألماني في اسطنبول وفلسطين، وهي الاتصالاتُ التي عرض فيها خدماتِ الحركة الصهيونية الاقتصادية والسياسية على الإمبريالية الألمانية الصاعدة في ذلك الوقت مقابل أن يتبنى

الامبراطور المشروع الصهيوني، وطالب المؤتمر بتأسيس المصرف اليهودي تحت اسم (صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار) لتمويل الأنشطة الاستيطانية الصهيونية، وتوفير الدعم المالي للحركة الصهيونية، كما ناقش قضية النشاط الثقافي اليهودي في العالم.

أما المؤتمر الرابع فعقد في لندن هذه المرّة في أغسطس ١٩٠٠م، لتعاظم مصالح بريطانيا في المنطقة، واستمالتها لصالحهم، وشهد هذا المؤتمرُ الذي حضره ما يزيد عن ٤٠٠ مندوبٍ احتدادَ النزاعِ بين التياراتِ الدينيةِ والعلمانيةِ، وبعد ذلك انتهجت نهجا ميدانيًا بتأسيسِ الصندوق القومي اليهودي عام ١٩٠١م، والبنك الأنجلو-فلسطيني عام ١٩٠٣م.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى ما كشف عنه (هرتزل) نفسُه في يومياته من أنه قد التقى السياسي المصري (مصطفى كامل باشا)[١]، وكان ذلك بعد فترة وجيزة من صدور كتاب هرتزل (دولة اليهود)[٢]، حيث دوّن عن يوم ٢٤ مارس ١٨٩٧م لقاءه بمصطفى كامل بجريدة (الصحافة الحرّة الجديدة) التي كان يعمل بها مسئولا عن القسم الأدبي، وكان (مصطفى كامل) آنذاك يجوب أوربا ملقيا المحاضرات المدعمة للقضية المصرية، ولكنه

---

(١) مصطفى كامل باشا (١٨٧٤-١٩٠٨)، زعيم سياسي، وكاتب مصري، أسّس الحزب الوطني، وجريدة اللواء، كان من المنادين بإنشاء الجامعة الإسلامية، ومن أكبر المناهضين للاستعمار، وكان من المنادين بالنهضة، وبعلاقة أوثق بالدولة العثمانية.

(٢) صدر هذا الكتاب سنة ١٨٩٦م، وعرض فيه حلّ مسألة اليهود في أوربا والعالم، واضعا خطة عمل للدولة المقترحة، وكان هذا الكتاب أساسا فكريا للحركة الصهيونية.

لم يكتب كلمةً واحدة عن هذا اللقاء، ولم يتعرض للمشروع الصهيوني الذي يكون (هرتزل) قد أراد استمالته إليه.

وكانت الدولة العثمانية الهدف الموالي لهرتزل بعد حصوله على التأييدِ الأوربي لفكرته الاستيطانية من بريطانيا وفرنسا وألمانيا، ففكّر في استمالة السلطان (عبد الحميد الثاني)[1] عبر إغرائه بالمال، مغتنماً فرصةَ الأوضاع المالية الصعبة فيها آنذاك، ومستعينا بالقوى المتحالفة معه للضغط عليه، وكانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام (هرتزل) كي يؤثّر على موقف السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) تجاه اليهود، حيث جاء في مذكراته: «علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا، مليونان منها ثمنا لفلسطين، والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيدا للتخلّص من البعثة الأوربية[2].. ومن ثمّ نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأيّ قروض جديدة يطلبها»[3].

وقام (هرتزل) بزيارة إلى القسطنطينية وذلك في حزيران عام ١٨٩٦م، ورافقه في هذه الزيارة صديقه (نيولنسكي)، الذي كانت له علاقة ودية مع

(١) هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، والسادسوالعشرون من سلاطين آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، تولى الحكم في ٣١أغسطس١٨٧٦م، وخُلع بانقلاب في٢٧أبريل ١٩٠٩م، فبقي رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته يوم ١٠فبراير١٩١٨م. (يُنظر: السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية لعلي الصلابي).

(٢) دخلت هذه البعثة إلى الدولة العثمانية بتفويض من الدول الأوربية الدائنة للإشراف على الأوضاع المالية ضمانا لديونها.

(٣) يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان، ص١٣٧.

السلطان عبد الحميد، ونتيجة لذلك فقد نقل (نيولنسكي) آراء (هرتزل) الى قصر يلدز، وقام السلطان (عبد الحميد) بإرسال رسالة عن طريقه إلى (هرتزل) جاء فيها: (أنصح صديقك هرتزل، أن لا يتّخذَ خطواتٍ جديدةٍ حول هذا الموضوع، لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدّسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت دولتي، من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً في جثتنا ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة).

وفي هذا الصدد يقول عبد الحميد في مذكراته: (ومن المناسب أن نقوم باستغلال الأراضي الخالية في الدولة، وهذا يعني من جانب آخر، أنه كان علينا أن ننهج إتباع سياسة تهجير خاصة، ولكننا لا نجد أن هجرة اليهود مناسبة، لأن غايتنا هي استيطان عناصر تنتمي الى دين أسلافنا وتقاليدنا حتى لا يستطيعوا من الهيمنة على زمام الأمور في الدولة)[١].

لقد كان السلطان عبدالحميد يرى أنه من الضروري عدم توطين اليهود في فلسطين، كي يحتفظَ العنصرُ العربي بتفوّقه الطبيعي. وفي هذا الصدد يقول: «ولكن لدينا عدد كافٍ من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقاً، علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين وإلا فإنّ اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملّكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير، ولذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم»[٢].

(١) مذكراتي السياسية، عبد الحميد الثاني، ص٢٢٥.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٧.

وقد عرض (هرتزل) عرضا مثيرا للجدل عام ١٩٠٣م بإقامةِ «إسرائيل» في أوغندا، وتقسيمِ الصهيونية إلى جناحين: صهيونيةٌ استيطانيةٌ في فلسطين بتجميع اليهود وتوطينهم فيها، وصهيونيةٌ تدعيميةٌ تهدفُ إلى تجنيدِ يهودِ العالم في أوطانِهم المختلفة لتحويلها إلى جماعاتِ ضغطٍ من أجلِ الاستيطانِ والمستوطنين، ويضمّ الفريقينِ إطارٌ تنظيميٌّ واحدٌ هو (المنظمة الصهيونية العالمية، الوكالة اليهودية)، وهذه التسميةُ المزدوجةُ تشيرُ إلى طبيعةِ الصهيونيةِ المزدوجة، فالقسم الأوّلُ من التسميةِ يشيرُ إلى الصهيونية التدعيمية في حين يشيرُ القسم الثاني إلى الصهيونيةِ الاستيطانية.

وتوالت المؤتمراتُ الصهيونيةُ بشكلٍ شبه سنويٍّ حتى بعد وفاة (هرتزل)، حيث تدرّجت القضايا المناقَشة فيها بما يعطي صورةً أدقّ وأوضح عن الدولة الإسرائيلية المنشودة، وبعد وعد (بلفور)، والاستقرار الغاصب للصهاينة في فلسطين، تم عقدُ أوّل مؤتمر صهيوني بالقدس سنة ١٩٥١م، وكان محور النقاش فيه العلاقة بين الدولة الصهيونية الناشئة، والحركة الصهيونية التي خلقتها متمثلة في «المنظمة الصهيونية العالمية»، وتحديد اختصاصات كل منهما تفاديا لتداخل المهام، تلته مؤتمرات سنوية تناقش باستمرار الوضع الجديد، وتطمع في المزيد من الامتيازات، والمكاسب في فلسطين وما حولها من الأراضي العربية.

وتقوم الصهيونيةُ على أسس رئيسية، منها:

الإيمان بالإله الواحد، وأنّ اليهودَ هم شعبه المختار، والمسيح سوف يرسله الربُّ لتخليص شعبه والإنسانية، بالإضافة إلى الإيمان بعودة اليهود

إلى وطنهم الأصلي[1].

ومن جانب آخر تنقسمُ الصهيونيةُ إلى: سياسية، ودينية، وثقافية، وعملية، فالصهيونية السياسية أطلقها (هرتزل) عام ١٨٩٧م، وجاء نعتها بالسياسية تمييزا لها عن غيرها، وتتميّز الصهيونية السياسية بالسعي للعودة إلى الأرض المقدّسة دون انتظار معجزةٍ، بينما الصهيونية الدينية تعتبر نفسها جماعة دينية، لذلك فهي لا تتوقع عودة إلى فلسطين، وتنبع فلسفة الصهيونية الثقافية أو الروحية من أولوية التراث الثقافي، والخلقي، واللغة العبرية، وترجع ضعف اليهود إلى تلاشي الوحدة، وتداعي التمسك بالقيم.

أمّا «الصهيونية العملية» التي اشتهرت كمصطلح في تاريخ الحركة الصهيونية فهي ترى أنّ النّشاط الديبلوماسي اللاهث وراء وعود وضماناتٍ دوليةٍ مضيعةٌ للوقت، لذلك عارضوا (هرتزل)، وحصروا جهودهم في تنمية المستعمرات داخل فلسطين، والعمل على زيادة الهجرة إليها.

ويتحدّث الكاتب الإسرائيلي (ابراهام يهوشاوا) عن الصهيونية بوصفها حركة إنقاذ عملية، ظهرت حلاً للمأزق اليهودي، معتقدا أنّ العملية قد وصلت إلى نهايتها، الطرحُ الذي يردهّ الدكتور (عبدالوهاب المسيري) بقوله: «ونحن نذهب إلى أنّ السّمة الأساسية للدولة الصهيونية أنّها تجمّع استيطاني إحلالي، يوظّف الديباجات اليهودية، وأنّ نقطة انطلاقه هي الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة المهوّدة، التي تذهب في نهاية الأمر، وفي التحليل الأخير

---

(١) يُنظر: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه غارودي، ص١٦ وما بعدها.

إلى أنّ اليهودَ شعبٌ عضويٌّ يعيشُ في الغربِ ولا ينتمي إليه، ولذا يجب أن يوطّن في أرضِ أجداده، أي فلسطين، التي يجب أن تفرغ ممن قد يتصادفُ وجوده فيها من البشرِ، وقد تُرجمت هذه الصيغةُ إلى الشعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»[1].

كذلك قال (العقاد) بعد عرض مختصر لجذور الصهيونية، وتحوّلها من النزعة السياسية ذات التعلّق الجغرافي إلى فكرةٍ لا تعلّقَ لها بالمكانِ، وتعرّضها لمناهضة المتديّنين من اليهود: «والواقع أنّ الصهيونية الحديثة كأختها القديمة: كلتاهما وليدة السياسة والسياسيين، أيّا كان السبب الذي تستند إليه، وجملة أسبابها هي الاضطهاد، وظهور الفكرة القومية، ومطامع الاستعمار»[2].

وعلى العموم فقد دخلت الصهيونيةُ بعد انتدابِ بريطانيا العظمى لإدارةِ فلسطين، وما تلاه من قراراتٍ على رأسها «وعد بلفور» في دور العمل السياسي النافذ، تحقيقا لحلم (هرتزل) الذي يقول: «إنّ فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يُنسى، وسوف يصبحُ هذا الاسمُ وحده صيحةَ الحشدِ الجبّارةِ لشعبِنا»[3]، في مقابلِ معارضةٍ شرسةٍ من بعضِ الحاخاماتِ الذين صرّحوا: «إننا نرفضُ رفضاً باتاً أيةَ مبادرةٍ ترمي إلى إنشاء دولةٍ يهوديةٍ، فأيةُ مبادرات من هذا القبيل تنمُّ عن فهم خاطئ لرسالة إسرائيل، والتي كان

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ٧/ ٣.

(٢) الصهيونية العالمية، ص١٤.

(٣) دولة اليهود، ص٢٠٩.

الأنبياءُ اليهود هم أوّل من بشّر بها.. إنّنا نؤكد أنّ هدف اليهودية ليس هدفا سياسياً، ولا قومياً، بل هو هدفٌ روحي»[1].

العلاقة بين الصهيونية واليهودية:

كان الهدف الاستراتيجي الأول للحركة الصهيونية دعوة الدولة العثمانية للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والاستقرار فيها، وقامت هذه الدعوة التي واجهها السلطان (عبدالحميد الثاني) بالرفض على مبدأ ديني.. وتزايدت المعارضة اليهودية للمشروع الصهيوني من قبل اليهود البارزين في شتى أنحاء العالم بحجّةِ إمكانيةِ تعايشِ اليهودِ مع غيرهم في المجتمعاتِ الغربيةِ التي يعيشون فيها، خاصّةً وأنّ الصهيونيةَ قد طرحت نفسها منذ نشأتِها على أنّها رؤيةٌ كاملةٌ وشاملةٌ للحياة اليهودية، والتاريخ اليهودي، والإنسان اليهودي، وكان مبدؤها الأساسي أنها حركة علمانية شاملة.

ولقد أظهر بعض زعماء الصهيونية عداءً واضحا لليهودية، حيث تعمّد (تيودور هرتزل) انتهاك الشعائر اليهودية الدينية عند زيارته للقدس، مؤكّدًا الرّؤيةَ اللاّدينيةَ للصهيونيةِ، ورأى البعض في كتابه (دولة اليهود) بديلا للتوراة في حياة اليهود[2]، ويجمل الدكتور (عبدالوهاب المسيري) هذه العلاقة في قوله: «رغم أنّ يهود إسرائيل لا يشكّلون إلا نسبة ضئيلة من يهود العالم لا تتجاوز الثلث بأية حال، فإنّ الحركة الصهيونية قد هيمنت على معظم

---

(١) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين، الكتاب السنوي السابع، ١٨٩٧م، ص١٢.

(٢) الأيديولوجية الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ١/ ١٦٧.

المؤسسات اليهودية في العالم، ومنها كثيرٌ من الجمعيات اليهودية الأرثوذكسية والإصلاحية التي يوجد بينها وبين الصهيونية تناقضٌ من ناحية العقيدة، فاليهودية الأرثوذكسية ترى أنّ اليهودَ شعبٌ بالمعنى الدّيني وحسب، وليس بالمعنى العرقي كما يتصوّرُ الصهاينةُ، أمّا اليهوديةُ الإصلاحيةُ فترى أنّ اليهودَ ليسوا شعباً أساساً، وإنما جماعة دينية يؤمن أفرادُها بالعقيدةِ نفسها، وقد أصبح من يرفضون الصهيونية بشكل علني وعقائدي أقلّية هامشية، لا يُعتدّ بها، ولا يُسمع لها صوتٌ»[1].

وعموما فالحركة الصهيونية، ممثلة في «دولة إسرائيل» تسعى للعب دور الهيمنة على يهود العالم، وترى في إعانتهم المادية، وتأييدهم السياسي ضرورةً، بينما يستهجن فيها اليهود ضعف العلاقة بالدين، وتغليب العلمانية في تسيير شئون الدولة، كما يعيبون عليها خدمةَ مصالحها الضيقة، وتغييبَ مصالح اليهود عبر العالم، وما تحث عليه من الهجرة إلى إسرائيل.

«إنّ المجتمع الإسرائيلي الصهيوني في فلسطين يحتوي على كثير من غير المتدينين، بل ومن الملحدين أيضا، فهم يهودٌ بالتسمية، وصهاينةٌ بالانتماء، وبعضهم لا يحملون من طقوس الديانةِ اليهودية ومعتقداتها ما يؤهلهم لأن يُعترف بهم كيهود من حاخاماتهم، فهرتزل الذي يسمى (نبي الصهيونية) كان علمانيا ملحدا، لا يتقيّد بتعاليم التوراة والتلمود»[2] ولكن على الرغم

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٦/ ٣٩٦.

(٢) سِفر التاريخ اليهودي: اليهود.. تاريخهم، عقائدهم، فرقهم.. الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية، رجا عبد الحميد عرابي، ص٣١٦.

من هذا الهروب من اليهودية، والرفض لها، فإنّ «الصهيونية» تتمسّح بها في سعيها لاكتساب الشرعية، وتجنيد الجماهير، ولعلّ التشخيص الأعمق للعلاقة يتجلّى في كون الصهيونية تقوم على استيراد ونقل مجموعة من العقائد والأفكار الدينية من مجالها الديني إلى المجال السياسي، وهو نقل للأفكار ينتج عنه في الممارسة عمليتا نقل ديموغرافي: نقل اليهود من المنفى إلى أرض الميعاد، ونقل العرب من أرض الميعاد إلى المنفى[1]، الأمر الذي ما فتئ رجال الدين اليهود يعارضونه، ويتبرؤون منه، ساعين إلى الدفاعِ عن اليهودية المستمدّة من تراث الأنبياءِ في مواجهةِ الصهيونية ذات الطابع القبلي[2]، لكن الواقع مع ذلك يشهد على رسوخ العصبية الدينية في تأسيس ما يسمى دولة إسرائيل، ولو لم يكن المؤسسون متمسكين بتعاليم اليهودية، حفاظا على الطابع الديني الذي صبغوها به، واستمالة للشتات اليهودي في العالم.

العلاقة بين الصهيونية والمحافظين الجدد:

قضية تسلّل الصهيونية العالمية إلى الأديان، والأفكار، والأحزاب والمراهنة عليها مما لا يحتاج إلى دليل وشاهد، وحسبنا في هذا المقام تناول التأثير الصهيوني في المسيحية من خلال ما يعرف بالمحافظين الجدد، وما أصبح يُطلقُ عليه «المسيحية الصهيونية»، حيث يُعرّف الباحث الدكتور يوسف الحسن «المسيحية الصهيونية» بأنها «مجموعة المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين مسيحيين، بخاصة بين قيادات وأتباع كنائس بروتستانتية، تهدف إلى

---

(١) يُنظر: الأيديولوجية الصهيونية، ١/ ٢٢٦.

(٢) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص٤٠.

تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقاً تاريخياً ودينياً لليهود، ودعمها بشكل مباشر وغير مباشر باعتبار أنّ عودة اليهود إلى الأرض الموعودة -فلسطين- هي برهانٌ على صدقِ التوراة، وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية، وحجر الزاوية في الدعم الشديد لهؤلاء المسيحيين لإسرائيل هو الصلة بين «دولة إسرائيل المعاصرة وإسرائيل التوراة، لذلك أُطلق على هذه الاتجاهات الصهيونية في الحركة الأصولية اسم الصهيونية المسيحية»[1].

وتعتقد (الصهيونية المسيحية) أنّ ثلاثَ إشارات يجب أن تسبق عودة مسيحهم:

١- **قيام إسرائيل:** وبالفعل قامت عام ١٩٤٨م، واحتفوا بذلك احتفاء كبيرا.

٢- **احتلال القدس:** ليمارس مسيحهم منها حكم العالم بعد قدومه الثاني المنتظر، ولذلك تؤيد الكنائس المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة جعل القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل.

٣- **بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى:** وهو مشروع يعملون عليه الآن.

ويكفينا أن نعرف أنّ ٦٠٪ تقريبا من الأمريكيين هم من البروتستانت، وأنّ ١٥٪ من قُسس البروتستانت الذين يمارسون الوعظ يوم الأحد في

(١) البعدالديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى–الإسرائيلي، ص٥٦.

الكنائس النصرانية من اليهود، وأنّ البروتستانت يستعملون في صلواتهم التوراة (العهد القديم)، وأنهم يؤمنون بفكرة أرض الميعاد، وإعادة بناء الهيكل، والوعد الإلهي لإسرائيل، وأنّهم -أي اليهود- وصلوا في الإطار الكاثوليكي أيضا إلى وثيقة التبرئة المشهورة: تبرئة اليهود من دم المسيح، وإبطال العقيدة والعبادة النصرانية في ذلك الموضوع لقرون طويلة»[١].

«إنّ دراسة أُسس ومبادئ الحركة الصهيونية المسيحية، وتتبّع مسيرتها التاريخية في الثقافات الغربية، وإدراك دورها المباشر في صناعة القرار السياسي في أوروبا، وبعد ذلك في الولايات المتحدة، تشكّل واجبا معرفيا بدونه يستحيل فهم العناصر المحرّكة للسياسةِ الأمريكيةِ، وللسياساتِ الأوربيةِ في الشرقِ الأوسط»[٢].

ولقد شكّلت القوى الاستعمارية الأوربية الرّاعي الرسمي للمشروع الصهيوني، بما وفّرته له من دعمٍ مادي ومعنوي، وكانت بريطانيا في طليعةِ الدُّول لداعمةِ لقيامِ هذا الكيانِ، لكن بعد التحوّلاتِ التي أسفرت عنها الحربُ العالميةُ الثانية سارع هذا الكيانُ للارتماءِ في أحضان الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ كمركزِ قوّةٍ جديد، وكان طبيعيا أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية أوّلَ دولةٍ تعترفُ بإسرائيل بعد دقائق من إعلان قيامها في ١٥ مايو ١٩٤٨، وعملت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تأييد مواقف إسرائيل وخاصة بعد حرب ٦٧ حيث أصبحت المورد الأساسي للسلاح لإسرائيل.

(١) يُنظر: الأصولية الإنجيلية: نشأتها وغايتها وطرق مقاومتها، صالح بن عبدالله الهذلول، ص٥.
(٢) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ص٥.

ومن يومها يُعتبر الدّعمُ الأمريكي أمراً حيويّاً وأساسيّاً للبقاء والاستمرار الصهيونيِّين، ففي الأساس أرسى الرئيس الأمريكي (وودرو ويلسون)[1] قاعدةَ الالتزام الأمريكي بالوطن القومي اليهودي من خلال التزامه بوعد (بلفور)، وأصبح هذا الالتزام من ثوابت كل الرّؤساء الذين جاؤوا بعده، ويعتقد السياسيون الأمريكيون المتصهينون أنّ المسيحَ يأخذ بأيديهم، وأنّهم يقودون معركة (هرمجدون) الفاصلة التي ستقع في منطقة الشرق الأوسط!!، ويصرّحُ كثيرون منهم بالسبب الديني لدعم إسرائيل، الأمر الذي سبق أن ردّده مثلا الرئيس الأمريكي (ليندون جونسون)[2]، قائلًا أمام جمعية «أبناء العهد»: «إنّني مستعد للدفاع عن إسرائيل تماماً كما يدافع جنودنا عن فيتنام. وإنّ بعضكم، إن لم يكن كلكم، لديكم روابط عميقة بأرض إسرائيل مثلي تمامًا، لأنّ إيماني المسيحي ينبع منكم، وقصص التوراة منقوشة في ذاكرتي، تماماً مثل قصص الكفاح البطولي ليهود العصر الحديث، من أجل الخلاص من القهر والاضطهاد»[3].

ويرى كثير من الباحثين أنّ عددًا من رؤساء الولايات المتحدة ينتمون عقائديًا وإيديولوجيًا إلى المسيحية الصهيونية، من بينهم: وودرو ويلسون

(١) توماس وودرو ويلسون (١٨٥٦-١٩٢٤)، سياسي وأكاديمي أمريكي، شغل منصب الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة من عام ١٩١٣ إلى ١٩٢١م.

(٢) ليندون جونسون (١٩٠٨-١٩٧٣) هو الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، شغل المنصب من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٩م، وهو ديمقراطي من ولاية تكساس.

(٣) يُنظر: الأصولية الإنجيلية، ص١٦ وما بعدها.

«١٩١٣- ١٩٢١»، هاري ترومان «١٩٤٥- ١٩٥٣» صاحب جريمة القنبلة النووية، دوايت أيزنهاور «١٩٥٣- ١٩٦١»، ليندون جونسون «١٩٦٣- ١٩٧٣»، ريتشارد نيكسون «١٩٦٩- ١٩٧٤»، جيمي كارتر «١٩٧٧- ١٩٨١»، رونالد ريجان «١٩٨١- ١٩٨٨»، وعائلة بوش (الأب والابن)، وكذلك وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جون كيرى، اليهودي الأصل، الذي كان يعدُّ المكافح الأوّل عن أمنِ إسرائيل خلال العشرين عاماً التي قضاها في مجلس الشيوخ الأمريكي.

ومن عوامل انتشار الصهيونية بين الغربيين اعتناقُ عدد كبير من المسيحيين العقيدة الصهيونية، بداية من حركة (لوثر) البروتستانتية التي ظهرت أواسط القرن السادس عشر الميلادي، «وكان من نتائج ذلك الاعتناقِ أن تسرّبت إلى المسيحية الجديدةِ الأدبياتُ اليهوديةُ ممثّلةً في ثلاثةِ أمور:

الأوّل: أنّ اليهود هم شعب الله المختار.

والثاني: أنّ هناك ميثاقا إلهيا يربطهم بالأرض المقدسة في فلسطين.

والثالث: ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح المنتظرة بتجمّع اليهود في فلسطين وبلوغ قوتهم مداها على أرضها.

وما إن انتهى ذلك القرن حتى بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تنادي بأن يغادر جميعُ اليهود أوربا إلى فلسطين، وهكذا تحوّلت نظرةُ هؤلاء إلى هذه البلاد بما فيها القدسُ من كونها أرض المسيح المقدّسة إلى كونها وطنًا

لليهود، لذلك لم يكن غريبا، ولن يبدو غريبا أبدا أن كان العامل الديني أساسا في تحديد موقف الغرب المسيحي، وبخاصة الأنجلو ساكسوني في دعم الصهاينة دعما غير محدود على العموم[1].

وقد بدأت الصهيونية ذات الديباجة المسيحية تتمتّع ببعثٍ جديد بعد إنشاء الدولة الصهيونية.. وبدأت الفكرة الاسترجاعية تنتشر بشكل كبير في الأوساط البروتستانتية المتطرفة في الولايات المتحدة، ومنهم رؤساء الولايات المتحدة مثل (كارتر) و(ريغان)، والتي تصرّ على أنّ دولة إسرائيل تحقق النبوءة حرفيا في العصر الحديث، وهي بشرى الألف سنة السعيدة»[2]، فقد قال (جيمي كارتر) أمام الكنيست الإسرائيلي في مارس ١٩٧٩م: «جسّد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقاتِ الولايات المتّحدة مع إسرائيل أكثر من علاقات خاصة، إنها علاقات فريدة لأنّها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكي نفسه، وفي أخلاقه، وفي دينه، وفي معتقداته، لقد أقام كلاًّ من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون رواد، ثم إننا نتقاسم معهم تراث التوراة»[3].

وفي عهد (رونالد ريغان) قطعت العلاقات شوطا ملحوظا، حيث وصلت إلى التنسيق الاستراتيجي المتكامل عبر توقيع اتّفاقية التعاون ١٩٨١م، التي أعقبها ضم مرتفعات الجولان السورية، ثم اجتياح جنوب لبنان في

---

(١) بيع الأوطان بالمزاد العلني، ص٤٠.

(٢) موسوعة اليهود وليهودية والصهيونية، ٦/ ١٣٨.

(٣) الصهيونية المسيحية، ص٧٣.

١٩٨٢م، متبوعا بالانضمام إلى مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية عام ١٩٨٣م كانت سببا في توسيع آفاق التعاون، وإغداق المساعدات الأمريكية، وقد قال (ريغان) لأحد أعضاء اللوبي الصهيوني اليهودي: «إنّني أعود إلى نبوءاتكم القديمة في التوراة، حيث تخبرني الإشاراتُ بأنّ المعركةَ الفاصلة بين الخير والشرّ مقبلةٌ، وأجد نفسي أتساءل إذا ما كنّا الجيل الذي سيشهد وقوع ذلك»[١].

وصرّح وزير الخارجية الأسبق (جيمس بيكر) قائلا: لقد احتلّت دولتان على نحو خاص مكانًا في ضميرنا، وهما الولايات المتحدة حيث نعيش، وإسرائيل القديمة التي شهدت مولد الديانة المسيحية، ولذا فإنّ إسرائيل تمثّل جزءا من القيم التي أعتزّ بها»[٢].

وعليه فإنّ الدّعم الأمريكي للكيان الصهيوني لا يخرج عن نطاق العوامل الأيديولوجية والعقدية، وُظفت فيها رؤى توراتية ونصوص «مجتزأة» من الكتاب المقدّس، ووقفت وراء هذا التوظيف كنائس بروتستانتيةٌ أصوليةٌ تأثرت باليهودية، وعرفت في الأدبيات العالمية باسم «المسيحية الصهيونية».

عدوان الصهيونية ضد المسلمين ومخططاتها المستقبلية:

لم تتوقف الآلة الصهيونية العدوانية عند حدّ في استهدافها لمن يقف في طريقها من الفلسطينيين وأشياعهم، فالإرهاب سلاح الصهاينة الجاهز

(١) مجلة الأمة، العدد ٥٨، ١٩٨٥م.

(٢) جريدة الخليج، ٢١/ ٠٣/ ١٩٩١م.

على مرّ السنين، ولدى الدكتور (المسيري) التشريح العميق للظاهرة، حيث يقول: «الإرهاب الصهيوني ليس حدثا عابرا عرضيا، وإنما هو أمر كامن في المشروع الصهيوني الاستيطاني الإحلالي، وفي الصيغة الصهيونية الشاملة، كما أنّ حلقات وآليات هذا الإرهاب مترابطة متلاحقة، .. والإرهاب الصهيوني هو الآلية التي تم بها تفريغ جزء من فلسطين من سكانها، وفرض المستوطنين الصهاينة ودولتهم الصهيونية على شعب فلسطين وأرضها[١].

لقد ارتكب الكيان الصهيوني العديد من المجازر لإجبار الفلسطينيين على ترك أراضهم، وقُراهم، والنزوح إلى البلاد المجاورة، ولم يسلم العربُ في فلسطين وخارجها من العدوان الصهيوني الذي لم يفرّق بين الصغار والكبار، ولا بين الرجال والنساء.

ومن أبرز المجازر الدموية التي بقيت راسخة في ذاكرة التاريخ:

مذبحة دير ياسين: هي الأكثر همجية ووحشية، وقعت في ٩ أبريل ١٩٤٨م، ارتكبتها منظمتان عسكريتان صهيونيتان هما: (أفرجون) التي كان يتزعمها مناحيم بيغن[٢]، و(شتيرن ليحي)[٣] التي كان يترأسها (إسحاق

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ١٨٥.

(٢) مناحين بيغن (١٩١٣-١٩٩٢)، سياسي صهيوني، بولندي المولد، رحل إلى فلسطين عام ١٩٤٢م، ورغم تاريخه الدموي، تبادل الزيارات مع السادات، وتم توقيع معاهدة كامب ديفيد لينال جائزة نوبل للسلام مقاسمة معه بعد عامين من بلوغه سدة الحكم.

(٣) ليحي اختصار للعبارة العبرية «لوحمي حيروت يسرائيل» أي «المحاربون من أجل حرية إسرائيل»، وهي منظمة عسكرية صهيونية سرية أسسها (ابراهام شتيرن) عام ١٩٤٠م، بعد انشقاقه = =

شامير)[١]، وتمّ الهجوم باتّفاق مسبق مع الهاجاناه، وراح ضحيتها زهاء ٢٦٠ فلسطينيا أعزلا من «دير ياسين» التي تقع على بعد بضعة كيلومترات من القدس على تلّ يربط بينها وبين تل أبيب، وكانت هذه المجزرة حسب أحد ضباطها: «من أجل كسر الرّوح المعنوية لدى العرب، ورفع الروح المعنوية لدى اليهود»[٢]، واستمرّت الإبادةُ يومين كاملين استُعملت فيها مختلف وسائل القتل، وفي كتابه (الثورة) كتب (بيغن) يقول: «إنّ مذبحة دير ياسين أسهمت مع غيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد من ٦٥٠ ألف عربي» وأضاف: «لولا (دير ياسين) لما قامت إسرائيل».

وفي المقابل رفض بعض الصهاينة هذه الطريقة فوصفها (حاييم وايزمن)[٣] بالعمل الإرهابي الذي لا يليق بالصهاينة، كما ندّدت الوكالة اليهودية بالمذبحة، غير أنّ التقادم الزمني للحادثة أثبت تواطؤ جميع الأطراف وتقديمهم الدعم لذلك، حيث ذكر (بيغن) في كتابه (الثورة) أنّ الاستيلاءَ

= = مع مجموعة من أنصاره عن «إتسل»، وقد أطلق النشقون في البداية على أنفسهم تسمية «إرجون تسفاي ليومي بإسرائيل» أي «المنظمة العسكرية القومية في إسرائيل» تمييزا عن اسم المنظمة الأم، ثم تغير فيما بعد إلى (ليحي)، وبعد إعلان قيام «إسرائيل» في ١٩٤٨م حُلّت هذه المنظمة مع غيرها من المنظمات، وأُدمجت في جيش الدفاع الإسرائيلي.

(١) إسحاق شامير(١٩١٥-٢٠١٢)، ولد في بولندا وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥م، وخاض غمار السياسة حتى اصبح رئيس وزراء الكيان الصهيوني في الفترتين (١٩٨٣-١٩٨٤) و(١٩٨٦-١٩٩٢).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ١٩٨.

(٣) حاييم وايزمان (١٨٧٤-١٩٥٢) يعتبر أشهر شخصية صهيونية بعد تيودور هرتزل، حيث كان له الدور الأهم في استصدار وعد بلفور عام ١٩١٧م.

على «دير ياسين» كان جزءا من خطة أكبر، وأنّ العملية تمّت بكامل علم (الهاجاناه)، وبموافقة قائدها، وأنّ الاستيلاء على «دير ياسين»، والتمسّك بها يُعدّ إحدى مراحل المخطط العام رغم الغضب العلني الذي عبّر عنه المسئولون في «الوكالة اليهودية»، والمتحدّثون الصهاينة. والدّليل على ذلك أنّ قائد الهاجاناه[1] (ديفيد شالتيل) أرسل رسالةً داعمةً قبل يومين من المجزرة جاء فيها: «بلغني أنّكم تخطّطون لهجوم على «دير ياسين»، أودّ أن ألفت انتباهكم إلى أنّ «دير ياسين» ليست إلاّ خطوةً في خططنا الشاملة، ليس لديّ أي اعتراض على قيامكم بهذه المهمّة، ـ بشرط أن تجهّزوا قوّةً كافية للبقاء في القرية بعد احتلالها، لئلا تحتلها قوى معادية وتهدّد خططنا»[2].

وبعد الاستيلاء على «دير ياسين» بثلاثة أيام تمّ تسليمها للهاجاناه لجعلها مطارا، كما عبّرت الدولة الصهيونية عن فخرها بالمذبحة بعد ٣٢ عاما من وقوعها بإطلاق أسماء المنظمات الصهيونية المتورطة على شوارع المستوطنة التي بنيت على أنقاضها.

<u>مذبحة اللد (يوليو ١٩٤٨):</u> تعد أشهر مذبحة قامت بها قوات (البالماخ)، وجاءت بغرض إخماد ثورة عربية ضد الاحتلال الإسرائيلي، فووجِهَت الجماهير بوحشية دون تمييز، وراح ضحيتها ٢٥٠ عربيا، وذكر

---

(١) هي كلمة عبرية تعني الدفاع، وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، اسست في القدس عام ١٩٢٠م، وارتبطت في البداية مع حزب العمل، ثم بحزب الماباي والهستروت، وتطور أمرها لتصبح نواة الجيش الإسرائيلي.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ٢٠٠.

(كينيث بيلي) مراسل جريدة الهيرالد تريبون الذي دخل اللدّ يوم ١٢ يوليو أنّ (موشيه دايان)[١] قاد طابورا من سيارات الجيب في المدينة، وكانت مزوّدة بأسلحة متنوعة تطلق النيران على كلّ شيء يتحرّك.

لقد كانت هذه المجازر في حقيقتها جزءا من مخطط شامل لتفريغ فلسطين من سكانها الأصليين، وإحلال المستوطنين الصهاينة مكانهم، وتثبيت دعائم الدولة الصهيونية.

مذبحة الدوايمة: ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٨: هاجمت فيها الكتيبة ٨٩ التابعة لمنظمة ليحي، وبقيادة (موشيه دايان) قرية «الدوايمة» الواقعة غرب مدينة الخليل، فحاصروها وأبادوا من فيها من العائلات دون رحمة بالأطفال ولا كبار السن، وألقوا بالجثث في بئر القرية ليقيموا مكانها مستوطنة (أماتزياه).

مذبحة قرية فلمة: ٢٩ يناير ١٩٥٣: هاجمت فيها سريّة من قربة ١٣٠ جنديا إسرائيليا قرية فلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية، ودكّتها بمدافع الهاون مخلّفة تسعة شهداء وأكثر من عشرين جريحا.

مذبحة قبية: ١٥ تشرين الأول ١٩٥٣: أغار جنود الفرقة ١٠١ التابعة للجيش الإسرائيلي بقيادة (أرييل شارون)[٢] على القرية التي تقع شمال

---

(١) موشيه دايان (١٩١٥-١٩٨١)، عسكري وسياسي إسرائيلي، يعتبر من أكثر الشخصيات السياسية تأثيرا على «إسرائيل» في الثلاثين سنة الأولى من وجودها.

(٢) أرييل شارون (١٩٣٣-٢٠١٤) زعيم صهيوني من يهود بولندا أصلا، درس التاريخ وعلوم الاستشراق في الجامعة العبرية في القدس، اشترك في الحرب الصهيونية ضد العرب عام ١٩٤٨، اشتهر بدمويته، وإبادته للفلسطينيين، ونشط ضمن حزب الليكود.

مدينة القدس في المنطقة الحدودية تحت إدارة الأردن، حيث حشد ٦٠٠ جنديا لإبادتها بادعاء الثأر لمقتل امرأة يهودية وطفلها، وأسفرت العملية عن مقتل ٦٩ فلسطينيا، وتدمير المنازل والمرافق المتواضعة للقرية.

وتوالت المذابح والاعتداءات المستهدفة للفلسطينيين في مختلف القرى التي تستهدفها المخططات الاستيطانية، لتشهد مدينة «خان يونس» مذبحتين في عام واحد، الأولى في ٣٠ مايو ١٩٥٥ وراح ضحيتها عشرون شهيدا مع عشرات الجرحى، والثانية في ١ سبتمبر١٩٥٥، وكانت حصيلتها استشهاد ستة وأربعين عربيا، وجرح خمسين آخرين، لتعود الهمجية إلى المكان في العام الموالي مسجلة ٢٧٥ شهيدا في مذبحة خان يونس الثالثة ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٦.

أمّا غزة فقد توالت المجازر عليها، فكانت الأولى في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وراح ضحيتها ٣٩ قتيلا و٣٣ جريحا، ولا تزال إلى يومنا هذا هدفا للقصف الإسرائيلي الهمجي بين فترة وأخرى، وعرضة للحصار الظالم.

مذبحة كفر قاسم: ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦: تعتبر من أشهر المجازر المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني، وهي نموذج للإرهاب الصهيوني شبه المؤسسي في الفترة التي تلت ١٩٤٨م وإلى غاية ١٩٦٧، وقد وقعت عشية العدوان الثلاثي على مصر، بتاريخ ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، حيث دخلت القرية ضمن المنطقة التي طالها حضر التجوّل، وتلقّى الجنود التعليمات بتقديم موعد الحضر إلى الخامسة مساء على حين غرّة، فأطلق الرصاص على كل من كان يهمّ بدخول القرية عائدا من عمله رغم عدم علمهم بالقرار، وعلى مدى

ساعة ونصف سقط ٤٩ قتيلا و١٣ جريحا، وبعد ضغط إعلامي، تمّت محاكمة ثلاثة عشر متّهما من الجنود وقادتهم، تراوحت الأحكامُ في حقّ بعضهم، ونال بعضُهم الآخر البراءة، بل حتى المحكوم عليهم سرعان ما صدر العفو عنهم بقرار من (إسحاق بن تسفي) رئيس الدولة، «وتُعدُّ مذبحةُ «كفر قاسم» مثالا على إرهاب الدولة الذي تمارسه «إسرائيل» تجاه الفلسطينيين، وبتدبير وتواطؤ مختلف سلطاتها.

كما يعدُّ كلٌّ من (بن غوريون)[١] رئيس الوزراء، ووزير الدفاع، و(موشيه دايان) رئيس أركان الجيش، و(شيمون بيريس)[٢] نائب وزير الدفاع، المسئولين الأساسيين عن المذبحة، ورغم ذلك لم يحاكمهم القضاء الصهيوني[٣]، وإذا كانت الأمم المتحدة قد أحصت اعتداءات إسرائيل المتكرّرة والتي أسمتها «حوادث الحدود» بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ بـ ٢١ ألف اعتداء، فإنّ القائمة الدموية تشمل العديد من المذابح التي اشتركت في تنفيذها القوات الأساسية التي أنشئت خصيصا لهذه الأغراض مثل «الوحدة ١٠١» وفرق المظلّيين التي

---

(١) ديفيد بن غوريون (١٨٨٦-١٩٧٦) زعيم صهيوني عمالي، وسياسي إسرائيلي من أصل بولندي، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦، وفي عام ١٩٤٨ أشرف على تكوين رئاسة الحكومة المؤقتة قبل إعلان نهاية الانتداب، تولى منصب رئاسة الوزراء عدة مرات، كان آخرها عام ١٩٦٣، وله عدة مؤلفات، أهمها: بعث إسرائيل ومصيرها (١٩٥٢)، و: إسرائيل: سنوات التحدي (١٩٦٣).

(٢) شيمون بيريز (١٩٢٣-٢٠١٦) رئيس وزراء عمالي سابق، من أبرز تلاميذ بن غوريون، من مواليد بولندا، هاجر إلى فلسطين سنة ١٩٣٤، شغل سنة ١٩٥٢م منصب نائب المدير العام لوزارة الدفاع، ثم أصبح مديرا عامّا لها، كما شغل مناصب وزارية مختلفة في الفترة ١٩٦٩-١٩٧٧، ورأس الحكومة عدة مرات.

(٣) عن موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية بتصرّف، ٧/ ٢٨٨ وما بعدها.

نفّذت عملياتها بناء على قرارات اتُّخذت على أعلى مستويات القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية»[1].

وفي مرحلة ما بعد ١٩٦٧م اتّسع نطاقُ الإجرامِ الصهيوني جغرافيا، وانتقل إلى البلدان العربية المجاورة، التي استهدفها الطيران الصهيوني، فكان من ضحايا الاعتداءات مدرسة «بحر البقر» في دلتا النيل، وعمال مصانع أبي زعبل بجوار القاهرة خلال عام ١٩٧٠م، كما ضربت ١٥ قرية ومخيّما للاجئين على امتداد نهر الأردن بقنابل النابالم في فبراير ١٩٦٨م، ولم تسلم لبنان من الهجمات المتكرّرة إلى أن تمّ احتلال البلاد عام ١٩٨٢م، ونُسفت طائرة ركاب ليبية في الجو عام ١٩٧٣م بما فيها من المسافرين البالغ عددهم ١٠٦ شخصا[2].

وفي المحصّلة فإنّ هذه المذابح والاعتداءات قد تبنّتها الجماعاتُ، ورعتها المؤسّساتُ الرسميةُ، وشجّع الصهاينة فيها بعضَهم البعض متملّصين من العقوبةِ، وزاعمين الصواب، ولقد تساءل الإرهابي الصهيوني «أندي جريم» في مقابلة منشورة مع إحدى الصحف الإسرائيلية قائلا: «لا أستطيع أن أحصي عدد الشوارع التي تحمل اسم «ديفيد رازل» الذي زرع قنبلة في حي عربي عام ١٩٣٩م فقتل ٢٠ شخصا، وإذا كان ما فعله هو الصواب، فكيف يصبح ما أفعله أنا من قبيل الخطأ؟»[3].

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ٢١٨.

(٢) مجازر الصهيونية، د. كرمة سامي، جريدة الأهرام المصرية، العدد ٤٥٧٨٢، ١١أبريل ٢٠١٢م.

(٣) يديعون أحرونوت، العدد٩٨٢١، يناير، ١٩٨٢م.

ومع سنوات السبعينات والثمانينات ذابت هذه المنظمات الإرهابية في الكيان القائم، وأصبحت المجازر تحمل طابع التأديب، ومطاردة المقاومين الفلسطينيين، فسُجّلت عدة مذابح جديدة، لعلّ أشنَعها مذبحة «صبرا وشاتيلا» في ١٦-١٨ سبتمبر١٩٨٢، التي وقعت بمخيم «صبرا وشاتيلا» بعد دخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت، حيث قامت المدفعية بقصف المخيم رغم خلوّه من المسلّحين، ولقد اعترف تقرير لجنة (كاهان) الإسرائيلية بمسئولية (بيغن) وأعضاء حكومته وقادة جيشه على هذه المذبحة لسماحهم بدخول قوات الكتائب إلى «صبرا وشاتيلا»، ومساعدتها على دخول المخيم، وراح ضحيةَ هذه المذبحة حوالي ١٥٠٠ شهيدا من الفلسطينيين واللبنانيين العُزّل.

ومع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في ديسمبر ١٩٨٧م أصبحت سلطات الاحتلال في مواجهة يومية من العصيان المدني يتخذ من العلم الفلسطيني والحجارة رمزا له، ويمتد عبر الضفة الغربية وقطاع غزة، مستعملة الغاز المسيل للدموع، والرصاص المطاطي، وأمام إصرار الفلسطينيين على المواجهة دعا وزير الدفاع الإسرائيلي (إسحاق رابين)[١] إلى تكسير عظام

(١) إسحاق رابين (١٩٢٢-١٩٩٥)، زعيم سياسي وعسكري بارز، ورئيس وزراء سابق، من مواليد القدس، شارك في حرب ١٩٤٨ كضابط عمليات، ثم وعاد سنة ١٩٧٣ لينشط ضمن حزب العمل، ويقود الحكومة الإسرائيلية، وأقيل إثر احتدام الخلاف بين حكومة اليكود والولايات المتحدة الأمريكية حول موضوع الاستيطان، ثم قاد حزبه للفوز في انتخابات الكنيست، وتشكيل الحكومة التي احتل فيها منصبي رئيس الحكومة ووزير الدفاع، واغتيل في تل أبيب يوم ٤ نوفمبر ١٩٩٥، على يد يميني معارض لاتفاقيات التسوية.

الفلسطينيين بطريقة همجية على مرأى ومسمع من العالم، وقُدّرت حصيلة الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي أثناء الانتفاضة (١٩٨٧-١٩٩١) بحوالي ألف شهيد، وتسعين ألف جريح ومصاب، وخمسة عشر ألف معتقل، فضلا عن تدمير ونسف ١٢٢٨ منزلا، واقتلاع ١٤٠ ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية[1].

ورغم توقّف الانتفاضة، والجنوح إلى الهدنة، إلاّ أنّ الانتهاكات بقيت تُسجّل بوحشية وهمجية، فشهد العالم على مذبحة الحرم الإبراهيمي في الجمعة الأخيرة من رمضان الموافقة ٢٥ فبراير ١٩٩٤، بعد سماح الحرس الإسرائيلي بدخول المتطرف (باروخ جولدشتاين) إلى الحرم الإبراهيمي رغم اشتهاره بتطرّفه، وهو يحمل بندقيته الآلية، وعددا من خزائن الذخيرة، وعلى الفور شرع في حصد الأرواح داخل المسجد، فسقط ٦٠ شهيدا، وعشرات الجرحى قبل أن يتمكّن من بقي على قيد الحياة من السيطرة عليه وقتله، ولم تكتفِ السلطات الإسرائيلية بالصمت على المجزرة، بل واجهت المظاهرات المندّدة بها بالقمع فسقط ٥٣ شهيدا في مختلف المناطق الفلسطينية.

وتلتها مذبحة (قانا) في ١٨ أبريل ١٩٩٦م وهي جزء من عملية كبيرة سميت عملية «عناقيد الغضب» التي استهدفت ١٥٩ بلدة في الجنوب والبقاع الغربي في محاولة يائسة لنزع سلاح حزب الله اللبناني، ورفع معنويات العملاء مع استعادةِ هيبة الجيش الإسرائيلي المتآكل، وأسفرت هذه العملية عن مقتل

(١) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا): تقارير الانتفاضة.

٢٥٠ لبنانيا، منهم ١١٠ لبنانيين في (قانا) وحدها، إضافة إلى العسكريين اللبنانيين والسوريين وجنود حزب الله، وشكّلت إبادةُ الأبرياء فضيحة للكيان الصهيوني الذي سارع رئيس وزرائه (شيمون بيريز) إلى التملّص من المسئولية عليه، حيث قال: «إنّها فضيحةٌ أن يكون هناك ٨٠٠ مدني يقبعون أسفل سقف من الصاج ولا تبلّغنا الأمم المتحدة بذلك» ليأتي الردُّ سريعا من الأمم المتحدة بأنها قد أخبرت إسرائيل مرارا عن وجود تسعة آلاف لاجئ مدني يحتمون بمواقع تابعة للأمم المتحدة، كما أعلنت للعالم أجمع أنّ إسرائيل وجّهت نيرانها للقوات الدولية ومنشآت الأمم المتحدة ٢٤٢ مرّة في تلك الفترة[١].

ولم يقتصر العدوان الصهيوني على الفلسطينيين على وجه الخصوص على المذابح، والمجازر، بل تلوّن بألوان شتى، منها الإبعاد الذي لا يخفى أثره الجسدي والنفسي، فقد أقدمت السلطات الصهيونية منذ ١٩٦٧م، وحتى ١٩٨٤م على إبعاد ما يزيد عن ٢٥٠٠ شخص إلى الأردن ولبنان[٢]، وأمّا الاعتقال، والتعذيب فهذه ممارسات تتمّ بصفة يومية إلى يومنا هذا.

«وإنّ من خططِ اليهود في (الشرق الأوسط الجديد) أن يفصلوا مشرق العالم العربي عن مغربه، وأن ينشئوا جامعة الشّرق الأوسط بدلا من (الجامعة العربية) ليكون الكيان الصهيوني جزءا منها، بل وفي مخطّطهم أن يفصلوا

(١) حتى لا ننسى: ملف عن المجازر الصهيونية، شبكة فلسطين للحوار، ٤/ ٥/ ٢٠١٤م.

(٢) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا): تقارير الانتفاضة.

بعض أجزاء الوطن العربي ويحوّلوها منظومات أخرى، فالعراق ودول الخليج منظومة خاصة، وتهميش السودان والصومال واليمن وضمّها إلى منظومات خاصة بإفريقية والقرن الإفريقي مما يخطّطه اليهود للعبث بالعالم الإسلامي وتحويله بأسره إلى مستعمرات لهم، وأسواق لبضائعهم»[١].

وفي الختام فلا أمن للفلسطينيين خصوصا، والمسلمين عموما من العداء الصهيوني، لأنّ الحرب التي أعلنها على العرب والمسلمين استئصالية شمولية لا رجعة، ولا رحمة فيها، ومبتغاهم الأول تغيير التركيبة الديموغرافية، والدينية في المنطقة، لأنّ فلسطين بالنسبة إليهم أرض الميعاد، ومصر والشام والعراق مملكة الأجداد، وفي المسجد الأقصى هيكلهم المزعوم، وعلى سورة الغربي مبكاهم المذموم، «فحين أُعلن قيام الكيان الصهيوني في ١٤ مايو ١٩٤٨م بالتواطؤ مع قوى الشرّ العالمية، وطوابير الخيانة المحلّية، قال (بن غوريون): «إنّ الصهيونية حقّقت هدفها ببناء دولة يهودية أكثر ممّا كان متّفقا عليه، وليست هذه نهاية كفاحنا، بل إنّنا اليوم قد بدأنا، وعلينا أن نمضي لقيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات، ويستمر الصهاينة اليوم في الإعداد والتخطيط لتحقيق توسّعهم مستغلّين تخاذل بلدان العالم العربي، وتواطؤ حكوماتهم وحكّامهم»[٢].

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١١٥٦، ٦صفر ١٤١٦، الموافق٤/ ٧/ ١٩٩٥م، ص٢٥. ملخص دراسة للباحث (سيار الجميل) عن حقيقة المخططات الصهيونية في المنطقة.

(٢) أساليب الصهيونية في نشر مخططاتها وتورط حكومات العالم الإسلامي، محمد بن أبي عامر، موقع تبيان لصنع الوعي، بتاريخ ٣٠/ ٠٨/ ٢٠١٧م.

ولعلّ لما يعرف ببروتوكولات حكماء صهيون (على ما عليه من مآخذ وتشكيكات في نسبته) أهمية فائقة في الكشف عن مخططاتهم، وأهدافهم البعيدة، وهي عبارة عن مواثيقهم التي جمعوها في أربعة وعشرين بروتوكولا، رسموا فيها خططهم للسيطرة على العالم في غضون مائة عام(١)، ولا تخرج هذه البروتوكولات عن تعاليم الكتب المقدّسة والتلمود، وجاء في البروتوكول الأول منها:

إنّ خير النتائج التي يراد تحقيقها من التسلط على الغوييم (الأغيار) إنما تكون بالعنف والإرهاب، لا بالمجادلة النظرية المجردة».

«وقد كشفت كتابات التلمودية والصهيونية منذ وقت باكر عن أنّ الأيديولوجية الصهيونية تخطط لامبراطورية تتولّى إسرائيل فيها مركز الثقل، وذلك سعي إسرائيل إلى السيطرة على الشرق العربي، وقد سار المخطط طويلا حتى حقّق قيام إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ملتمسا تفكيك هذه القوة إلى كيانات إقليمية أو قومية حيث تلتقي الصهيونية مع الاستعمار والشيوعية في غرض موحد»(٢).

---

(١) كشف أمر هذه البروتوكولات في ١٨٩٧م، ولا تحديد للسنة التي وضعت فيها، وفي سنة ١٩٥١م صدرت أول ترجمة لها إلى العربية، قام بها الأستاذ محمد خليفة التونسي، منقولة عن الطبعة الانجليزية الخامسة للبروتوكولات، والتي صدرت عام ١٩٢١م، ثم صدرت لها ترجمة جديدة باللغة العربية عام ١٩٦٧م، قام بها الأستاذ عجاج نويهض، وجاءت ثرية بالتعليقات والشروح.

(٢) المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، ص١١٤.

وتشتغل هذه المخططات السرّية والمعلنة بالدرجة الأولى على:

- تقسيم العالم الإسلامي وإثارة الفتن بين مكوّناته.
- إفساد عقائد المسلمين.
- الحرب النفسية على العرب والمسلمين.
- كسب عمالة حكام العالم الإسلامي.

وسوف أحاول في أبواب الدراسة وفصولها إماطة اللثام عن هذه المخططات، وفضح دور المتصهينين العرب في تمريرها، مع تقديم سبل ووسائل المقاومة، وتحقيق المناعة ضد هذا التيار في مختلف مستوياتها وميادينها، ودحض الشبهات التي يتحجّج بها ضحايا الاستلاب الفكري، ورموز التصهين العربي.

❊ ❊ ❊

الباب الأول

التصهين العربي: مفهومه، مراحله، ووسائله

وفيه أربعة فصول:

❊ المراد بالتصهين العربي وشبكة المفاهيم المتعلّقة به

❊ مسيرة التصهين العربي، مظاهرها، ومؤشراتها

❊ مراحل التصهين العربي ورموزه

❊ وسائل «صهينة» العرب

«التصهين» ظاهرة حديثة التفشي في العرب، أعقبت التمكين للمشروع الصهيوني في المنطقة، وتدرّجت متماشية مع الخطوات الرّسمية التي أزاحت شيئا فشيئا حاجز الحرج، ووصمة العار التي كان ضعاف النفوس يخشون ملاحقتها لهم ولذويهم، وجعلتهم يجاهرون بالولاء، ويستميتون في النّصرة، ولقد نبّه الدكتور (محمد عمارة) إلى الخطر المترتّب على الاستسلام العربي المطلق للصهيونية العالمية، تطبيعًا، وتطويعا بقوله: «نحن أمام صهيونية عربية تنافس الصهيونية المسيحية التي حشدت التأييد الإمبريالي الغربي للمشروع الصهيوني لأرض فلسطين»[١].

ويوما بعد يوم تزدادُ هذه الظاهرةُ انكشافاً واتّضاحا، عبر مختلف المناحي، ومن خلال المتاح من الوسائل التعبيرية والتطبيقية، الأمر الذي نحاول بسطه في هذا الباب الشارح للمفهوم، والمتتبّع لتطوّر الظاهرة عبر المراحل المعلومة لهذه المسيرة الساعية إلى هدف تدجين العرب، وغلق أفواه المنددين منهم، والمستميتة بمختلف الوسائل للسيطرة على الأرض والعقل العربي.

❃ ❃ ❃

(١) الصهيونية العربية، أخبار اليوم، ٢١/ ١٢/ ٢٠١٥.

الفصل الأول

المراد بالتصهين العربي، وشبكة المفاهيم المتعلّقة به

مباحث هذا الفصل هي:

المبحث الأول: المراد بالتصهين العربي

المبحث الثاني: شبكة المفاهيم المتعلقة بالتصهين

يتوسّع نطاق «التصهين» إلى مختلف الأعراق والأديان، فالصهيونية غير اليهودية على العموم هي: «مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة قومية يهودية في فلسطين بوصفها حقا لليهود، طبقا لبرنامج (بازل)، وعلى ذلك فالصهاينة غير اليهود هم أولئك الذين يؤيدون أهداف الصهيونية، ويشجعونها بشكل صريح أو مقنع»[1]، ومن المغالطة أن نستند في بسط مفهوم «التصهين» إلى الدافع الديني.

فالأساس القوي الذي تقوم عليه الصهيونية غير اليهودية، أو «التصهين» على اختلاف رموزه هو الدوافع السياسية لأنصار الصهيونية الذين يساندون الصهيونية اليهودية، والسياسات الإسرائيلية، ونستهل هذه الدراسة المتعلقة بالتصهين العربي بعرض المفهوم، والإشارة إلى شبكة المفاهيم المتعلّقة به على النحو الآتي:

❊ ❊ ❊

(١) الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ص١٠.

المبحث الأول
المراد بالتصهين العربي

الذي نصطلح عليه في هذه الدراسة بالتصهين يضمّ في مفهومه كلّ ما تعلّق بالتعاطف مع الصهيونية، والدفاع عنها، والعمل وفق أجندتها، فيما يأتي ذكره:

المطلب الأول: مفهوم التصهين العربي:

يخفي مصطلح «التصهين العربي» دلالاتٍ خطيرة تمسّ بالأصالة، والهوية، وروح الانتماء للحضارة العربية الإسلامية، ذلك أنّ لابسي هذه العباءة المخزية تتوالى تنازلاتهم في سبيل إظهار الولاء على حساب الدين، والخصوصية الثقافية، والاجتماعية، وعادةً ما يستميتون في الدفاع عمّا لا علاقة لأمّتهم به أكثر من انتصارهم لقضايا الأمّة، بل تجدهم يبرّرون للصهيونية ما تقترفه في حقّ الشعب الفلسطيني مقابل وصم المقاومين بالإرهاب.

ولا يخرج هذا المصطلح في مفهومه اللغوي عن اتّباع الصهيونية، في أفكارها، والتشيّع لمبادئها، والسير في فلكها.

وقد عرّف الباحث (هاني جودة) الصهيونية العربية بقوله: «كلّ حركةٍ سياسيةٍ أو منظّمةٍ فكريةٍ أو دينيةٍ، أو أسرةٍ صاحبةٍ نفوذٍ تفتحُ المنطقة للغرب بغرض سياسي اقتصادي هي بنفس الوظيفة الصهيونية»[1]، وهو تعريف يشمل

(١) الصهيونية العربية، هاني جودة، مقال في موقع دنيا الوطن الالكتروني على الرابط: https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/266951.

الجماعات السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية التي تسير في فلك الركب الغربي الصهيوني، متأثرة بسطوته ونفوذه، وباحثة عن سند للتفوق على غريماتها من الجماعات والطوائف في العالم العربي، لكنه مبهم أسلوبيا، وغير شامل، فلا يأتي على ذكر الأفراد من مثقفين وإعلاميين وغيرهم.

وقبله أشار (العقاد) قبله إلى المتصهينين العرب في قوله عن الصهاينة: «فهم موجودون في أوطان متعدّدة، ولهم -باصطلاح العصر الحديث- طابور خامس في كل دولة، ولهم وسائلهم التي لا تتورع عن شيء من ضروب الرشوة.. إنّ الصهيونية العالمية لا حاجة بها إلى مشيخة إسرائيل، فحسبها الطابور الخامس المنتشر في كلّ مكان، ومعه الطوابير الأخرى التي تجتمع على البغضاء، وإن لم تجتمع على المودّة والولاء»[1]، ويضيف في موضع آخر: «وإنّ هذا الطابور الخامس لواحد من طوابير كثيرة، فإن يكن في الأمر عجب فليس هو العجب لنفوذ الصهيونية في العالم، بل العجب ألاّ يكون لها في العالم نفوذ أكبر من هذا النفوذ»[2].

ومن المهتمين الذين تناولوا الظاهرة مع المقارنة بين تصهين اليهود، وتصهين المسيحيين الشيخ (عبد العزيز مصطفى كامل) الذي يقول: «إذا كانت الصهيونية اليهودية تعني -بحسب الموسوعة البريطانية- تطلّع اليهود إلى افتداء «إسرائيل»، واجتماع الشعب اليهودي في فلسطين، لاستعادة الدولة

(١) الصهيونية العالمية، ص٣٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٩.

اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان على جبل صهيون، وإقامة عرش داود في القدس، وعليه ملك من نسل داود يُعدّ في نظرهم مسيح اليهود.. وإذا كانت الصهيونية المسيحية -بحسب الموسوعة العربية- تمثّل نشاطات الجماعات والطوائف النصرانية الداعمة لأهداف اليهود، والمنحدرة في غالبها من الكنائس البروتستانتية التي تؤمن بأنّ قيام دولة يهودية كان ضرورة حتمية لإتمام النبوءات التوراتية والإنجيلية بعودة مسيح النصارى.. وإذا كانت هاتان الصهيونيتان تلتقيان عند هدف إقامة دولة لليهود في فلسطين، واتخاذ القدس عاصمة لها.. فماذا تعني الصهيونية العربية إذن؟ إنها تحتاج إلى تعريف خاص، بمعيار خاص تتكفل بوضعه الموسوعة الممنوعة التي لم تؤلّف بعد، وربما لن تؤلّف فيما بعد، وهو تعريف يقول: «إنّ الصهيونية العربية تعني تلك الكيانات والشخصيات والهيئات العلمانية المنسوبة للعرب، والتي قامت ولا تزال تقوم بدور الخدم أو العبيد لهاتين الصهيونيتين لتنفيذ أهدافهما الدينية، بوجهة لا دينية ولا أخلاقية في منطقتنا العربية، من خلال أوكار المحافل الماسونية التي لها فروعها ومؤسساتها ومؤسسوها ورموزها المعلنة أو الخفية بالخيانات والمساومات والتنازلات»(١) فزاد بالمقارنة أن جعلهم ناعقين بما لا فائدة لهم به خيانة، وتنازلا، وطمعا في المال عبر المساومات.

وفي المحصلة فهم طابور خامس، وأذناب، وأبواق تروّج للأفكار الصهيونية، وتدافع عن دولة «إسرائيل»، بغطاء التسامح الديني، والتعايش

(١) الصهيونية العربية، عبد العزيز مصطفى كامل، موقع طريق الإسلام، على الرابط:
https://ar.islamway.net/article/73685

السياسي، والتعاطي الثقافي، والاندماج الاجتماعي تسليما بالأمر الواقع، وخضوعا للأقوى، أو بالأحرى لمن يقف خلفه الأقوى، فما كان للكيان الصهيوني أن ينغرس في المنطقة العربية لولا القوّة البريطانية، وما كان له ليستمرّ لولا الرّعاية الأمريكية المتواصلة إلى يومنا هذا.

وفي مقابل الترويج، والتأييد اللاّمشروط للكيان الصهيوني، تقف هذه الفئة ضدّ مصالح الأمّة، وتتحدّاها في أوجّ أزماتها، مستنكرة الغضب الشعبي بله الرسمي على التمادي الصهيوني، ومجسّدةً العمالة في أوضح صورها عبر الحرب النفسية، والعداء المعلن لرموز المقاومة والمواجهة.

وهذا التيار في معناه القريب هو حالة من التبعية للمفاهيم والمصالح الصهيونية تتمّ على يد أنظمة، أو أُسر حاكمة، أو أحزاب ومنظمات وجماعات ومنصّات إعلامية أو ثقافية أو أفراد.

المطلب الثاني: اتجاهات التصهين العربي:

يتجلّى السير في فلك الصهيونية من خلال عدّة اتّجاهات فكرية، وعملية، نلخّصها على النحو الآتي إجمالا بين يدي التفصيل الذي تحمله الأبواب اللاحقة:

أوّلاً: التصهين الثقافي: هو أخطر أنواع التصهين، وأوسع مجالاته، حيث يعني في مفهومه إزالة الحواجز الثقافية بين العرب والصهاينة، والاندماج بدعوى التقارب، والتبادل الثقافي، انسلاخا من الهوية، ودوساً على الخصوصية، رغم عدم التجانس بين الطرفين، فأفراد الكيان الصهيوني

متعدّدو الأعراق والأجناس والثقافات بما لا يجرّ انسجاما بينهم، ناهيك عن انسجامهم مع العرب المسلمين، ولخطورة هذا الاتّجاه في التصهين فقد جعلته الاتفاقيات التطبيعية على رأس بنودها الملزمة التطبيق، حيث «كان على التطبيع الثقافي أن يجري على مستوى الاعتراف بالدولة الصهيونية، والترويج لها كدولة ذات تاريخ وثقافة، ومصالح مباشرة مع العرب، ما يعني في الوقت ذاته مسخ فلسطين من الذاكرة العربية، وحصرها في الذهن العربي في قطاع غزة والضفة على الأكثر، وربطها بالمسجد الأقصى كحدّ أقصى للطموحات العربية والفلسطينية»[1]، فالمقصد من الترويج للتطبيع الثقافي، والسبيل الذي يوصل إليه التصهين في هذا المجال هو الذوبان في ثقافة الآخر، والتعاطي معه في كل ما يتّسع له النطاق من التأليف، والتدريس، والفنون، والنشر الأكاديمي والإعلامي.

ثانيا: التصهين السياسي: ينعكس هذا الاتجاه عبر الإقبال الرسمي على عقد الاتفاقيات الخاوية بدعوى السلام، والهرولة نحو الصفقات السّرية والمعلنة في مختلف مناحي التنمية والتسلّح والصناعات التكنولوجية والطاقوية بتقارب واضح، وتنازل فاضح، تترجمه أرقام المبادلات التجارية، ووتيرة اللقاءات الرسمية، ناهيك عن النشاطات الدبلوماسية، والتسويغات المكشوفة لانتهاكات الكيان الصهيوني، الذي يجعلون له حقّا في الأرض، والدفاع عن أمنه على النحو الذي ستفصله الدراسة.

---

(١) التطبيع والمطبعون، ص١٠٨٥.

ثالثا: التصهين الاجتماعي: تتشعّب دلائل هذا الاتجاه بين الحركية السياحية المتبادلة، والتنسيق الرياضي المتزايد، والترويج للبعثات الدراسية بين الطرفين، وحتى الزواج المختلط، من باب الاعتراف بالدولة الإسرائيلية على الصعيد العربي والعالمي، وتقبّلها كطرف ذي حقوق على المجتمع الدولي.

رابعا: التصهين الديني: وهو وإن كان أقلّها واقعيةً إلا أنّه يظهر بين الحين والآخر تحت ضغوط أهل السياسة تقبّلا للصهاينة من باب التعامل مع أهل الكتاب، أو اليهود على وجه الخصوص دون تمييز بين الدين السماوي، والحركة الهدّامة التي لم يرَ العالم الإسلامي منها إلاّ شرّا.

وبتشابك هذه الاتجاهات، وتماديها في الانزلاق الذي تتردّى فيه نالت الصهيونية بين الشعوب العربية مصداقية أكبر، وأخرجت للعلن ما كان يُقترف سرّا، وصارت تفرض مطالبها، ووجودها كدولة شرعية كاملة الحقوق، مرعيّة الجانب.

*** * ***

المبحث الثاني
المفاهيم المتعلقة بالتصهين

اشتقاقا من مصطلح «الصهيونية» عبّرنا في هذه الدراسة على المهرولين تجاه الكيان الصهيوني فكراً وممارسة بالمتصهينين، لما يحمله هذا المصطلح من مفهوم الرغبة في العيش تحت عباءتهم، ووفق رغباتهم، خدمة لمصالحهم، واندماجا في تيّارهم، وهو مصطلح قليل التناول في الكتابات المتعلقة لهذا الموضوع، والتي يستعمل فيها في الغالب مصطلحا «التطبيع» و«العمالة» على ما نبيّنه في هذا المبحث:

المطلب الأول: التطبيع:

استنادا إلى المعنى اللغوي الفلسفي يقول الدكتور (عبد الوهاب المسيري): «التطبيع هو تغيير ظاهرة ما، بحيث تتّفق في بنيتها وشكلها واتّجاهها مع ما يعدّه البعض طبيعيا، ولكن كلمة «طبيعة» لها عدّة معانٍ، وقد استخدما هذه الكلمة بمعنى (الطبيعة/ المادة)، والتطبيع في هذه الحالة يعني إعادة صياغة الإنسان حسب معايير مستمدّة من عالم الطبيعة/ المادة، بحيث تصبح الظاهرة الإنسانية في بساطة وواحدية الظاهرة الطبيعية/ المادية، ولكن كلمة (طبيعي) يمكن أن تعني «مألوف» و«عادي»، ومن ثمّ فإنّ التطبيع هو إزالة ما يعدّه المطبِّعُ شاذاً، ولا يتّفق مع المألوف و«العادي» و«الطبيعي»[1]، وفي حال «إسرائيل» يصبح المعنى: تحويل المشروع الاستيطاني

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ٢.

الإحلالي الصهيوني في فلسطين إلى أمر طبيعي، أي الاعتراف بشرعية هذا الكيان، وأحقية وجوده في المنطقة.

ففي معناه اللغوي يدور مفهوم التطبيع حول جعل الشاذّ طبيعيا، ومألوفاً تسهيلا لقبوله.

وفي المعنى الاصطلاحي: يُقصد به إقامة علاقات طبيعية وعادية بين الدول العربية، والكيان الصهيوني في فلسطين، «وهو يقوم على ركنين: الاعتراف، والقبول، اعتراف العرب (ومن ورائهم عامة المسلمين) بالدولة الصهيونية، كدولة تتمتّع بالشرعية والسيادة والعضوية في المجتمع الدولي، وقبولهم بها في نسيج ديار العروبة والإسلام، كدولة لها ما لدول المنطقة من حقّ الجوار، وحسن المعاملة، إن لم يكن أكثر من ذلك»[١] فالتطبيع ثمرة للقبول بالكيان الصهيوني، والاعتراف به، كان من المستحيلات في بداية تجسيد الوطن القومي لليهود على أرض فلسطين، وقادت تحركات المهرولين من العرب مع مرور الوقت إلى التمكين له، بل وجعله واجبا بمقتضى الاتفاقيات المشؤومة للسلام.

وقد استعمل المصطلح عند اليهود للإشارة إلى يهود المنفى (العالم) الذين يعدّونهم شخصيات طفيلية شاذة منغمسة في عالم الأفكار، ومتفننة في الغش التجاري وصفقات الربا، وممارسة البغاء، وبالتالي فقد تكفّلت الحركة الصهيونية بمهمة إعادة تطبيعهم، أي جعلهم شعباً طبيعيا مثل كلّ

(١) التطبيع والمطبعون، ص١٠٨٣.

الشعوب عبر إعادة صياغتهم، لكن مع تأسيس الدولة الصهيونية اختفى المصطلح من التداول استمالةً لكل يهود العالم إلى الصفِّ.

وعاود المصطلح الظهور مع توقيع اتفاقية (كامب ديفيد) في أواخر السبعينيات مطبّقا على العلاقات المصرية-الإسرائيلية، ليصبّ مفهومه في نطاق جعل العلاقات بين الطرفين «طبيعية» وعادية، ووفق هذا الواقع يعتبره صاحب موسوعة «التطبيع والمطبّعون»: «مصطلحا صهيونيا يراد منه أن تُقبل «إسرائيل» في المنطقة بكيان مستقلٍّ معترفٍ به، وأن يكون لها الحقُّ في العيش بسلام وأمن، مع إزالة روح العداء لهم من جيرانهم، ولا يكون هذا إلا عن طريق إحداث تغيير نفسي وعقلي جذري عند العرب والمسلمين، عن طريق القضاء على عقيدة المقاومة وروح الجهاد، أو إضعاف تأثير ذلك عليهم»[١].

وحقيقة هذا المصطلح تصبُّ في ما يريده منه الصهاينة في الواقع أكثر من تعلّقها بمعناه عند العرب، «فأساس الفكرة أنه في عام ١٩٦٧م أرادت «إسرائيل» أن توفّر شريحة من العرب يتعاملون معها كعملاء وجواسيس، ولأنه من الصعب أن تشير بشكل مباشر إلى مسألة العملاء أو الجواسيس قالت: إنّ هؤلاء هم مطبّعون، وبهذا الفهم يصبح معنى التطبيع «الخيانة» من خلال القبول بالعدو.. وما معاهدة السلام، والاعتراف السياسي إلا بوابة هذا التطبيع، وأمّا اتفاقات النشاطات الاقتصادية، والثقافية، والإعلامية، والسياحية ونحوها بين إسرائيل وغيرها من الدول المجاورة لها، فهي من

(١) التطبيع والمطبعون، ص٥٦-٥٧.

وسائل تنفيذ مخطط التطبيع»[١]، وصرّح السفير الإسرائيلي السابق في مصر (ديفيد بن سلطان)[٢] في مذكراته قائلا: «للقضية أهمية كبيرة بالنسبة لنا، لارتباطها باندماجنا في المنطقة، وباحتمال إقامة علاقة جوار سوية ومثمرة، حيث كُتب علينا أن نحيا معا»[٣].

ونقف في هذا الصدد مع تعريف آخر وضعته الحملة الفلسطينية للمقاومة الأكاديمية فحواه: «إنّه المشاركة في أيّ مشروعٍ... مصمَّمٍ خصّيصًا للجمع... بين فلسطينيين (و/أو عرب) وإسرائيليين (أفرادًا كانوا أو مؤسّسات)، ولا يهدف صراحةً إلى مقاومة أو فضحِ الاحتلال وكلِّ أشكالِ التمييز والاضطهاد الممارس على الشعب الفلسطينيّ. وأهمُّ أشكال التطبيع هي تلك النشاطات التي تهدف إلى التعاون العلميّ أو الفنّيّ أو المهنيّ أو النسويّ أو الشبابيّ، أو إلى إزالة الحواجز النفسيّة. وتُستثنى من ذلك المنتدياتُ والمحافلُ الدوليّة التي تُعقد خارج الوطن العربيّ [و] يشترك فيها إسرائيليون إلى جانب مشاركين دوليين، ولا تهدف إلى جمع الفلسطينيين أو العرب بالإسرائيليين...» [٤].

---

(١) التطبيع والمطبعون، ص٥٨.

(٢) ديفيد بن سلطان يهودي صهيوني، ولد في القاهرة سنة ١٩٣٨م، وهاجرمع أسرته إلى الكيان الصهيوني وهو في الحادية عشرة من عمره، حيث درس بالجامعة العبرية بالقدس، ثم التحق بوزارة خارجية الكيان الصهيوني عام ١٩٦٤م، وعمل سفيرا بمصر وكندا وتركيا.

(٣) مذكرات ديفيد بن سلطان، ص١٤.

(٤) الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل على الرابط

http://www.pacbi.org/atemplate.php?id=50

وإنّ الذرائع التي يستند عليها المطبعون في موقفهم الخاذل للأمة هي:

- الرّغبة في السلام وإتمام التسوية.
- ضرورة إزالة الحاجز النفسي بين العرب واليهود.
- التعلّل بوجود معسكر للسلام داخل الدولة الصهيونية.
- التعلّل بعقد الأنظمة في مصر والأردن وفلسطين اتفاقيات اعتراف وصلح مع الكيان الصهيوني، وانتهاء الصراع بين تلك الأنظمة والكيان الغاصب.
- التعلّل بوقوع شخصيات شهيرة في التطبيع، كان لها تاريخ في النضال والمقاومة.
- التجارة لا وطن لها ولا دين.
- الثقافة والفنون مشتركة بين الشعوب.

ويتذرّعُ أنصار هذا التيار أنّهم بجنوحهم للتطبيع، ودعوتهم للسّلام إنما يخترقون الجبهة الصهيونية، ويقسمونها إلى معسكرات تختلف حول هذه القضية، فيشتتون الرأي العام الإسرائيلي، ويشهد الواقع أنّ العكس هو الذي تحقّق، حيث انقسمت الجبهة الداخلية العربية بسبب هذه الخطوة، بل وانفجرت غيضا وكمدا، فرغم التطبيع الرسمي بين مصر والكيان الصهيوني مثلا إلاّ أنّ الشعب في عامته ظل رافضا لهذه العلاقة، وخاصة بعد ثورة

٢٥يناير، «حيث فوجئت إسرائيل قبل غيرها بأنّ هذا الشعب الذي أرادت اختراقه، وتعريته، وعزله، والهيمنة عليه، من خلال التطبيع، وما ارتبط به من المعونة الأمريكية (٢.١ مليار دولار سنويا) ثار عليها واحرق سفارتها مرّتين، وفجر خط الغاز الموصل إليها بأبخس الأسعار ست عشرة مرة في العامين التاليين للثورة.. فوجئت تل أبيب وواشنطن، ومن دار في فلكها بهذا الشعب، وبتلك الروح التي عادت إليه رافضة «التطبيع» بنفس قوة رفضها للاستبداد، وسياسات الإفقار، والعيش غير الكريم»[1].

كذلك زالت الحماسة في المقاومة، وانخفض سقف مطالبات النخبة العربية في غالبيتها إلى العودة لحدود ٦٧، كما نجح الصهاينة في اختراق الفصائل والمؤسسات الفلسطينية، وبلغ الاختراق ذروته في المؤسسات الأمنية التي أقامتها السلطة الفلسطينية بعد اتفاق (أوسلو) ١٩٩٣م، ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا.

والحلّ في نظر المطبّعين هو العدول عن المقاومة التي لم تجرَّ على الشعب الفلسطيني سوى العدوان الانتقامي، والسير في طريق الاعتراف والتفاوض والتسوية، لكن «عمليا لن تنتهي معاناة الفلسطينيين ما بقي الاحتلال، ولن يرحم الإسرائيليون الفلسطينيين في حال توقّفهم عن المقاومة والاستسلام، بالعكس، سيزداد الإسرائيليون في بطشهم وإجرامهم، وهم يعلمون أنهم لن يُلاقوا أية مقاومة أو ردع، بل إنّ المقاومة تجعل الصهاينة

(١) التطبيع والمطبعون في مصر، ..ص٩.

يفكّرون كثيرا في اتخاذ قراراتهم التي تمس حياة الفلسطينيين خشية رد الفعل المقاوم، وتجعل للدم الفلسطيني ثمنا»[1].

فلا أقرب للصهاينة إلى عقول العرب وقلوبهم من العرب المطبعين الذين يلعبون دور الوسيط المشبوه، وتذليل العقبات النفسية، لتحقيق الأهداف التي يبعد تحقيقها بغير هذه الوسيلة.

المطلب الثاني: السلام:

ما السّلام المزعوم في حقيقته إلاّ استسلام أمام الضغوط الصهيونية الأمريكية، وخضوع ذليل يعطي أكثر ممّا يأخذ، حيث يرى (أمين اسكندر) -منسّق عام الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل- أنّ «الاستسلام» هو تبنّي نظرية الخصم في الصراع، وهو التنازل طواعية، والقبول بغرض وهدف الخصم من الصراع، وهو الاعتراف بالأمر الواقع دون مقاومة، ومن أجل أن يكون ذلك مبرّرا، لابدّ من استخدام ترسانة من الذرائع والمبرّرات، من أجل إعادة التشكيل الأيديولوجي لقضايا الخلاف والصراع، حتى يتسنى تهيئة العقل لقبول الواقع المستهدف والغرض الجديد[2].

والمتابع لعملية السلام يتبيّن له ما يحوم حوله القصد والهدف من خلال سلسلة المصطلحات التي تدور في فلكه، على شاكلة: التعاون، التبادل،

(١) التطبيع والمطبعون في مصر،..ص٢٨٣.

(٢) قراءة في خطاب التطبيع، أمين اسكندر (التطبيع والمطبعون)، ص١٢٣١.

التعايش، نزع السلاح، الاتفاق، تطهير الأجواء، حيث تعدّدت المداخل التي روّجت لها المؤسسات الرسمية الأمريكية والإسرائيلية، بتواطؤ مع بعض المؤسسات في الدول العربية، والتي راح ضحيتها بعض الواهمين بالسلام العادل، والتائهين في حلقة التغريب.

المطلب الثالث: العمالة:

العميل هو المحكوم بالعمل لدى جهة معينة لمصلحة يرجوها، فكما يطلق على المتعامل الاقتصادي (عميل) فكذلك على الذي يرتضي لنفسه أن يكون طوع أمر العدو مقابل منافع مادية، وامتيازات خاصة، وهو نشاط خسيس تباع فيه الضمائر، وينسلخ به ممارسوه من الانتماء إلى أمتهم، لبيعهم ضمائرهم، وهوان إخوانهم عليهم.

وللعمالة العربية للكيان الصهيوني أدوار كبيرة في تقويض وحدة الأمة في وجه العدو المشترك، ونقل الأخبار الداخلية له، والوشاية بالفدائيين والأبطال لتقنصهم رصاصات الصهاينة الغادرة، ولذلك فأمرهم أكثر شناعة من المطبّعين الذين ينشدون تعايشا، ويروّجون لسلام زائف، حيث يتجاوزونهم بخطوات في طريق الكيد والمكر والتربّص بأهل الميدان الثابتين على مواقفهم.

وتتنوّع طرق الصهاينة في تجنيد العملاء وفق نوعيتهم، ومراكزهم الاجتماعية، فتغريهم بالمال، وبالمناصب، وبالتسهيلات في حياتهم العلمية والعملية، وقد تطيح بهم بعد الوقوع في شباكها غفلة بالابتزاز بالصور

والرسائل والفيديوهات بما يبقيهم طوع أمرها، خوفا من افتضاح أمرهم، وتهرّبا من العار الذي يلاحقهم بين أهليهم.

المطلب الرابع: الطابور الخامس:

«الطابور الخامس» هي عبارة من قاموس التآمر والمكيدة، تدلّ على وجود عملاء محلّيين يأتمرون بأوامر العدو الخارجي، ويشكّلون سندا محلّيا له، وقوّة متحرّكة في الانتظار الإذن بالتحرّك، وكما تستعمل الدوائر الرسمية هذا المصطلح للتحذير من جماعات شعبية تهدّد الأمن العام، وتتآمر على استقرار البلاد، فإنه يستعمل أيضا في حقّ الرموز السياسية، والفكرية التي تخدم الأجندات الأجنبية بقوّة سلطتها، ونفوذها، وعليه فظاهرة التصهين العربي يجسّدها مطبّعون، ومستسلمون، وعملاء، وطابور خامس منسلخ عن هويته، وانتمائه الحضاري.

ومهما كانت التسميات تبقى المسمّيات واحدة، هي بيع الضمير، والتخلي عن قضية الأمة العادلة، والانسلاخ من الانتماء إلى الأمة العربية الإسلامية مقابل ثمن بخس، لبضاعة مزجاة، فالعدو الصهيوني يبقى عدوّا مهما كان لبوسُه، ومهما كانت شعاراته، والغاصب لن يتحوّل بحال إلى مالك للدار.

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

مسيرة التصهين العربي، مظاهره ومؤشراته

مباحث هذا الفصل هي:

❊ مسيرة التصهين العربي

❊ مظاهر التصهين ومؤشراته

تتصاعد وتيرة «التصهين العربي» بتجدّد الأحداث، وتوالي المواقف الاستسلامية، في مقابل التخلّي التدريجي عن القضية الفلسطينية، وهذا الواقع الأليم الذي نعيشه في ظلال التطبيع، والعمالة، و«التصهين» إنّما يُعتبر استمرارا وتطوّرا في مسيرة نشأت مع نشوء فكرة الصهيونية نفسها، وانتظمت مع فرض واقع الاغتصاب المرير، وخرجت للعلن مع الوصول إلى درجة الجرأة لعقد الاتفاقيات والمعاهدات، وفي هذا الفصل محاولة لرصد هذه المسيرة عبر بؤر احتلّت الصدارة في التحالف والتآمر على فلسطين ومن خلال عائلات حاكمة توارثت العمالة، وزعماء لم يكترثوا بالرفض الشعبي، ولم يعملوا حسابا للعار التاريخي..

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
مسيرة التصهين العربي

بدأت الاتصالات العربية-الصهيونية في وقت مبكّر منذ إرساء الكيان الغاصب على أرض فلسطين، وحتى قبل ذلك، «ورغم الرفض العربي، والمقاطعة، والقرارات الحاسمة بشأن عدم التعاطي مع الصهاينة على الأصعدة السياسية، الأمنية والاقتصادية وغيرها، ظلت اللقاءات السّرية متّصلة، مرّة بتشجيع من بريطانيا التي كانت تهيمن على فلسطين وبعض الأقطار العربية الأخرى، ومرّة ثانية من الولايات المتحدة الأمريكية التي تولّت قيادة العالم خلفا للاستعمار القديم، ومرّات من قبل عدد من الدول الأوربية الغربية والشرقية، كان أبرزها في هذا المجال: فرنسا، السويد، الدانمارك، النرويج، سويسرا، ورومانيا، وكان الطموح الغربي في هذا السياق ملتقيا تماما مع الطموح اليهودي الذي يعمل من أجل فرض اعتراف عربي رسمي بالوجود الصهيوني فوق أرض فلسطين، وفتح كل أبواب التعاون المشترك معه، وبذلك يصبح هذا الكيان جزءا من بنية الشرق الأوسط»[١].

المطلب الأول: الإغراء البريطاني لصهينة العرب:

كانت أولى خطوات إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين معقودة على إيجاد شخصية عربية رسمية مرموقة تعقد مع البريطانيين اتّفاقا يضمن تدفّق اليهود لأرض فلسطين، وبناء المستوطنات بدون خوف، وكان الشريف

(١) الاتصالات السرّية العربية-الإسرائيلية: ١٩١٨-١٩٩٣، أمين مصطفى، ص٢.

حسين ملك الحجاز ينتظر فرصة توسيع مملكته، ويطمع في توسيعها إلى سوريا الكبرى وما يحيط بها من المواقع، فانتهزت بريطانيا الفرصة، وطمّعته في تحقيق حلمه التوسّعي مقابل القتال إلى جانبهم في مواجهة الجيش التركي.

وجاء في مشروع المعاهدة البريطانية الموقّعة مع الشريف حسين في صيف ١٩٢٣: «يتعهّد صاحب الجلالة البريطانية بأن يعترف باستقلال العرب في العراق، وشرقي الأردن، والحكومات العربية الموجودة في شبه جزيرة العرب ماعدا عدن، وأمّا فلسطين فقد تعهّد صاحب الجلالة البريطانية بأن لا يفعل في تلك البلاد شيئا قد يجحف بها للشعب العربي من حقوق مدنية ودينية، ويعترف صاحب الجلالة الهاشمية بمركز صاحب الجلالة البريطانية الخاص، في العراق، وشرقي الأردن، وفلسطين، ويتعهد بأنه -فيما يقع ضمن حدود نفوذ جلالته الهاشمية من الأمور المتعلقة بهذه الأقطار-، سيبذل أفضل جهوده للتعاون مع صاحب الجلالة البريطانية في سبيل قيامه بالتزاماته»[١].

وفعلا قبل (الشريف حسين) المشروع، وأعلن الثورة الكبرى ضد الاستعمار التركي، في العاشر من يونيو ١٩١٦م، مطلقا أوّل رصاصة من بندقيته من شرفة قصره في مكة باتجاه ثكنة تابعة للجيش التركي، ومعلنا نفسه ملكا على البلاد العربية، لكن بريطانيا سحبت البساط من تحت رجليه،

(١) المفاوضات العربية ـ الإسرائيلية، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ص٢٢.

وأخلّت بتلك المعاهدة، وشاركت فرنسا في توسّعاتها الاستعمارية في الأراضي العربية، بمقتضى اتفاقية «سايكس بيكو» (١٩١٦)، وهذا ما اعترف به (لورانس العرب) في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» حيث قال: «لمّا لم أكن مغفّلا، فقد كان في استطاعتي أن أرى أنّ وعودنا للعرب بعد انتهاء الحرب ستكون مجرد حبر على ورق، ولو كنت مستشارا مخلصا حقا للعرب لكنت قد نصحت الرجال المحاربين بأن يعودوا إلى بيوتهم، ولا يعرّضوا أنفسهم للخطر في سبيل هذا الهراء (الوعود البريطانية الجوفاء) لكنني كنت أعلم أنّ آمال العرب هي الأداة الوحيدة لكسب الحرب، ولذلك فقد أكّدت لهم أنّ انجلترا ستحافظ على عهودها لفظا وروحا، ولكن بالطبع كنت أشعر بالمرارة والخجل».

وطبعا كانت الصدمة كبيرة بعد نصر موهوم تكلّل الزحف فيه نحو سوريا بطرد العثمانيين على يد الجيش الزاحف بقيادة الأمير فيصل، ولورانس العرب، وبعض الضباط البريطانيين، بينما كان الجيش البريطاني يحتلّ سيناء، وفلسطين بتنسيق مع الكيان الصهيوني الذي سرعان ما وفّرت له غطاء عربيا يتيح هجرة اليهود إليها من خلال وعد (بلفور) الذي نسجت أرضيته مع الأمير فيصل الذي أرسلت له بريطانيا الصهيوني (حاييم وايزمان) في حزيران ١٩١٨، وذكر شهود عيان من خيمة فيصل التي تمّ فيها اللقاء شمال العقبة أنّ (وايزمان) أكّد لفيصل أنّ الصهيونيين لا ينسون أن يعملوا على إنشاء حكومة يهودية في فلسطين، وأنّ كل ما يرغبون فيه هو أن يساعدوا

في تطوير البلاد قدر استطاعتهم، دون أيّ أذى يصيب المصالح العربية المشروعة»[1].

ووفق نظرة مصلحية محدودة، وجهل كبير بالمسئولية التاريخية أبدى الأمير فيصل تجاوبه مع المطالب الصهيونية، وقال في بيانه: «نحن نسعى لننشئ امبراطورية عربية تتألّف على الأقل من العراق وسوريا وفلسطين، وقد قيل لي إنّ جميع اليهود يعتمدون على التصريح الذي فاه به اللورد بلفور، ويتطلّعون إلى إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، أي أن تصير فلسطين دولة يهودية، ولا ريب أنّ هذه الأماني تناقض أفكار العرب ولا ترضيهم، فأناشد اليهود وهم ساميون قبل العرب، طالبا معونتهم لنا في إنشاء المملكة العربية، حتى إذا كثر اليهود في فلسطين تيسّر أن تجعل ولاية يهودية من ولايات هذه المملكة العربية»[2].

وأعقب هذا اللقاء بلقاء ثان بحضور (لورانس العرب) الذي عيّنته بريطانيا مستشارا في وزارة الخارجية للشئون العربية لقربه الشديد من الأمير فيصل، وقدرته على التأثير فيه، وتعبيد الطريق أمام الصهاينة لإحكام القبضة على فلسطين، حيث اغتنم فرصة وجوده في لندن لحضور مؤتمر السلام ورتّب له موعدا مع (وايزمان)، وقام بتحضير نصّ خطاب باللغة الانجليزية أجمعت المراجع على أنه «كان يلخص مطالب الحركة الصهيونية

---

(١) المفاوضات العربية الإسرائيلية، ص٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٥.

الداعية إلى تحقيق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإنّ وعد بلفور هو الأساس لدستور فلسطين، ونظام حكمها، رغم أنّ فلسطين لم يكن لها صفة الدولة قانونا، وقد تجاهل النص أي ذكر للعرب وحقوقهم»[1].

ورغم التحفّظ الشفهي من الأمير فيصل على أي تجاوزات أو اعتداءات تمسّ بحقوق العرب إلاّ أنّ (لورنس) تجاهل التطمينات التي قدّمها، واستغلّ الوثيقة التي بين يديه، والتي نشرتها التايمز البريطانية في ١٠ يونيو ١٩٣٦م، وتدور بنودها حول تدعيم الودّ العربي اليهودي المتبادل بتمثيل رسمي بين الطرفين، مع ضرورة تشجيع وتسريع هجرة اليهود إلى فلسطين، وتكثيف إنشاء المستوطنات لاستقبالهم، وضمان حرّية العقيدة والعبادة لكل طرف، مع الإشراف الإسلامي على الأماكن الإسلامية المقدّسة، وخضوع الجميع لبريطانيا في حالة نشوب خلافات.

وتوالت الأحداث لتثبت لفيصل أنّ الأمور تسير لصالح الحركة الصهيونية التي تساندها بريطانيا، فما كان منه إلا التودّد من أجل كسب موقع شخصي، فخاطب الحضور في مؤتمر الصلح الذي عقد في الفاتح من يناير ١٩١٩م قائلا: «أمّا فلسطين فإنّ غالبية السكان الساحقة من العرب واليهود يمتّون بصلة نسب عرقية إلى العرب، وليس بين الشعبين فوارق في الخلق والمزايا، فإننا واليهود مبدئيا شعب واحد»[2]، وغاص في التورّط

(١) الاتصالات السرية العربية الاسرائيلية، ص١١.

(٢) وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث، عبد العزيز سليمان نوار، جامعة بيروت العربية، بيروت، ص١٢.

بمراسلة زعيم الحركة في الولايات المتحدة الأمريكية، وعضو الوفد الصهيوني إلى مؤتمر الصلح «فيلكس فرانكفورتر» بتاريخ ٣/ ٣/ ١٩١٩ موافقا على ما جاء في كلمته أثناء المؤتمر، ومظهرا مشاعر الودّ تجاه الصهاينة الذين يرحّب بوجودهم في المنطقة، وجاء في الرّسالة: «أودّ أن أغتنم هذه الفرصة، وهي أوّل اتّصال لي مع الصهيونيين الأمريكيين لأبلّغكم ما استطعت أن أقوله في معظم الأحوال للدكتور «وايزمان» في الجزيرة العربية وأوربا، إننا نعتبر العرب واليهود أبناء عمومة في الجنس، .. وإنّا معشر العرب، والمثقفين منا بوجه خاص نشعر نحو الحركة الصهيونية بأعمق مشاعر العطف، .. إننا نرحب باليهود أعظم ترحيب، .. إنّ أُناسًا أقلّ معرفةً وأقل مسئولية من زعمائنا وزعمائكم، ممن يجهلون الحاجة لقيام تعاون بين العرب والصهيونيين قد حاولوا استغلال الخلافات المحلية التي لابد أن يقوم مثلها في المراحل الأولى لحركاتنا في فلسطين، وأخشى أن يكون بعضهم قد أساء التعبير عن أهدافكم أمام الفلاحين العرب، وعن أهدافنا أمام الفلاحين اليهود، مما أتاح للأحزاب ذات المصلحة المجال لاستغلال ما يسمونه خلافاتنا.. إنّني وشعبي نتطلع إلى مستقبل نساعدكم فيه، وتساعدوننا فيه، حتى يتمكن بلدانا من أخذ مكانيهما في مجتمع الشعوب المتمدنة في العالم»[١].

وبهذه الخطوة من فيصل، تهاوت الهامات العربية تباعا لإعلان الولاء بشكل سرّي فضحته الوثائق المسرّبة، فلم تتوقّف الاتّصالات السرّية بين العرب وإسرائيل منذ التوقيع على وثيقة (فيصل ـ وايزمان)، وظلت الفترة

(١) وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، سمير أيوب، ص٦٥-٦٦.

(١٩١٨-١٩١٩) الأبرز في مفهوم الحركة الصهيونية، ومبدأ تأريخ للعلاقات العربية الصهيونية السرّية والعلنية، «ومع اشتداد موجة الرفض العربية للمشروع الصهيوني، وما كان ينطوي عليه من أخطار تهدد المنطقة العربية والإسلامية برمتها، حاولت الحركة الصهيونية إجهاض المواجهات بإجراء مفاوضات واتصالات سنة ١٩٢٢م، في القاهرة وجنيف مع بعض الزعماء العرب، وكان من بينهم: رياض الصلح، إميل الغوري، فارس الخوري، إلاّ أنّ تلك الاتصالات توقّفت بعد أن تسرّبت أخبارها إلى البريطانيين»[1].

وتمادى الأمير فيصل نفسه في اللقاءات المتكرّرة مع الصهاينة، وخاصة بعد العام ١٩٤٦م عندما أعلنت إمارة شرق الأردن استقلالها، لتتكثّف الاتّصالات والحوارات تثبيتا لعرشه الذي تسنده بريطانيا، وطمعا في ضم جزء من فلسطين إلى مملكته، ومن جهته كان الملك (عبد الله) يسعى لتوسيع الأردن بانتزاع أجزاء من فلسطين، وكانت له اتصالاته السرّية مع الصهاينة، والتي يذكر منها الكولونيل (عبدالله التل) لما تمّ التوقيع فيها على تسليم اللدّ والرّملة وأمّ الرشراش للصهاينة، ويقول عن إحدى الزيارات التي قامت بها (جولدا مائير) سرّا للملك عبد الله ليلة ١٢ مايو ١٩٤٨، أي قبل ثلاثة أيام من الحرب بأنّ مائير التي كانت آنذاك عضوا مؤسسا لحزب (مباي) ومسؤولة بارزة في القسم السياسي للوكالة اليهودية عرضت مطالب الوكالة اليهودية بإعلان جلالة الملك الصلح مع اليهود، ولا يبعث بجيشه

(١) الاتصالات السرية العربية ـ الصهيونية: ١٩١٨-١٩٩٣، ص١٦.

إلى الحرب، مقابل إعلان جلالته واليا على القسم العربي في فلسطين»[١]، وقد رفض (جلالته) تنفيذ الشرط الأول لما يجره عليه من سخط عربي، لكنه تعهّد بعدم محاربة اليهود بالجيشين الأردني والعراقي، وأن يقف الجيشان في الحدود التي رسمها قرار التقسيم، بشرط ألا يتعداها، وبعد أخذ ورد بينهما، وتهديد صريح من (جولدا مائير) تمّ الوصول إلى هذا الاتفاق، وبالفعل كان (عبد الله) عند وعده، وخدع جيش الإنقاذ العربي، ولم يف بتعهّده إرسال سريّتين من جيشه للمساعدة، بل «أمر قيادة حامية صفد التي كانت بإمرة النقيب ساري الفيش، والملازم الأول (إميل جميعان) بالتخلي عنها»[٢].

المطلب الثاني:

إرهاصات التعاطي العربي مع الكيان الصهيوني:

لعلّ في مذكرات شهود وقادة الطرف الصهيوني ما يحيل إلى خطورة تلك اللقاءات السرّية، وذلك الارتماء الأرعن في أحضان الصهيونية، ومن ذلك ما صرح به (إلياهو ساسون)[٣] في مذكراته التي نشرتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» في ملحقها الأسبوعي رقم٣٤٦، بتاريخ ٢٨/ ٠٨/ ١٩٧٠م: «كان شتاء عام ١٩٤٨/ ١٩٤٨ فترة تقرير مصير لإسرائيل التي تناضل من

(١) الكاتب، العدد ١٣٢، آذار ١٩٧٢، ص٩٠.

(٢) صوت فلسطين، العدد ٢٠٢، ١٩٤٨م، ص٤٢.

(٣) إلياهو ساسون، وزير الشرطة الصهيونية السابق، لعب دورا خطيرا في المحادثات بين عدد من الشخصيات العربية والصهيونية.

أجل استقلالها حين قامت أكبر معارك في أرض النقيب، والتي لم نشهد مثلها من قبل، بدايتها حملة «آساف» التي وقعت وانتهت بإنشاء حدود مع قطاع غزّة طوال عشرين عاما، وحملة «لوط» التي ربطت الدولة مع جنوبي البحر الميت، ورفعت الحصار الطويل والمتواصل عن قلّة كانوا يدافعون عن سدوم، وفي النهاية «حملة حوريب» التي تمّ بها إقصاءُ وطردُ المصريين نهائيا من منطقة النقب، حيث حل خلالها جيش الدفاع الإسرائيلي وتمركز حتى حدود (أبو عجيلة)، و(بير حمة) الواقع في سيناء عند مداخل العريش.. من المحتمل ألاّ تصدّقوا على ضوء أحداث القتال هذه، وعمليات العداء المتواصلة والمتصاعدة، فقد استمرّت في نفس الوقت اتصالات الصداقة الحقّة بين ممثلي إسرائيل، وبين مندوب شخصي لأحد الملوك العرب.. وفي نفس الوقت أيضا استمرّ تبادل المذكّرات والرسائل بيننا وبين الملك (عبدالله) بصورة متواصلة، ومن مذكرة إلى مذكرة، ومن مقابلة إلى أخرى، حيث اتّضح للطرفين فيما بعد بأنّ وقفَ حالةِ الحربِ وإحلالَ السّلام هو الأفضل».

لقد أعطى الملك (عبدالله بن حسين) بيمينه كلَّ ما لا يحقّ له التصرّف به، من أرضٍ ومقدّساتٍ وتراث وتاريخ، إلى الحركة الصهيونية، وفي مقابل هذا الكرم الذي في غير محلّه، أغدقت الصهيونية عليه المال والرضا، وأوصت به الحكومة البريطانية خيرا، فتعهّدت له بالبقاء على العرش، وبالدّعم المستمر، غير أنّ التنازلات في المواقف الملكية التقت مع مدّ المعارضة الفلسطينية لسياسة الخداع والانصياع للصهاينة وحلفائهم البريطانيين، وبدأت

الأصوات الشعبية والحزبية وبعض الرّسمية ترتفع لإسقاط الملك، ونسف كلّ الاتفاقات التي أبرمت مع الصهاينة، بما فيها اتفاقية الهدنة، وفي ٢٠/ ٠٧/ ١٩٥١م خرّ الملك صريعا أمام المسجد الأقصى، حيث كان ذاهبا لأداء الصلاة، لينتهي معه ملف حافل بالعقود الوهمية السرّية»[١].

وتأكيدا لهذه العلاقات السرّية، والولاءات العربية للكيان الصهيوني يقول الدكتور (ليفنبرج) رئيس قسم الاجتماع بجامعة (بن جوريون) في حديث له أذاعته قناة (الجزيرة) الفضائية في عام ٢٠٠٨م: «كلّ الأنظمة العربية تقريبا في خطر لو انهارت دولة إسرائيل»، ويكشف بعض تلك الأسرار (محمد حسنين هيكل) الذي ذكر في إحدى حلقاته التي تبثّها قناة (الجزيرة) أنّ الملك عبد الله ملك الأردن الأسبق وابن (حسين جدعون) قد عقدا اتّفاقا في أثناء حرب ١٩٤٨م يقضي بتجميد إطلاق النار على الجبهة الأردنية في مقابل قيام الإسرائيليين بتلقين القوات المصرية درسا قاسيا، كما ذكر أنّ الملك (عبد الله) قد أهدى منطقة (إيلات) إلى الإسرائيليين كي لا تكون له حدود مشتركة مع مصر، وبموجب الهدنة على الجبهة الأردنية تمكّن الجيش الإسرائيلي من السيطرة على منطقة العريش المصرية، ولم تنسحب منها إلا تحت الضغط الدولي.

وسجّل الملك الأردني (الحسين بن طلال) بدوره رقما قياسيًا في الاتّصالات السرّية بالصهاينة، باحثا معهم سُبل التعاون المشترك، ورغم

---

(١) الاتصالات السرية العربية–الاسرائيلية: ١٩١٨–١٩٩٣، ص٣٥.

غياب النتائج الملموسة إلا أنّها كانت ممّا وثّقته مذكّرات الزعماء الصهاينة، مميطين اللثام عما دار فيها من حديث، وما حملته من أمنيات مستقبلية، «وقد شارك (يغال آلون) في العدد الأكبر من اللقاءات مع الملك (١٤ لقاء)، أما (أبا إيبان) فالتقاه ١٢ مرّة، والتقاه (إسحاق رابين) ٨ مرّات، إضافة للقاءات متفرّقة مع (جولدا مائير)[١] في باريس وعلى الحدود الأردنية-الإسرائيلية، وفي خليج العقبة، وإيلات، كما التقاه (موشي دايان) أكثر من مرّة في الخارج، والتقى (شمعون بيريز) في أكثر من لقاء سري»[٢].

وفي العام ١٩٦٩، بادر الملك حسين بطرح مشروع للسلام مع إسرائيل عرف باسم «مشروع النقاط الست» أثناء وجوده في واشنطن بدعوة من الرئيس (ريتشارد نيكسون)[٣] وقد تمّ طرح أفكاره أمام نادي الصحافة الوطني بواشنطن، في ١٠/ ٠٤/ ١٩٦٩، مؤكّدا أنه يطرحها باسمه وباسم رئيس الجمهورية العربية المتحدة (جمال عبد الناصر)[٤] الذي فوضه بذلك، وتتلخّص نقاط المشروع في:

١- إنهاء حالة الحرب كليًّا.

---

(١) جولدا مائير (١٨٩٨- ١٩٧٨)، رابع رئيس وزراء للحكومة الإسرائيلية، ذات أصول أوكرانية، وهي المرأة الوحيدة التي تولّت هذا المنصب.

(٢) صوت فلسطين، العدد ٢٠٢، تشرين الثاني ١٩٨٤، ص٤٤.

(٣) ريتشارد نيكسون (١٩١٣-١٩٩٤)، رئيس الولايات المتحدة السابع والثلاثون في الفترة ١٩٦٩-١٩٧٤م.

(٤) جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠)، ثاني رؤساء مصر، تولّى السلطة من ١٩٥٦ إلى وفاته.

٢- احترام سيادة جميع الدول في المنطقة، وسلامة أراضيها، واستقلالها، والاعتراف بذلك.

٣- الاعتراف بحقّ الجميع في العيش بسلام، ضمن حدود آمنة ومعترف بها، ومتحرّرة من التهديد أو أعمال الحرب.

٤- ضمان حرّية الملاحة للجميع في خليج العقبة، وقناة السويس.

٥- ضمان عدم انتهاك حرمة أراضي جميع دول المنطقة بأيّة إجراءات ضرورية، ومن ضمنها تعيين مناطق مجرّدة من السلاح.

٦- قبول تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين»[١].

وكان (الملك حسين) يرغب من خلال هذا الطّرح في إيجاد موقع له في التسوية، بعد تنامي المقاومة الفلسطينية، وضعف دوره، الأمر الذي أدّى إلى الصدام بينهما، وخروج المقاومة من الأردن، كما رفضت كلُّ فصائل الثورة الفلسطينية هذا الإعلان، وكذلك سوريا واليمن، بينما أيّدته لبنان، وبقيت الدول العربية الأخرى صامتة، رغم حمامات الدم التي تسبّب فيها الصدام بين الفدائيين الفلسطينيين والقوات الأردنية التي كانت تنسّق مع الكيان الصهيوني، وتدعوه بصفة رسمية إلى عدم استغلال الفرصة للاعتداء عليها، بل والوقوف إلى جانبها إذا اقتضت الظروف.

(١) الموسوعة الفلسطينية، ط١ ١٩٨٠ ٢/ ٢٤٢.

وتطوّرت العلاقة الأردنية-الصهيونية-الأمريكية في هذه الظروف تحت غطاء الحرب ضد «الإرهاب»، وتأمين تسوية تكفل السّلام بين الطرفين برعاية أمريكية، وعبر لقاءات سرّية وصلت باجتماعات (الملك حسين) و(جولدا مائير) بحضور (موشيه دايان) وقادة صهاينة كبار إلى طرح إمكانية التسوية الثنائية التي تكون قاعدتها:

- إنشاء سلطة محلية موالية للأردن في غزة.
- يتم تسليم غزة إلى الحكم الأردني بما في ذلك ميناء غزة.
- تقوم الأردن وإسرائيل بمشاريع اقتصادية مشتركة بمساعدات أجنبية.
- يتمّ بناء مساكن دائمة للاجئين في الضفة الغربية.
- يحصل سكان قطاع غزة على الجنسية الأردنية.
- يتمّ تعيين رئيس المجلي الإسلامي في القدس من قبل الأردن.

وفي مقابل ذلك:

- يتمّ السّماح بقيام قواعد إسرائيلية في الضفة الغربية، مع عدم التدخّل في الحياة المدنية.
- السّماح باستيطان اليهود في الضفة الغربية مع عدم طرد أي عربي.
- تبقى مسألة القدس معلقة، حيث ينبغي تسوية المشاكل الأخرى أولا»[1].

---

(١) البيادر السياسي، ٨ تشرين الأول، ١٩٨٦.

ورغم السّخط العربي، وانكشاف المستور للعلن، ظل (الملك حسين) ماضيا في لقاءاته مع القيادات الصهيونية، مبديا الاستعداد لتأمين السلام للكيان الصهيوني مقابل تحقيق أهداف ضيّقة تصبّ في ضمان استقرار مملكته خاصة بعد استكمال الجيش الأردني الحرب ضد المقاومة الفلسطينية، وإبعادها نهائيا من تراب المملكة، الأمر الذي استبشر له الصهاينة لأنّ أطول حدود عربية ـ إسرائيلية باتت في مأمن من أية هجمات، وقد اجتمع الملك (حسين) مع (جولدا مائير) في تل أبيب قبل حرب أكتوبر ٧٣ بأسبوعين وأخبرها باجتماعه مع السادات الذي أعلمه بقيام الحرب بعد أيام[١].

وتطوّرت الأحداث وصولا إلى خيبة الأمل الأردنية بعد إقرار مؤتمر القمة العربي في الرباط في تشرين الثاني ١٩٧٤ أنّ منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، مما عزل (الملك حسين) عن لعب دور ذي تأثير في القضية، وجعله يلقي باللاّئمة على رئيس الوزراء الصهيوني (إسحاق رابين) لعدم مساعدته قبل أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه، مستمرّا في لقاءاته السّرية التي لا يستغني عنها في مسيرة «التصهين» المفضوح.

ولم تكن المملكة الأردنية وحدها في هذا المسار، بل سارت مصر فيه معها، حيث شهدت الحقبة الناصرية اتّصالات سرّية مكثّفة مع الجانب الإسرائيلي في وقت مبكّر قبل الإعلان عن قيام ما يعرف بدولة إسرائيل،

(١) يُنظر: الاتصالات السرية العربية–الاسرائيلية: ١٩١٨–١٩٩٣، ص٤٤.

بتواتر الشهادات على ذلك[1]، لكن الذي شهد عليه العالم بأسره ما كان في عهد الرئيس (أنور السادات)[2] الذي أبدى في ٤ فبراير ١٩٧١ استعداده لمناقشة مشروع مرحلي للتسوية مع إسرائيل، كخطوة في سبيل حلٍّ شامل، وطمست معالم اللاّءات الثلاث التي رفعها العرب، و«اللاّءات الثلاث المقدّرة هي ما تقرّر في مؤتمر القمة العربية في الخرطوم عام ١٩٦٧م، وهي: لا مفاوضات مع دولة الصهاينة المغتصبة، ولا اعتراف بشرعية وجودها على الأرض العربية، ولا سلام معها، .. تلك اللاّءات أصيبت واحدة بعد الأخرى، بهشاشة العظام إلى أن وافاها الأجل المحتوم، وكانت بداية تلك الهشاشة قد حدثت عند نهاية حرب ١٩٧٣م، التي برهن فيها المقاتل العربي على الجبهتين المصرية والسورية على عظمته، بسالة وعزما، لكنها انتهت النهاية التي يعرفها الكثيرون مع الأسف الشديد[3].

لقد قدّم أداء الجيش المصري في حرب ١٩٧٣م فرصة ذهبية للسادات لينال الشرعية الكاملة من الشعب، فلم يكن رصيد شعبيته يزيد عن كونه

---

(١) شهادة الأمين العام السابق للأمم المتحدة (كوفي عنان) على قناة الجزيرة في برنامج شاهد على العصر، وكذلك ما ذكره وزير الخارجية الروسي السابق (يفجيني بريماكوف) في كتابه (كواليس وأسرار الشرق الأوسط)، كما كشفت وثائق إسرائيلية أنّ مجلس قيادة الثورة فتح قنوات اتصال مع إسرائيل منذ ١٩٥٢م، وأنّ (عبد الناصر) كان يشرف بنفسه على تلك الاتصالات من خلال الملحق الصحفي بباريس (عبد الرحمن صادق)..

(٢) أنور السادات (١٩١٨-١٩٨١)، ثالث رئيس لمصر، حكم في الفترة الممتدة بين ١٩٧٠ و١٩٨١م.

(٣) بيع الأوطان بالمزاد العلني، ص٢٨.

مستمدًّا من علاقته بالرئيس الراحل (جمال عبد الناصر)، لكنه بهذه الخطوة قد حصد شعبية بالنظر إلى الإنجاز الذي كان يخفي الكثير، «وفي أوائل ١٩٧٤م عادت العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع الولايات المتحدة، والتي كانت مقطوعة منذ حرب يونيو ١٩٦٧م، وجاءت زيارة الرئيس (ريتشارد نيكسون) في أعقاب عدة العلاقات، وجرى استئناف إرسال المعونة الأمريكية لمصر منذ ذلك الحين، ثم جاءت زيارة السادات لإسرائيل في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧م، والتي أيّدتها الولايات المتحدة الأمريكية بكل قوة، .. وبتوقيع (كامب ديفيد) عام ١٩٧٨م، ومعاهدة السلام عام ١٩٧٩م هلّلت أجهزة الإعلام الخاضعة لسيطرة الدولة للسادات باعتباره بطل الحرب والسلام، أما بقية العالم العربي فقد بقي مذهولا وعاجزا»[١]، ورحل السادات مغتالا في السادس من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨١م بسبب ما كان يظنه إنجازا عظيما في التطبيع والاستسلام للكيان الصهيوني، ليأتي بعده (حسني مبارك) متذرّعا بالحفاظ على الإنجازات، والالتزام القانوني بما بناه سابقه مع الصهاينة.

«إن المفاوضات العلنية التي أثمرت (كامب ديفيد) في عهد الرئيس المصري (أنور السادات)، ومفاوضات (مدريد-واشنطن) التي أثمرت اتفاق غزة-أريحا أولا» وبقية تفاصيل التسوية، هذه المفاوضات لم يكن لها لتستمرّ وتنجح لولا عهود من الاتصالات والجلسات السرّية، فكلّ الصراعات

(١) التطبيع والمطبعون، ص٦٣-٦٤.

والمعارك والخلافات والاجتياحات والحرائق الصغيرة والكبيرة، وعمليات الإبعاد والنفي الإفرادية والجماعية، كانت بدافع أو تحريض من الاتفاقات السرّية، فمراحل إنضاج الحلول الضعيفة كما طرحت كان لا يمكن لها أن تتم لولا هذا التدرج، ولولا هذه النار، ولولا هذا الوقت الهادئ والطويل، ولو كانت هذه الحلول قد اتّخذت منحى آخر صريحا، لسقطت على الفور أوراق كثيرة خاصة تلك التي كانت تحمل أكثر من وجه»[1].

فالسبب الرئيسي وراء استقواء الجانب الصهيوني، وتحقيقه لامتيازات ما كان يحلم بمعشارها هو تلك الاتصالات السرّية، والاتفاقيات الخفيّة التي خجل أصحابها من انكشاف أمرهم، ولم يخجلوا من بيع الذمم والأوطان.

وفي الوقت الراهن لا تزال الهرولة العربية نحو الصهاينة تزكم الأنوف برائحة الخيانة للأمة، وإهمال الأمانة خدمة للمصالح الضيقة، وقد تناولت مجلة «فورين بوليسي» الأمريكية في مقال لها أسباب ونتائج التقارب العربي مع الاحتلال الإسرائيلي، خاصة بعد خروج العلاقات السعودية إلى العلن، وجاء في المقال الذي اشترك في كتابته «شاي فيلدمان» مدير مركز كراون لدراسات الشرق بجامعة برانديز، و«تامار كوفمان ويتس» من مركز سياسات الشرق الأوسط بمعهد «بروكينغز» ونشره موقع «القدس العربي» عن الحب العربي الصهيوني ما مفاده أنّ الجميع حاليا يحبون «إسرائيل» وهذا الحب لا يعني فقط الاصطفاف معها ضد إيران، بل له أبعاد أخرى،

(١) الاتصالات السرية العربية الإسرائيلية: ١٩١٨-١٩٩٣، أمين مصطفى، ص٤.

ويبديان دهشتهما من تغيّر النظرة العربية لإسرائيل، فبعدما كان العداء لها عامل وحدة بين الدول العربية المتشرذمة، أصبحت الآن كل دولة تبحث عن مصلحتها ولو بالشراكة معها ولو على حساب الرغبة الشعبية والمبادئ الثابتة في هذه القضية.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني
مظاهر التصهين العربي ومؤشراته

احتلّ الاستعمار، ومن ورائه الحركة الصهيونية أجزاء من الأرض ومعها أجزاء من العقل، ليظلّ سعيهم دؤوبا في سبيل احتلال المستقبل، ومصادرة الأحلام لصالح المصالح الاستعمارية المشتركة، وتجلّت مظاهر «التصهين العربي» على مختلف الأصعدة، بداية من التقارب السياسي، وصولاً إلى التبادل الثقافي، والمواجهات الرياضية كالآتي:

المطلب الأول: المظهر السياسي:

لا أدلّ على التصهين في جانبه السياسي من الاعتراف المعلن والضمني من طرف الدول العربية بالكيان الصهيوني، واعتباره دولة ذات سيادة وحقوق مرعية، ومكانة دولية، وفي تعريف «الكيان الصهيوني»، يقول (عبدالوهاب المسيري): «الكيان الصهيوني مصطلح يستخدم في الخطاب السياسي العربي للإشارة إلى الدولة الصهيونية، وهو مصطلح له مقدرة تفسيرية عالية لأنه منفتح، فهو لا يقبل القول بأنّ ما أُسس على أرض فلسطين هو مجتمع يهودي متجانس تحكمه دولة عادية، وإنما هو كيان كائن لم تتحدّد صفاته بعد، أي أنّ المصطلح هنا يؤكّد الشذوذ البنيوي لهذا الكيان الذي غُرس في فلسطين المحتلة غرسا، وفرض عليها فرضا، ولأنه كيان مشتول لا جذور له فإنه يمكن أن يُنفض كما يُنفض الغبار، ومن هنا كان مصطلح الانتفاضة»[1].

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ٨.

وإنّ استمرار هذا الكيان منوط بالتعاطي العربي معه في مختلف المجالات، الأمر الذي سعى إليه الزعماء الصهاينة مرارا، حتى يكسروا قوّة القطيعة العربية، يقول (العقاد): «إنّ إسرائيل لا تحتمل البقاء مع مقاطعة العرب لها، فإذا قاطعها العرب وثابروا على مقاطعتها فليس في الأرض قوّةٌ تنصرها عليهم، وليس بالعرب من حاجة إلى سلاح يدفعون به خطرها أمضى من هذا السلاح»[1].

ويعرض (المسيري) بشيء من التفصيل مراحل التعوّد العربي على الكيان المغروس فيقول: «وفي محاولة الخطاب العربي وصف الغزوة الصهيونية في خصوصيتها وعموميتها، كان أول مصطلح استخدم هو «إسرائيل المزعومة»، وهو مصطلح ليس له أية مقدرة تفسيرية، وكان تعبيرا عن عدم التصديق العربي لما حدث، وظهرت مصطلحات مماثلة أخرى مثل «شُذاذ الآفاق»، وهو مصطلح استُخدم في فلسطين للإشارة إلى المستوطنين الصهاينة، يحاول التهوين بشكل مبالغ فيه من ظاهرة الغزو الصهيوني، وإن كان قد نجح في رصد ظاهرة عدم التجذّر التي تَسم المجتمعات الاستيطانية، ولكن مع منتصف الخمسينيات بدأ الحديث عن إسرائيل باعتبارها «مخلب القط» للاستعمار الغربي، .. ولا يزال الخطاب العربي يتأرجح في محاولته تسمية دولة إسرائيل، فهي أحيانا «الدولة الصهيونية»، وأحيانا أخرى «الدولة اليهودية».. وهناك بعض المصطلحات مثل: فلسطين المحتلة، التجمّع الصهيوني، الكيان

(١) الصهيونية العالمية، ص١٣٤.

الصهيوني، ذات مقدرة تفسيرية عالية لأنها لا تعكس الإدراك العربي للظاهرة الصهيونية وحسب، وإنما تقترب إلى حدٍّ كبير من بنية الكيان الصهيوني»[1].

«كانت إيديولوجية الصهاينة منذ وضع استراتيجيتهم الواضحة هي تهويد فلسطين، وطمس هويتها العربية الإسلامية، إنسانا وتراثا وأرضا، وما خبت جذوة حماستهم لتنفيذ هذه الاستراتيجية الخبيثة على أرض الواقع، وبمهارتهم الشرّيرة استطاعوا أن يحقّقوا ما يريدون بدرجة كبيرة، ومن مهارتهم هذه أنّهم يتوزّعون الأدوار: فتجد فريقا ينتقد سياسة فريق آخر علنا، لكنه يؤيّده ويعاضده سرّا، وممّا يُشاهد ويرى أن مسيرة التهويد لم تتوقف مهما كان توجه الحكومة الصهيونية المعلن أمام العالم، واقتضام الأرض الفلسطينية قطعةً قطعة وتهويدها أمران واضحان كل الوضوح»[2].

ولقد وقف كبار علماء المسلمين في وجه هذا الكيان، فأجمعوا على حُرمة التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين، وعدم جواز الاعتراف بالكيان الصهيوني، وجاء في هذه الفتوى التي صدرت عام ١٩٨٩م: «ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق في بيان الحق أنّ الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقرّ اليهود على أرض فلسطين، أو تتنازل لهم عن أي جزء منها، أو تعترف لهم بأيّ حقٍّ فيها، إنّ

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ٦.

(٢) بيع الأوطان في المزاد العلني، ص٤١.

هذا الاعتراف خيانة لله والرسول، وللأمانة التي وُكّل إلى كلّ المسلمين المحافظة عليها ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، وأيُّ خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين، والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين»[2].

وفي هذا الصدد تساءل أستاذ عربي في مؤتمر نظمه مركز كراون في جامعة برانديز سنة ٢٠١٧م: متى سيعترف العرب بإسرائيل؟ ليجيب: عندما يكتشفون أنهم في حال أحسن مع إسرائيل أكثر مما لم تكن موجودة»، وبالنسبة للصهاينة وزعمائهم فالحال الأحسن هو الأمن، ومادامت الدول العربية مصطفة مع إسرائيل في مواجهة إيران والجماعات الإرهابية فلا خوف على مستقبل هذا الكيان.

«فبالحرب استولى اليهود على جزء من البلاد اغتصابا وعدوانا، ولكن بعد أن خسروا دماء وأموالا، وساءت علاقتهم مع كثير من دول العالم، كما أنّ الحرب أدت إلى شيء من جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفّهم، وإن لم يبلغ ذلك الحدَّ المطلوب، فقد التقت الأمة على حصار اليهود ومقاطعتهم، ومنع أيِّ صلة بهم، واقتصرت آثار عدوانهم على ما استولوا عليه من البلاد والمقدسات، أما بالتفاوض فقد فُتح باب العدوان أمام اليهود على مصراعيه، ودون أيِّ خسارة تلحقهم من ذلك، فدخلوا كثيرا من بلاد المسلمين

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٢) فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، ١٩٨٩م.

(بسلام آمنين) وأقامت معهم الدول التي قاطعتهم بسبب الحرب علاقات سياسية واقتصادية..»[1].

لقد تراجع الرفض العربي للوجود الصهيوني في قلب الأمة العربية، وخفت صوت المقاومة، وساد الرضا بالأمر الواقع، أكثر من أي وقت مضى، «ففي واقع الحال كانت الأجيال السابقة التي واكبت بداية النشاط الصهيوني الاستيطاني في فلسطين ذات مصداقية عالية في تصدّيها لذلك المشروع المعادي، قد لا تكون القيادات السالفة أعمق وعيا بطبيعة المشروع الصهيوني، لكنها بالتأكيد كانت شديدة الإيمان بقضيتها، والصدق في تصرفاتها إزاء ذلك المشروع كما وعته.. ومهما يكن من أمر فإنّ الفئات السائدة في الحركة القومية العربية في حينه كانت بالفعل شديدة التمسّك بمنطلقات مواقفها، والالتزام بمصالح شعبها وإذ لم تحقّق الحركات السياسية الأولى أهدافها المعلنة، وأخفقت في الحؤول دون إطلاق المشروع الصهيوني، فإنّ الحركات اللاحقة والأنظمة السياسية التابعة لم تكن أوفر حظا في التصدي لمسيرة ذلك المشروع الاستيطانية العدوانية»[2]، وما ذلك إلا لما تتّسم به من طابع العفوية والارتجال المتفاعل مع الانتهاكات الصهيونية غضبا، وضجيجا تلقائيا سرعان ما يصمت، ويعتاد على الواقع.

---

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٤٤٦.

(٢) العرب والصهيوية: ١٨٨٢-١٩١٤، د. إلياس شوفاني، موقع عرب ٤٨، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٩.

المطلب الثاني: المظهر الاقتصادي:

المعروف عن اليهود في العالم أنهم من أصحاب الأموال والبنوك، ولهم خطط قديمة للسيطرة على أموال العالم، فقد جاء في وثيقة سرّية كانت توزعها جمعية (الكابالا) اليهودية: «ولقد سلبنا شعوب الأرض أكثر أموالهم، وسنسلب ما تبقى لهم بحجة توطيد التكامل المالي والاقتصادي الذي استنبطناه.. وسنرّوج لفكرة التعاون الاقتصادي بين الدول بحجة السعي لرفع مستوى الشعوب المتخلّفة، وسنشجّع الدول الرأسمالية الخاضعة لنا على منح القروض للدول الأخرى»[١].

وكانت المقاطعة العربية لإسرائيل مؤثرة إلى حد بعيد على الناحية الاقتصادية لها، إذ بلغت خسائرهم منذ إنشاء كيانهم أكثر من خمسة وأربعين مليارا من الدولارات بسبب هذه المقاطعة، ولذلك كان (شمعون بيريز) رئيس الوزراء الأسبق يرى أنّ كيانهم كان متفوّقا عسكريا ولكنه متأخّرٌ سياسيا واقتصاديا، ويرى أن السلام هو الطريق للتفوّق الاقتصادي والسياسي من خلال الانفتاح التجاري والعلاقات الدبلوماسية»[٢].

ولقد اخترقت البضائع الصهيونية الدول العربية المجاورة الخاضعة لاتّفاقيات السلام، وخير دليل على ذلك العلاقات الاقتصادية الإسرائيلية- المصرية التي تلقّت الضوء الأخضر ببنود هذه الاتفاقيات، «وقد وصل حجم التجارة المتبادلة بين الدولتين إلى حوالي ٥٩ مليون دولار عام ٢٠٠٣م،

(١) مكائد يهودية، ص٤٤١.

(٢) اتفاق أوسلو وتداعياته، منير شفيق، ص٦٨ وما بعدها.

بينها ٢٦.٢ مليون دولار استيراد إسرائيلي من مصر (خاصة المعدات الزراعية، وصناعة النسيج)، و٢٢.٣مليون دولار تصدير إسرائيلي لمصر (خاصة المواد الغذائية والكيماويات والمعادن) وفي تلك الفترة كان عدد الإسرائيليين الذين عبروا من منفذ طابا إلى مصر حوالي ٣١٥٠٠٠ إسرائيلي، وما بين فترات المد والجزر في العلاقات الاقتصادية ظلّ التعاون في مجال الزراعة والسياحة مزدهرا»[١].

«والتطبيع الاقتصادي في الفكر الإسرائيلي هو السبيلُ لاختراق بنيان الاقتصاد العربي كلّه، والحيلولة دون إمكانية قيام تنسيق أو تكامل اقتصادي عربي خالص بين دول هذه المنطقة، كما أنه ضرورة لتعزيز السلام، بقدر ما هو حاجة من احتياجات الاقتصاد الإسرائيلي، وإذا كانت الضمانات الأمنية، ونزع السلاح، والتعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة تمثل الضمانات اللازمة لفرض السلام، فإنّ التدفق الحرّ للسلع والأفكار هما وحدهما الدعامتان القادرتان على تعزيز التسوية، وإكسابها الصيغة الوحيدة المقبولة وفقا للمفهوم الإسرائيلي»[٢].

وللأسف فقد أشارت التقارير والوثائق الرّسمية المتعلّقة بحجم التبادل التجاري العربي الإسرائيلي خلال العام ٢٠٠٤م الذي زادت فيه وحشية المحتلّ بحقّ الشعب الفلسطيني بمبادلات تجارية قيمتها ١٩٣ مليون و٩٦٠ ألف دولار مع إسرائيل، وفق الترتيب الآتي:

---

(١) التطبيع والمطبعون، ص٣٩٦.

(٢) التطبيع والمطبعون، ص٨٤.

● احتلت المملكة الأردنية الهاشمية المركز الأول بقيمة إجمالية قدرها ١٣١ مليون و٢٠٠ ألف دولار، الصادرات منها ٤٤ مليون و٥٠٠ ألف دولار، والواردات ٨٦مليون و٧٠٠ ألف دولار.

● في المرتبة الثانية جاءت مصر بإجمالي ٤٨ مليون و٦١٠ آلاف دولار، بقيمة صادرات بلغت ٢٢ مليون و١١٠ آلاف دولار، وواردات بقيمة ٢٦ مليونو٥٠٠ ألف دولار.

● في الموقع الثالث جاءت المملكة المغربية بإجمالي قدره ٧ ملايين و٨٤٠ ألف دولار، الصادرات منها مليون و١٤٠ ألف دولار، بينما الواردات ٦ ملايين و٧٠٠ ألف دولار.

وتوالت بعدهم في القائمة جيبوتي والمملكة العربية السعودية والإمارات المتحدة، ولبنان[١].

المطلب الثالث: المظاهر الثقافية والاجتماعية:

تنعكس المظاهر الثقافية والاجتماعية للتصهين العربي عبر عدّة مجالات نذكر منها:

أولاً: الانفتاح الإعلامي على «إسرائيل»: رسمت الدوائر الصهيونية مخطّطا للإفساد عن طريق وسائل الإعلام العربية، ودور النشر والمسرح والسينما والبرامج التي يسمونها ثقافية، إذ تعمل كلّها على تحريف المفاهيم

(١) التطبيع والمطبعون، ص٣٩٩ وما بعدها.

الإسلامية وتشويهها، فالجهاد عندهم إرهابٌ، والتديّن تخلّف وتزمّت، والشريعة ظلام ورجعية، ورعت هذه المخططات منذ الخطوات الأولى للتطبيع بقوانين تضمن بها التنفيذ الرّسمي في سبيل التأثير على الشعوب، حيث كان العنصر الاجتماعي الثقافي على رأس عناصر المفاوضات بين مصر وإسرائيل، وتمّ تضمينه في اتفاقية الإطار بكامب ديفيد[١]، وتتضمّن موادها:

- تشجيع التعاون في المجالات الثقافية والعلمية والفنية، وتشجيع الاتّصالات، وتبادل زيارات الخبراء في المجالات الثقافية والفنية والتقنية.
- يسعى الطرفان إلى فهم أكبر لثقافة وحضارة كلّ طرف من خلال تبادل المطبوعات الثقافية والتعليمية والعلمية، وتشجيع التبادل الثقافي والفني.
- تبادل برامج الإذاعة والتلفزيون والتسجيلات والأفلام الثقافية والعلمية.

ويكفينا تدليلا على الخزي الذي أعقب هذه الاتفاقية رسالة الروائي (توفيق الحكيم) للسادات مع أولى خطواته تجاه الكيان الصهيوني، والتي خاطبه فيها قائلا: «تحية لموقفكم الرّاسخ أمام الأقزام، لقد أفزعتم بالصلح الفئتين المتحضّرتين بعد اطمئنانهم لضعف مصر لتذلّ تحت أقدامهم، لأنهم

(١) تم التوقيع عليها بالقاهرة في ٨/ ٥/ ١٩٨٠م، وصادقت عليهاالحكومة الإسرائيلية في يونيو ١٩٨٠م.

يريدونها منهكة القوى بالحرب لتستنجد بهم وتتملّق بهم فيحتقروها، فإلى الأمام نحو الكرامة والحضارة، ولن ترجع مصر مع المتخلّفين إلى الوراء»[1]، وأتبع رسالته هذه بإصدار كتابه (عودة الوعي) الذي دعا فيه للتطبيع، والبعد عن العرب، والاكتفاء بفرعونية مصر كانتماء تاريخي.

ولا تزال فصول التطبيع الثقافي متواصلة في أيامنا هذه سرّا وعلانيةً وخاصة مع دول الخليج التي فتحت صفحة نجسة في تاريخها المعاصر بجعل كلّ ما كان من الممنوعات متاحا، ومرحّبا به بتبادل الوفود، والزيارات، وخاصة من طرف الصحفيين والمثقفين، بل بادرت دور النشر الإسرائيلية إلى ترجمة بعض الروايات العربية ونشرها على النحو الذي جرى مع رواية (ذاكرة الجسد) للروائية الجزائرية (أحلام مستغانمي) بمبادرة من المترجمة الإسرائيلية (ميخال سيلع)، حيث أجابت الروائية على سؤال أحد الإعلاميين قائلة: «هذه القضية لا تستحق الجدل الذي صنعته، صحيح أنه قبل ١٧ سنة كنت أرفض هذا الأمر، لكن اليوم لا أجد حرجا ولا عائقا في أن تُترجم أعمالي إلى العبرية» وتابعت: «أيّ مبدع أو روائي يتمنى أن تُقرأ أعماله بكلّ لغات المعمورة، وأن يتعرّف عليه جمهور أوسع في كلّ أنحاء العالم»[2].

وما أسرع خطوات الإعلاميين في هذا الاتجاه، فلا تكاد زياراتهم للكيان الصهيوني تتوقف، ولام تعد جباههم تعرق من خجل الموالاة، ويكفينا

(١) جريدة الأهرام، ٧/ ٥/ ١٩٧٩م.

(٢) القدس العربي، بتاريخ: ٢٧ مايو ٢٠١٦م.

في ذلك ما قامت به الإعلامية الكويتية المعروفة (فجر السعيد) مديرة قناة (سكوب) في ديسمبر ٢٠١٨م من دعوة صريحة لتشجيع التطبيع، وإلحاح على تشجيع السلام بين الدول العربية و«إسرائيل»، حيث صرّحت قائلة: «أنا أعتقد أننا في هذا الزمن وتحديدًا في هذا الوقت أكثر قبولًا للسلام مع إسرائيل». وأضافت «نقطة التحول عندي كانت جنازة الرئيس الإسرائيلي (إسحاق رابين) قبل ٢٠ عاماً عندما شاهدت عدد حضور الرؤساء العالميين، ولو كان رئيساً عربياً لما كان حضر جنازته سوى جيرانه، أو اكتفوا بإرسال برقية تعزية له».

وعن سبب التقرّب من الاحتلال الإسرائيلي، قالت إنّ «الخطر الإيراني يقرب بيننا أكثر فأكثر، لكن القضية الفلسطينية هي ما يعرقل التطبيع في العلاقات بين الخليج وإسرائيل». واقترحت موافقة الكيان الصهيوني على قيام دولة فلسطينية مستقلة كي «يتمكن الجميع من العيش بسلام»، مخاطبة الإسرائيليين بالقول «نحن نمد أيدينا لكم للسلام».

وبثّ حساب «إسرائيل بالعربية» التابع للحكومة الإسرائيلية الذي يستهدف الجمهور العربي هذه التصريحات المصوّرة التي سجّلتها بنفسها لصالح القناة الإسرائيلية في منزلها داخل الكويت، وأعادت نشرها السعيد على حسابها على «تويتر». كما سبق للسعيد أن زارت القدس المحتلة مرّتين، بعد الحصول على تأشيرة من السفارة الإسرائيلية في الأردن، حيث صوّرت رجال شرطة الاحتلال، وأثنت عليهم.

ثانيًا: التبادل الفني، وإقامة المهرجانات المختلطة: تجلّى التطبيع الثقافي، والتصهين الفنّي في أبرز صوره في الزيارات الفنية المتبادلة، والمهرجانات المشتركة، والتنسيق المتواصل لكسر حاجز المقاطعة الذي طال شخصيات ذات ولاء للصهيونية، وكانت مصر سبّاقة في هذا المجال في محاولة مستميتة لتعويد الجمهور على تقبّل هذا التوجّه، وتبعتها في ذلك بعض الدول العربية، فقد برمجت وزارة الثقافة التونسية مثلا سنة (٢٠١٧) حفلا للكوميدي الصهيوني التونسي «ميشال بوجناح» في فعاليات مهرجان قرطاج وصرفت عليه الملايين من خزينة الدولة التي تحتوي على أموال الشعب التونسي الغريق في الفقر والخصاصة، وقد تمّ الحفل يوم ١٩ يوليو ٢٠١٧ رغم المعارضة الشعبية له، وعُرف هذا الممثل بولائه المطلق للكيان الصهيوني، إذ يعمل على الدعاية له في أعماله «الفنية» ولديه تصريحات صحفية يعتبر فيها المجرم «آريال شارون» بطلا ورجل سلام، ويعتبر «إسحاق رابين» رجلا عظيما رغم أنّ هذا الأخير هو مهندس عملية «الساق الخشبية» على تونس والتي راح ضحيتها ١٨ تونسيا من عوام الناس وجُرح فيها أكثر من مائة واستُبيحت فيها السيادة التونسية، كما قدم «بوجناح» نفسه جنديا في حرب الكيان الصهيوني الإعلامية حيث قال في تصريح له على موقع (SVP Israël) [إنّ الحرب لا تُقام في ميادين القتال فقط بل على شاشات التلفزيون أيضا] وهاهي الحكومة التونسية تستقبله بالأحضان وتتحدى عقيدة شعب كامل[1].

(١) الخبر منقول من صحيفة القدس العربي الصادرة بلندن بتاريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠١٧م.

ولا تزال خطوات التطبيع الثقافي متواصلة بصفة رسمية في دول الخليج العربي التي لم يعد يعني لها شيئاً احتجاج الجماهير، ولا تضايق الرأي العام العربي، بتنويع مقصود في مجالات الاحتكاك الفنية ذهابا وإيابا بينها وبين الكيان الصهيوني.

ثالثًا: التطبيع الرياضي: هي ظاهرة ذات دلالات مؤسفة في العلاقات العربية الصهيونية، فبعد المقاطعة الشاملة لأيّ علاقة من هذا القبيل، صار التعاطي مع الموضوع في منتهى الانفتاح الاستسلامي للأمر الواقع، ومفهوم التطبيع الرياضي هو «إقامة علاقات طبيعية بين الدول العربية والكيان الصهيوني في مجال الرياضة، سواء على مستوى المسابقات الدولية والإقليمية الرّسمية، أو على المستوى الودّي التدريبي، أو بتبادل المدرّبين واللاعبين والعاملين في حقول الرياضة، وصولا إلى انتهاء كافة صور المقاطعة الرياضية العربية للدولة الصهيونية، وأن تنتهي معها مواقف الاتّحادات الرياضية الآسيوية والإفريقية المتضامنة مع أعضائها العرب في تلك المقاطعة»[1].

ولقد حاول الكيان الصهيوني أن يستخدم الرياضة والألعاب الشعبية كوسيلة للاقتراب من الشعوب العربية عموما، والشعب المصري على وجه الخصوص طيلة سنوات التطبيع التي تلت عقد اتفاقية (كامب ديفيد) بدون جدوى، وفي هذا السياق نذكر أنه في العام ٢٠١٠م، وبعد فوز مصر بكأس الأمم الإفريقية لكرة القدم قامت «إسرائيل» بدعوة اتحاد الكرة المصري

(١) التطبيع والمطبعون، ص١٤٦١.

لإقامة مباراة ودّية بين الفريق المصري والفريق الإسرائيلي في «إسرائيل»، أعقبتها دعوة للتعاقد مع المدرب المصري (حسن شحاتة) لتدريب المنتخب الإسرائيلي في محاولة كانت محكومة بدورها بالفشل حسبما تناقلته وسائل الإعلام المحلية والعالمية.

ورغم ثبات العديد من الرياضيين العرب والمسلمين على مواقفهم في رفض مواجهة اللاعبين الإسرائيليين مهما كانت حظوظ فوزهم عليهم، هاهي الحدّة تتراجع، وهاهو التصهين يدخل عالم الرياضة من بابه العريض، متجلّيا في استضافة بعض الدول العربية لمشاركين إسرائيليين في منافسات عالمية على أراضيها، ومفضوحا بمشاركة درّاجين إماراتيين وبحرينيين في طواف إيطاليا الشهير الذي استضافه الكيان الصهيوني غرّة شهر مايو ٢٠١٨م، والذي تسبّب بأزمة كبيرة دفعت باللجنة الأولمبية الفلسطينية للاعتراض والمطالبة بسحب الدرّاجين فورا، وجاء في البيان الرّسمي للجنة الأولمبية الفلسطينية الموزّع على وسائل الإعلام العربية والمنشور في يومه: «باندهاش كبير يكاد يُعقد اللسان عن الكلام، وبمفاجأة تجعل الحليم حيران، تابع الشعب الفلسطيني والأسرة الرياضية الفلسطينية، مشاركة درّاجين إماراتيين وبحرينيين في طواف إيطاليا للدراجات الهوائية، والذي تستضيفه إسرائيل. وتُعتبر هذه الخطوة خطيرة جداً، وتصل إلى حدّ الخيانة العظمى لنضالات الشعب الفلسطيني وتضحياته».

وتابع البيان الذي يعترض على مشاركة الدرّاجين العرب في طواف يُقام بتنظيم من الكيان الصهيوني: «تدين اللجنة الأولمبية الفلسطينية بأشدّ

عبارات الإدانة والاستنكار هذه المشاركة المخجلة لدرّاجين إماراتيين وبحرينيين في هذا الماراثون الذي يُكرس تهويد أرض الرّسالات. وندعو اللجان الوطنية العربية في البلدين الشقيقين الإمارات والبحرين لسحب هؤلاء الدرّاجين فوراً من هذه المشاركة، التي تشكّل وصمة عار لكل من يقف خلفها أو شارك فيها».

ووصل الخزي والهوان إلى حدّ السماح بعزف النشيد الوطني «الإسرائيلي» على أرض الإمارات العربية يوم ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٨م بحضور وزيرة الثقافة والرياضة الإسرائيلية (ميري ريغيف) بعد نيل أحد لاعبي البعثة ميدالية ذهبية في رياضة الجودو، الخطوة التي جعلت الوزيرة تبكي تأثّرا بهذا «الإنجاز» الذي لم يكن ليتحقّق لولا الخطوات الجريئة التي تقدّم بها حكام الخليج نحو الكيان الصهيوني، ففي عام ٢٠١٧، شارك رياضيو الجودو الإسرائيليون في هذه البطولة مرتدين كيمونو محايد من دون أن تكون الأحرف الأولى من اسم بلدهم مكتوبة عليه. وقاموا بأداء النشيد الوطني بنفسهم بعد أن فاز أحدهم بالميدالية الذهبية، بما أن عزفه كان محظورا.

ويرتبط التصهين الرياضي بدرجة كبيرة بالتصهين السياسي، فكلّما تدهور السّاسة خطوة، انزلق الرياضيون خطواتٍ تماشيا مع منظومةٍ متكاملةٍ تسيرُ في اتّجاهٍ واحدٍ، اللهم إلاّ من عصم ذمّته، وحمى ضميره من التحوّل إلى سلعة رخيصة تباع وتُشترى في مقابل دراهم وامتيازات زائلة في مقابل توريط الأجيال اللاحقة في قرارات نافذة ليس لهم ذنب فيها.

وخلاصة الحديث في هذا المبحث أنّ:

- المكر الصهيوني يحاول جاهدا تغطية آليات الصراع بآليات التطبيع الموحية بإمكانية التعايش واستمرار الحال على ما هو عليه.

- تطبيع العلاقات مع مصر كان الجزء الظاهر من جبل الجليد، والواقع أنّ أغلب الدول العربية، وخاصة دول الجوار منها قد سعت إلى مدّ حبال الودّ بسرّية تتجنب بها الغضب الشعبي.

- استراتيجية الصهينة للعرب ليست من النوع الذي يتم تجسيده دائما في العلن، فجانب كبير منه يظل سرّيا وخفيّا خوفا من لعنة الشعوب، وانتظارا للظروف الملائمة في ظل تراجع المواقف العربية.

- كما يحتاج الكيان الصهيوني في الترويج لمبادئه ومخططاته إلى ترسانة من الصهاينة المخلصين، فإنه يحتاج كذلك إلى حثالة من الأذيال المتصهينين الذي يستعبدهم المال، وتغويهم الامتيازات، وتلهيهم الأمنيات.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

مراحل تطوُّر التصهين العربي وأهم شخصياته

<u>مباحث هذا الفصل هي:</u>

❊ مراحل تطوُّر التصهين العربي

❊ أهم شخصيات التصهين العربي

على ضوء ما قدّمناه في الفصل السابق من معالم مسيرة العار في التصهين العربي من خلال الأنظمة، وأهمّ مظاهره في مختلف الاتجاهات، يجدرُ بنا أن ندعّم الدراسة بالتفصيل الذي ينطلق من معالم زمنية شاملة للعالم العربي، ومؤثّرة في وتيرة الهرولة تجاه الكيان الصهيوني، عبر المراحل التي تصنعها اتّفاقيات السّلام المزعومة، وتتّخذها المؤسسات والأفراد حجّة للخروج من السرّية للعلنية، وتقديم المزيد من التنازلات كعرابين صداقة وتقارب مع الصهاينة الذين لا يتوانون متى ما أتيحت لهم الفرصة لضرب الأهداف، وإزهاق الأرواح، واغتيال رموز المقاومة أينما كانوا بلا حساب.

المبحث الأول
مراحل تطوّر التصهين العربي

مرّ التصهين العربي بثلاث مراحل بارزة زاد في كلّ واحدة منها مجاهرةً، وتماديا في التطبيع والإتيان بالشائن من الفعل والشنيع من التنازلات، تقمّصا لدور اليد البيضاء الممدودة بالتعاون والإخاء، والتعايش الضروري مع «دولة طبيعية» أداءً لحقوق الجيرة، والاشتراك في الرّقعة الجغرافية، وسعيا لتحقيق التنمية المشتركة في مختلف الميادين الاقتصادية، والسياسية، والتكنولوجية، والاجتماعية على ما تبيّنه الصفحات الآتية:

المطلب الأول:

المرحلة الأولى: من اتفاقية كامب ديفيد ـ إلى اغتيال السادات (١٩٧٨-١٩٨١):

مع عقد اتفاقية (كامب ديفيد) بين مصر والكيان الصهيوني بدأت المرحلة الأولى من التصهين العربي، حيث أسفرت اللقاءات السرّية، والخطوات الغربية الموالية للكيان الصهيوني عن إقناع مصر بعقد اتفاقية سلام ماحيةً بها شرف النّصر الذي حازته مع حرب رمضان ١٩٧٣، ويشهد الواقع أنه «فور توقيع اتفاقيات (كامب ديفيد) في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨م، ولعدّة سنوات في عقد الثمانينات من القرن الماضي، كانت المنطقة العربية تعيش حالة من الممكن تسميتها «هزيمة الذات»، على مستوى الفكر والحركة السياسية، حالة نفسية وسياسية معقّدة، تتجاوز حدود السلطة الحاكمة إلى حيث بعض النخب المثقفة، والمواطن العادي، وتبدّت أهم مظاهرها في تلك السنوات في الشعور الدفين بفقدان القدرة على الفعل، وعلى المواجهة المنظّمة للتّحديات المحيطة، وغياب الإرادة الجماعية القادرة على فرز التناقضات الثانوية من تلك الرئيسة، والتي يحتلُّ الصراع العربي الصهيوني قمتها»(١).

وبعد (كامب ديفيد) جاءت معاهدة السلام ١٩٧٩م، والتي تضمّنت عدّة بنود، منها:

- إلغاء الحرب بين الطرفين وإقامة السلام بينهما.

---

(١) التطبيع والمطبعون، ١٨.

● تعهّد الطرفين بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة، أو استخدام أحدهما ضدّ الآخر، على نحو مباشر أو غير مباشر، وحلّ كافة المنازعات بينهما بالطرق السلمية.

● يتعهّد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب، أو الأفعال العدوانية، أو أفعال العنف، أو التهديد بها من داخل إقليمه، أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته، أو مرابطة على أرضه، ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر.

● يتّفق الطرفان على أنّ العلاقات الطبيعية التي ستقوم بينهما ستتضمّن الاعتراف الكامل، والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية.

وكان الموقف العربي رافضا لهذا السلام، فقاطع العرب مصر، وعدّوا القائمين على الاتفاقية خونة للأمة، ومعطّلين لمصالحها، ولكنه مع الوقت بدأ يتعايش مع الحدث، ويتفاعل معه بإيجابية متنامية، على المستوى الرّسمي طبعا، فالشعوب تظل مستنكرة في الغالب لمظاهرة الهوان، وخطوات العار، التي يؤجّجها التمسّك بروح الإسلام، والثبات على مبادئه، وقد نقلت وكالات الأنباء العالمية تصريحا لمناحيم بيغن أدلى به في مؤتمر صحفي في اختتام زيارته التي قام بها لأمريكا في أغسطس ١٩٨١م: «إنني لن أطمئن على مستقبل معاهدة (كامب ديفيد) وملحقاتها مع مصر إلاّ بعد أن يتم القضاء نهائيا على الحركة الإسلامية في مصر بشكل خاص، وعلى الحركة الإسلامية

في كلّ المنطقة العربية بشكل عام»[1]، فالحركات الإسلامية بالدرجة الأولى تقف دائما في طليعة المناهضين للتعامل مع الكيان الصهيوني بأيّ شكل، وعلى أيّ مستوى.

ويقف بنا التقرير الذي نشرته جريدة «فيتو» في ١٠/ ٠١/ ٢٠١٢م عن كتاب أصدرته وزارة الخارجية المصرية بعنوان «تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر ودولة إسرائيل» على حقيقة ما جرّته هذه الاتفاقية من تنازلات، وضمانات سرّية ومعلنة طبعت المرحلة، وقد تمّ سحب هذا الكتاب بعد ساعات من نزوله الأسواق، وأفاد التقرير استنادا إلى نسخة حصلت عليها الجريدة منه بأنه تناول في أبوابه الإحدى عشر القيم المعلنة، والبنود السرّية في اتفاقية (كامب ديفيد)، ومن أبرزها التعاهد على:

- تبادل الزيارات، والتعاون بين قيادة وزارتي الداخلية والشرطة الإسرائيلية.
- تبادل المعلومات السرّية عن الملاحة البحرية والجوّية والطيران المدني، والتعاون الثقافي والزراعي والاقتصادي.
- توقيع توأمة بين التلفزيون المصري وهيئة الإذاعة العبرية، يتمّ بموجبها استضافة المحلّلين والمعلّقين السياسيين الإسرائيليين على شاشات التلفزيون المصري، كما يتمُّ الإعلان عن المنتجات الإسرائيلية للمشاهد المصري.

(١) صراعنا مع اليهود، ص١١٣-١١٤.

● منح التسهيلات التجارية للدولة العبرية شأنها شأن الدول العربية.

وهو تقريبا ما تمّ تطبيقه في الميدان في هذه المرحلة وما بعدها، حيث عكس الواقع هذه العهود، وجرى تطبيقها في السرّ والعلن، «وجاءت السنوات اللاّحقة لتوقيع المعاهدة لتشهد تحوّلا في الرأي العام المصري، فلقد بدا لمعظم المصريين أنّ شروط المعاهدة غير منصفة، وأنها تُنقص من سيادة مصر، وتكبّل حقّ إرادتها السياسية إلى حدٍّ كبير في إطار قيود والتزامات كلٍّ من الاتفاقية (كامب ديفيد)، والمعاهدة (معاهدة السلام ١٩٧٩م)، ومع قدوم صيف ١٩٨٠م ساهمت الغارة الجوية الإسرائيلية التي قصفت المفاعل النووي العراقي في ٥ يونيو ١٩٨٠م بعد يومين من لقاء (بيغن) و(السادات) في شرم الشيخ في القضاء على جانب كبير من الإيمان الذي كان قد ساور بعض المصريين في صدق رغبة إسرائيل في السلام»[1].

وبمنتهى المرارة علّق وزير الخارجية الأسبق (محمد إبراهيم كامل) في كتابه (السلام الضائع بعد كامب ديفيد) على ما سمّاه مذبحة التنازلات التي استقال بسببها قائلا: «بالنسبة لإطار السلام بين مصر وإسرائيل فقد تضمّن تعديلات كثيرة، لا يعنيني فيها إلاّ أنها كرّست القطيعة بين مصر وبين القضية الفلسطينية، فقد قضت على أيّ فكرة للارتباط بين الانسحاب الإسرائيلي من سيناء وتسوية القضية الفلسطينية، بل بلغت الوقاحة حدّا أنها لم تعلّق قيام السلام الكامل بين مصر وإسرائيل على إتمام الانسحاب الإسرائيلي الكامل من سيناء نفسها، بل أضيف إليه حكم بأنه بعد الانسحاب

(١) التطبيع والمطبعون، ص٦٤.

الإسرائيلي إلى خط العريش-رأس محمد الذي يتمّ بعد توقيع معاهدة السلام في مدّة تتراوح بين ثلاثة وتسعة أشهر تقوم علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل تشمل الاعتراف الكامل بما في ذلك إقامة العلاقات الدبلوماسية، وعلاقات اقتصادية وثقافية، وإنهاء الحصار الاقتصادي..»[1].

لقد أشعلت بنود هذه الاتفاقية والمعاهدة الضوء الأخضر لكلّ من تسوّل له نفسه إطلاق العنان لنزوات الاستسلام، وبيع الأرض والعرض، فظهر للعيان المطبّلون للكيان الصهيوني، وجاهروا برغباتهم المكبوتة في التعايش، والتنازل، والذلّ والهوان، «ومع قدوم العام ١٩٨١م وجد نظام السادات نفسه تحت ضغوط متزايدة، من الداخل والخارج على السواء، كانت إسرائيل تحرجه، وكانت الولايات المتحدة تخذله، وكان المعتدلون العرب قد أداروا له ظهورهم منذ وقت طويل، بينما اشتد عود المعارضة في الداخل، وصارت أكثر جرأة، وفي خضم ذلك جاءت الضربة القاضية التي قضت على السادات باغتياله في السادس من أكتوبر ١٩٨١م»[2].

المطلب الثاني:

المرحلة الثانية: من اتّفاقية أوسلو إلى احتلال العراق ٢٠٠٣م:

مهّدت منظمة التحرير الفلسطينية لدخولها في عملية السلام في الشرق الأوسط، عندما أعلنت خلال انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر في ١٢-١٥/ ١١/ ١٩٨٨ اعترافا رسميا بالقرار ١٨١ الصادر عن

(١) السلام الضائع بعد كامب ديفيد، ص٥٨٦.

(٢) تفاصيل الاختراق الإسرائيلي للعقل المصري، ص١١٢..

الأمم المتحدة في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧، والقاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية، واعترافها رسميا بالقرار ٢٤٢ الصادر عن الأمم المتحدة في ٢٢/ ١١/ ١٩٦٧.

كانت اتفاقية أوسلو[(١)] سيئة الذكر بمثابة المبرّر الرئيس للمنادين بالتطبيع مع الكيان الصهيوني، حيث زعموا أنها قد جسّدت لفلسطين كيانها، ورسّخت المؤسسات والوجود الفلسطيني في الضفة وغزّة، وأعادت إلى أرض الوطن عشرات الآلاف من اللاجئين من الشتات، غير أنّها في حقيقتها قد خدمت الكيان الصهيوني، وعزّزت دور المطبّلين له بما لم يسبق له مثيل في الجرأة، وحسبنا قول (شيمون بيريز) بخصوص هذه الاتفاقية: «فرحتي في أوسلو كانت مزدوجة، فقد صادف تلك الليلة أيضا عيد ميلادي السبعين، وقته قال لي أبو علاء (يعني أحمد قريع) وهو يبتسم بحرارة: الاتفاقية هي هديتنا لك في عيد ميلادك، قلت في نفسي: يا لها من هدية، هدية متميزة وغير متوقعة، بل من المستحيل تقييمها»[(٢)].

ولكن بعد مرور ٢٥ عامًا على توقيع اتفّاق أوسلو، عادت صحيفة (هآرتس) العبريّة إلى أحد مُخطّطي الاتفاق من الجانب الإسرائيليّ، وهو المُحامي يوئيل زينغر، (٦٨ عامًا)، الذي كان مُقرّبًا جدًا من رابين، وشارك

---

(١) تعرف رسميا باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي، وهو اتفاق سلام وقعته «إسرائيل» مع منظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ بحضور الرئيس الأمريكي السابق (بيل كليتنون).

(٢) الشرق أوسط الجديد، شيمن بيريز، ص٣٦.

في جميع الخطوات بداءً من المُفاوضات السريّة بين الطرفين وحتى ما بعد التوقيع على الاتفاق في البيت الأبيض يوم الـ١٣ من شهر أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٩٣م بحضور الرئيس الأمريكيّ آنذاك، بيل كلينتون.

وقالت مُراسلة الشؤون السياسيّة في الصحيفة، نوعا لانداو، التي أجرت مع المُحامي الإسرائيليّ لقاءً مُطوّلاً في مكتبه بالعاصمة الأمريكيّة، إنّ (زينغر) ينظر من مكتبه في الطابق السابع بواشنطن أكثر من عشرين عامًا على نتائج المشروع، الذي غيّر وجه الدولة العبريّة، وأيضًا سيرة حياته، ويتألّم لأنّه انتهى بصورةٍ تراجيديّةٍ، إذْ أنّ الرجل كان المُستشار القضائيّ لإسرائيل، وهو عمليًا التي قام بصياغة بنود الاتفاق سويّةً مع الفلسطينيين، أوْ كما أسمته «رجل رابين في أوسلو».

وبحسب الصحيفة[١]، قال (زينغر)، وهو جنرال في الاحتياط، الذي خدم في النيابة العسكريّة لجيش الاحتلال، بصورةٍ حازمةٍ وجازمةٍ لقد أهدرنا فرصةً نادرةً وغيرُ مسبوقةٍ، ارتكبنا الأخطاء، والآن لا يوجد أيّ أملٍ للتوصّل إلى سلامٍ بين الشعبين الإسرائيليّ والفلسطينيّ، ولا في السنوات القادمة أيضًا، ولكن حذارِ من أنْ ننسى بأنّ العمليات الفاشلة تشمل أيضًا خطوات ناجحة، التي يجب أنْ ندرسها ونستوعبها ونتعلّم منها، على حدّ تعبيره، حيثُ لفتت الصحيفة إلى أنّه شارك في عقد اتفاق السلام مع مصر ومع الأردن، واتفاقيّات فضّ الاشتباك مع سوريّة في العام ١٩٧٤.

(١) راجع الحوار في: صحيفة هآرتس الصادرة بتاريخ: ١٣/ ٠٩/ ٢٠١٨م.

واستعرض المُحامي (زينغر) الأخطاء التي ارتكبتها دولة الاحتلال خلال المُفاوضات، وبموازاة ذلك، عبّر عن النجاحات التي تمّ تحقيقها من خلال اتفاق أوسلو: فأكّد أنّ إسرائيل حقّقت ثلاثة أمورٍ إستراتيجيّةٍ من خلال اتفاق أوسلو:

- الاعتراف المُتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينيّة.

- اتفاق أوسلو فتح الباب على مصراعيه أمام الدولة العبريّة لتطبيع علاقاتها مع الدول العربيّة، ووضع حجر الأساس لتوقيع اتفاقٍ شاملٍ وعادلٍ ونهائيٍّ للصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، على حدّ قوله.

أمّا عن الإخفاقات التي ارتكبتها إسرائيل خلال المُفاوضات وصياغة الاتفاق فبرأي (زينغر) هي ثلاث أخطاء مصيريّة، جعلته يبكي اليوم على ما حصل، على حدّ قوله. والأخطاء هي برأيه: الرفض الإسرائيليّ القاطِع للطلب الفلسطينيّ بأنْ يشمل الاتفاق المُوقّع بين الطرفين تعهدًا إسرائيليًا بوقف الاستيطان في الضفّة الغربيّة المُحتلّة، والخطأ الثاني تمثّل في منح الفلسطينيين المسؤولية عن الأمن الداخليّ في المناطق التي تقرّر أنّها تابعةً لهم، لأنّ الفلسطينيين في ذلك الوقت، أكّد المُحامي الإسرائيليّ، لم يكونوا على استعداد لأنْ يتحمّلوا هذه المسئولية الكبيرة، والخطأ الثالث والأخير، تمثّل في الثقة الإسرائيليّة التي كانت من نصيب الرئيس الفلسطينيّ آنذاك (ياسر عرفات)، لافتًا إلى أنّ هذه الثقة كان يجب أنْ تكون مُقيّدةً أكثر، بحسب تعبيره. وأضاف قائلاً إنّ (رابين) لم يكُن يثق بعرفات، ولكنّه آثر

منح فرصةً له، ولكن مع مرور الأيّام، تابع (زينغر)، بدأت أرى بامّ أعيني كيف أنّ عرفات بات مُتشنجًا ويرفض التوقيع على اتفاقياتٍ وبنودٍ أخرى، ولخصّ الموقف من عرفات: «ارتكبنا خطأً حين اعتقدنا أنّ عرفات تغيّر».

وكشف المُحامي (زينغر) النقاب عن أنّ الوفد الإسرائيليّ هدّدّ الفلسطينيين بأنّه رفضهم الاعتراف بإسرائيل، كما أرادت، سيمنعهم من الوصول إلى الضفّة الغربيّة وإلى غزّة، وأكّد قائلا: أوْ تعترفوا بإسرائيل، أوْ تبقوا في تونس، لا يوجد خيار ثالث، فوافقوا.

كما قال: صحيح إنّ اتّفاق (أوسلو) قد فَشل، ولكن اليوم في المنطقة لا يوجد سوى هذا الاتّفاق الذي يُطبّق بشكلٍ أوْ بآخر على الأرض، صحيح أنّ الواقع تغيّر، ولكن علينا ألّا ننتظر أنْ يعود الواقع إلى ما كان عليه، علينا أنْ نعمل من أجل خلق الواقع للاستمرار في عملية السلام مع الفلسطينيين، الذين أرى بهم أعدائي، ولكن مع الأعداء فقط يصنعون السلام، بحسب تعبيره.

وأُعقبت خطوة (أوسلو) باتفاقية بين الأردن والكيان الصهيوني عام ١٩٩٤ سميت باتفاقية (وادي عربة) نسبة إلى المكان الذي عقدت فيه في أغوار الأردن، وكان من بنودها اعتراف الكيان الصهيوني بحق الأردن بملكية ما اغتصبه اليهود من أراض أردنية، ولكن بشرط أن لا يردها اليهود إلى الأردن، وإنما تؤجرها للكيان الصهيوني مدة ٩٩ سنة، «وبعد أن أوشك الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي أن يقترب من تسوية مؤقتة بعد اتفاق أوسلو الذي تمّ التوقيع عليه في واشنطن في ١٣/ ٩/ ١٩٩٣، تلاشى هذا الأمل

المكذوب، وتراجعت احتمالات السلام أمام حروب لا تنتهي من الجدل القائم على التاريخ وأسانيد القانون، وعلى الرغم من أنّ جوهر التسوية المجحفة أخذ في الاعتبار كلّ الأطماع الصهيونية في مقابل إهدار كامل للحقوق الفلسطينية كافةً، فقد عملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على إفراغ هذه التسوية من أيّ مضمون جدّي بعد أن تحقّق لإسرائيل ما كانت تتطلّع إليه من اعتراف فلسطيني بها»[1].

هذه المرحلة التي بدأت بعد التحوّلات الهامة على الصعيدين الإقليمي متمثّلا في كارثة غزو الكويت وخروج العراق من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي، والعالمي متمثلا في انهيار الاتّحاد السوفييتي، والمنظومة الاشتراكية و فقدان العرب لحليف يعادل حليف إسرائيل الأمريكي. ومع ذلك كانت إسرائيل تستجدي التطبيع من خلال إغراء النفوس الضعيفة من الكُتّاب المرتزقة، وأبواق اليمين الرّجعي، وصُنّاع القرار، وبعض التُجار وأصحاب الشركات، وحتى الأكاديميين من أساتذة الجامعات والباحثين في مصر والأردن بالتّحديد، وشهدت هذه المرحلة تبادل الزيارات التي بقيت محدودةً ضمن وفود رسمية أردنية في مؤتمرات إقليمية حول بعض القضايا الإقليمية كالمياه والبيئة.

«لقد طمأنت هذه المرحلة الدوائر الإسرائيلية على قبول أصحاب الأرض بالأمر الواقع، واعترافهم بـ «إسرائيل»، وتخلّيهم عن حقوقهم،

(١) مسار المفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ص٧.

وفي هذا السّياق تمّ تبنّي الرؤية الأمريكية للصراع العربي الإسرائيلي، المتمثّلة في الحلّ الأوحد بإنهاء الصراع، والرضا بالحال على ما هو عليه ولو على حساب حقوق الشعب الفلسطيني، لإرساء الاستقرار في المنطقة، وتحقيق التنمية الاقتصادية»[١].

وعلى الصعيد المغربي لم يكن الأمر شديد الاختلاف، فقد احتضنت (الدار البيضاء) مؤتمر القمة الاقتصادية للتنمية بالشرق الأوسط سنة ١٩٩٤م بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة لانعقاد مؤتمر مدريد، وبرعاية إسرائيلية أمريكية، حيث وجّهت الدّعوة لأزيد من ستين دولة عربية وأجنبية، وشاركت فيه «إسرائيل» بوفد كبير ضم تسعة وزراء، واعترف العاهل (الحسن الثاني) أنّ الغاية من عقد المؤتمر هي إنهاءُ القطيعة مع الكيان الصهيوني، معلنا أنّ المقاطعةَ قد سقطت بشكلٍ علني، خاصّة وأنّ الأولوية قد كانت لـ (شيمون بيريز) في اعتلاء المنصّة، والمناسبة كانت متاحة لـ (رابين) ليعلن على الملأ بأنّ القدس هي العاصمة الموحّدة والأبدية لإسرائيل، ولخص (بيريز) هدف إسرائيل من المؤتمر قائلا: «الأولوية ستعطى لإخراج إسرائيل من عزلة استمرت نصف قرن عبر المشاركة في إنشاء اقتصاد إقليمي في الشرق الأوسط على غرار الاتحاد الأوربي»[٢]، وفعلا تمّ الأمر،

(١) اتفاقية كامب ديفيد الإسرائيلية-المصرية وأثرها على القضية الفلسطينية (١٩٧٨-١٩٩٣)، زياد خضر، ص٩٦.

(٢) التحديات الشرق أوسطية الجديدة والوطن العربي، مناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، ص٦٠-٦١.

فقد اكتسحت مشاريع رجال الأعمال الصهاينة جلسات المؤتمر على مدى ثلاثة أيام، وظفرت بالضوء الأخضر للانطلاق في عدة مجالات استراتيجية خدمة لمصالح الكيان الصهيوني الاقتصادية والأمنية والاجتماعية، وخرجت من المؤتمر باعتراف عربي بدورها الإقليمي، وإلغاء المقاطعة العربية، كاسبة إلى جانبها مهرولين جدد من العرب.

«وبينما جاءت الموجة الثانية للتطبيع أعتى من الأولى، وفي ظروف أقلّ ملاءمةً للحركة الشعبية لمقاومة التطبيع، بما رافقها من التباسات جراء انخراط منظمة التحرير الفلسطينية في منظومة (أوسلو)، والضغوط التي كان يتعرّض لها التياران القومي والإسلامي في أعقاب حرب الخليج الثانية، وانخراط الجناح الجهادي من التيار الإسلامي في أعمال عنف ضد الحكومات، إلا أنها كانت مزوّدة بوعي التجربة الأولى في مصر، وخبرة الانتفاضة الأولى في فلسطين، وجشع القيادة العنصرية في إسرائيل التي أرادت أن تحوز كل شيء بدون مقابل، وبلغت فجاجتها مداها في فترة حكومة نتنياهو (١٩٩٦م) الذي عرقل كلّ جهود التسوية، وقد انكفأت هذه الموجة بدورها بثلاثة أحداث كبرى:ـ أوّلها: نجاح المقاومة الشعبية في لبنان بقيادة حزب الله في طرد الاحتلال الإسرائيلي من جنوب لبنان بلا سفارة ولا تجارة، وانفجار انتفاضة الأقصى، واندلاع مظاهرات الاحتجاج العربية في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني»[١].

(١) مقاومة التطبيع: ثلاثون عاما من المواجهة، محسن عوض، ضمن كتاب (التطبيع والمطبعون)، ص٢٨٥.

وعليه فقد خلص المحلّلون والمتابعون لأحداث هذه الحقبة إلى أنّها زادت الهوان هوانا، والاحتلال تمكّنا، فقد كان الغرض الأساسي منها تحقيق أقصى الإنجازات على حساب الحقوق الفلسطينية، وإضفاء شرعية على احتلال «إسرائيل» لأكثر من ٧٨٪ من مساحة فلسطين التاريخية، وتجريم نضالات الشعب الفلسطيني، وتقييد الكيان الفلسطيني المزمع إنشاؤه بقيود والتزامات أمنية وسياسية واقتصادية بعيدة المدى تخدم «إسرائيل» بما لا يتناسب مع أدنى الحقوق الفلسطينية، وحتى عام ١٩٩٨م مع انقضاء فترة المفاوضات للمرحلة الانتقالية (الخمس سنوات) والتحوّل من صيغة الحكم الذاتي إلى الدولة الفلسطينية، ومفاوضات «وايريفر» بين رئيس الوزراء الإسرائيلي (أرييل شارون) والرئيس الفلسطيني الراحل (ياسر عرفات) برعاية أميركية، والتي اكتشف فيها (عرفات) بأنّ «الإسرائيليين» قد خدعوه وأنّ الأميركيين قد ضلّلوه، وماتفاق (أوسلو) سوى مناورة مخطط لها مسبقاً لإنهاء الانتفاضة وتشكيل سلطة وهمية عليها واجبات أمنية من دون التزامات «إسرائيلية» حقيقية، ومع مرور السنوات واستجلاء الصورة تبيّن كارثية اتفاق (أوسلو) وتداعياته على المشروع الوطني برمّته، وترسّخت حقائق على الأرض لصالح «إسرائيل» وعلى حساب الحقوق الفلسطينية، ومن أهمّ هذه التداعيات التي أثقلت على القضية الفلسطينية برمّتها واستشعرها كلّ فلسطيني في الداخل أو الشتات ما عرضته إحدى الدراسات على النحو الآتي[١]:

---

(١) اتفاق أوسلو: التداعيات الكارثية على القضية الفلسطينية، أسامة يوسف، ٣٠ سبتمبر ٢٠١٧، موقع العربي الجديد.

أولاً: تكريس واقع سلطة وهمية تحمي الاحتلال:

بالمحصلة ومن دون الخوض في التفاصيل، فإنّ «إسرائيل» نجحت بامتياز في تطوير احتلالها المناطق الفلسطينية لتحوّله إلى احتلال «ناعم» من دون أن تتحمّل «إسرائيل» أيّ تكاليف وتحسّن صورتها أمام العالم بعيداً عن المسّ بجوهر الاحتلال، فقد أفرز اتّفاق (أوسلو) سلطة بصلاحيات بلدية وأجهزة أمنية متضخّمة من دون أن تمارس هذه السلطة أيّ شكل من أشكال السيادة، وبدل أن يحمي رجل الأمن الفلسطيني أمن المواطن ويدافع عن الوطن من الاعتداءات الإسرائيلية، أصبح دوره ينحصر في حماية أمن المستوطنين ومحاربة المقاومة، وبدل أن يشكّل المؤسسات الفلسطينية والوزارات التي من المفترض أن تكون سيادية ورافعة لمشروع الدولة الفلسطينية تحوّلت إلى مكاتب خدمية غارقة في مشاكل المواطنين الحياتية وفي معالجة تغوّل الاحتلال واعتداءاته خاصة في الضفة الغربية، وعزّزت «إسرائيل» هذه السلطة الوهمية بمحفزاتٍ ماليةٍ برعايةٍ أميركيةٍ وتحمّس أوروبي والذي أوجد جيشا من الموظّفين يعتمد على المال السياسي الذي تقدّمه أوروبا ودولُ العالم الأخرى، كما أوجد طبقةً منتفعةً مالياً وسياسياً من قيادات هذه السلطة تشابكت مصالحها مع استمرار وبقاءِ هذه السلطةِ، وتضخّمت هذه الطبقة وتعاظمت منافعها مع التشجيع «الإسرائيلي» بخدمات (VIP) وحرية السّفر إلى الخارج لتحوّل المشروع الوطني إلى لقاءات وزيارات ومباحثات وسفريّاتٍ هنا وهناك، حتى إنّ المسؤول يقضي أكثر من نصف أيام السنة

خارج الوطن في الفنادق، وفي التنقّل بين العواصم وفي حضور المؤتمرات التي قد يكون للشأن الفلسطيني علاقة بها.

ثانياً: انقسام سياسي ثم انقسام جغرافي:

لم يكن الانقسام الجغرافي بين غزة والضفة عام ٢٠٠٧م إلاّ نتيجة منطقية لحالة الانقسام السياسي الذي تبلور مع توقيع اتفاق (أوسلو)، فقد جسّد الاتفاق منهجين مختلفين؛ الأوّل الذي انخرط في مشروع التسوية بالاستناد إلى البعد الإقليمي والدولي على أرضية الشرعية الدولية، والثاني مشروع المقاومة والتمسّك بالثوابت ورفض الحلول التصفوية للقضية الفلسطينية، ومع الوقت تحول الانقسام السياسي إلى انقسام وشرخ أفقي على المستوى الجماهيري، وعمودي على مستوى النخب السياسية والثقافية، وبما أنّ مشروع التسوية هو خيار النظام العربي الرّسمي وبالتأكيد الخيار «الإسرائيلي» والأميركي بإسناد أوربّي فإنّ الانقسام لا محالة واقع بين أغلبية الشعب الفلسطيني وفصائل المقاومة وبين أنصار التسوية من تيار حركة فتح وبعض الفصائل الثانوية الأخرى التي تشكل العمود الفقري للسلطة الفلسطينية.

ثالثاً: توفير بيئة آمنة للمستوطنين في الضفة الغربية:

التنسيق الأمني الذي يعتبر جوهر اتفاق (أوسلو) ساهم ليس في تقليص المقاومة فحسب، بل نجح في منعها كاملاً لعدّة سنوات متواصلة وباستثناء مرحلة انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠م حتى اغتيال الرئيس الراحل

(ياسر عرفات)، والتي تراجع فيها التنسيق الأمني بشكل كبير، فإنّ هذا التنسيق أوجد بيئة مريحة للاحتلال والمستوطنين خاصة بعد العام ٢٠٠٥م، وإعادة تأهيل الأجهزة الأمنية بإشراف الجنرال الأميركي (كيث دايتون) في الضفة الغربية وإعادة تشكيل قيادة السلطة بما يخدم الهدف «الإسرائيلي» وإدامة وتعميق التنسيق الأمني، وتراجع المقاومة وغيابها بالكامل ولفترات طويلة، شجّع المستوطنين وبدعم من حكومات اليمين المتطرّف على الاستيطان في الضفة الغربية وزيادة ما يسمّى بالبؤر الاستيطانية العشوائية.

رابعاً: إضعاف الموقف الفلسطيني وتعزيز مكانة «إسرائيل» الإقليمية والدولية:

ذهاب منظمة التحرير إلى (أوسلو) منفردة وإجراء مفاوضات سرّية ساهم في إبعاد القضية الفلسطينية عن عمقه االعربي والإسلامي، وتوفير الذريعة للمهرولين من الدول العربية والإسلامية لنسج علاقات سرّية وعلنية مع «إسرائيل»، وتشجيع التطبيع معها على أرضية أنّ الفلسطينيين لهم سلطة ويفاوضون نيابة عن أنفسهم وهم أعرف بمصلحتهم «وهم ليسوا بملكيين أكثر من الملك»، كما وظفت «إسرائيل» اتفاق (أوسلو) والسلطة الفلسطينية الناتجة عنه في تحسين صورتها أمام العالم وتوسيع مساحة علاقاتها الدولية، ومواجهة حملات المقاطعة الدولية من منطلق وجود مسيرة سلمية ومفاوضات مع السلطة الفلسطينية الغير متحمسة لمواجهة «إسرائيل» على الساحة الدولية.

المطلب الثالث:

المرحلة الثالثة: من احتلال العراق إلى يومنا هذا:

جاءت هذه المرحلة في ظروف دموية عبر عدّة بقاع من العالم، «واستحدثت العديد من الآليات الجديدة تحت مقولاتِ مكافحة الإرهاب، ونشر الديمقراطية، وتعزيز فُرص التنمية، فتحمل دلالتين في المواجهة الشعبية، إذ جعلت مقاومة التطبيع أكثر يُسرا، لأنّ حماقات «إسرائيل» واعتداءاتها المتواصلة أثبتت صدق تحليل الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية والتطبيع اتّجاه أهداف التحالف الصهيوني الأمريكي، وكذا جراء بروز أثر نماذج المقاومة الشعبية في العراق وفلسطين ولبنان، وقدرتها على إفشال المشاريع الصهيونية، أمّا موضع الصعوبة فيتمثّل في الآليات الجديدة التي دفع بها التحالف الصهيوني الأمريكي، والتي خلّفت حوافز جاذبة للنُظم وبعض القوى الاجتماعية، وأخرى سلبية مثل آليات مكافحة الإرهاب، وتوسيع نطاق الضغوط على التيار الإسلامي وتنظيماته، وتكثيف استخدام الإجراءات والعقوبات الدولية ضد النظم والتنظيمات الممانعة»(١).

وتعتبرُ هذه المرحلة أخطرَ المراحل، وأكثرها جرأةً في الانبطاح للصهيونية العالمية، والتسابق لإرضائها عبر الخروج من العلاقات السرّية إلى العلن، والتحجّج بالمصالح الإقليمية للتعامل مع «إسرائيل».

---

(١) مقاومة التطبيع: ثلاثون عاما من المواجهة، ص٢٨٥.

حيث ميّزتها زيارات شبه علنية ومصافحات بين بعض المسؤولين خلال اللقاءات الدولية وتبادل وفود خرجت عن الأُطر الدبلوماسية فكانت هناك وفود سياحية و تجارية إلى مصر والأردن وتونس والمغرب وشمال العراق، و بدأنا نشاهد اسم شركة العال للطيران على شاشات مواعيد الطيران في مطارات عمان و القاهرة، كما زادت كثافة هذه النشاطات التطبيعية بالتزامن مع الربيع العربي الذي أجّجته وساندته إسرائيل وأمريكا بكلّ قوةٍ.

ونحن الآن في نهاية المرحلة الثالثة التي شهدت منذ تولّي (ترامب) الرئاسة الأمريكية تسارعا في وتيرتها لم تشهد لها مثيلا، «ففي الْيَوم الواحد تسمع أو تقرأ أخبارًا مختلفة عن زيارات و تصريحات على القنوات الفضائية لمسؤولين كبار عن ضرورة التعايش والسلام، وما سيجلبه من استقرارٍ ورفاهيةٍ اقتصادية، ولقاءات علنية وصور تنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، وتجار إماراتيون وعراقيون وإسرائيليون يشتركون في صفقات بيع آثار تاريخية مسروقة من المتحف العراقي إلى أمريكا وإسرائيل بمساعدة سياسيين عراقيين فاسدين، وارتفاع الأعلام الإسرائيلية في سماء كردستان، وزيارات فنانين لمعارض إسرائيلية، ووفد شعبي من مملكة البحرين العظمى يزور القدس بعد اعتراف (ترامب) بها عاصمة لإسرائيل، ووزير إسرائيلي يبحث مع مسؤولين سعوديين إحياء طريق الحجاز للسكة الحديد و ربطه بميناء حيفا، ووزير خارجية السعودية يقول نحن بانتظار معاهدة السلام

الأمريكية بين الفلسطينيين وإسرائيل «صفقة القرن» كي تُفتح السفارات ويتمّ التطبيع النهائي بين السعودية وعدوّها العاقل على حد تعبير أحمد عشقي»[1].

* * *

(١) مراحل التصهين العربي، زياد العاني، موقع (ساحة التحرير)، ١٧/ ١٢/ ٢٠١٧.

المبحث الثاني
أهمّ شخصيات التصهين العربي

المطلب الأول:
المتصهينون من رموز العلم والفكر

لا يغمض للكيان الصهيوني جفن وهو يرى تألّق بعض العرب في العلوم، والتخصّصات التكنولوجية الدقيقة، فيسعى إمّا إلى استمالتهم، أو اغتيالهم حتى لا تستفيد منهم الأمّة العربية في نهضتها، ولا المقاومة الفلسطينية في جهادها، ولا أدلّ على المسار الثاني من شهداء العلم: يحي المشدّ(١)، وسميرة موسى(٢)، والمهندس الزواري(٣) الذي اغتيل في تونس، وفادي البطش الذي اغتيل في ماليزيا(٤)، أمّا المسار الأوّل فلا أخزى من

(١) عالم مصري تخصص في هندسة المفاعلات النووية، اغتيل في يونيو ١٩٨٠ بباريس، لحرمان العراق من الاستفادة منه في بناء مشروعه النووي في أعقاب صلح السادات مع «إسرائيل»، وقيادة العراق الرفض العربي لهذا الصلح، واعترفت «إسرائيل» باغتياله بحجة الحيلولة دون وصول العراق إلأى مكانة نووية عالمية.

(٢) أول عالمة مصرية في مجال الذرة، اغتيلت في حادث غامض في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢م، بعد قرارها العودة إلى مصر لنقل العلوم النووية إليها.

(٣) محمد الزواري (١٩٦٧-٢٠١٦) مهندس تونسي، وعضو في كتائب عز الدين القسام، مختص في صناعة الطائرات بدون طيار، ساعد المقاومة الفلسطينية بخبرته، وإبداعه، وقاد مشروع أبابيل١، تعقبه الموساد واغتاله بتونس في ديسمبر ٢٠١٦م.

(٤) فادي البطش (١٩٨٣-٢٠١٨)، عالم فلسطيني حاصل على الدكتوراه في الهندسة الكهربائية، مستقر في ماليزيا حيث يمارس التدريس الجامعي، والنشاط المسجدي، ويتواصل مع حركة المقاومة في فلسطين في إطار تطوير مقدراتها العسكرية والاستطلاعية، اغتيل أمام المسجد في صلاة الفجر يوم ٢١ أبريل ٢٠١٨م.

انتهاجه، وحسبنا تدليلا عليه في مجال العلوم والتكنولوجيا الحائز على جائزة نوبل (أحمد زويل) الذي قدّم علمه وخبرته للكيان الصهيوني على طبق من ذهب.

يحمل (أحمد زويل) الجنسية الأمريكية، لكنه عربي المولد والجذور، وله مسار علمي حافل قدّم ثمرته للولايات المتحدة الأمريكية، ولم يبخل على ربيبتها «إسرائيل»، حيث «قام (أحمد زويل) بالتعبير عن موقفه من الصراع العربي الصهيوني بشكل عملي، وانطلاقا من كونه مواطنا أمريكيا، لا يجد حرجا في زيارة «إسرائيل»، وإلقاء كلمة أمام الكنيست مرّتين، مرّة بمناسبة تكريم الكنيست له ومنحه جائزة إسرائيلية، والمرّة الأخرى بمناسبة تكريمه خلال رحلة عمل قام بها للدولة الصهيونية، لمساعدة الجيش الصهيوني في تطوير منظومة صواريخ تعمل بالليزر أرض أرض، وأرض جو، ليتم التعامل خلالها مع صواريخ حزب الله في الجنوب اللبناني، وبالفعل مكث (زويل) بمعهد وايزمان بحيفا ستة أشهر للقيام بالمهمة الموكلة إليه، باعتباره عالما أمريكيا استعارته «إسرائيل» من شقيقتها الكبرى الولايات المتحدة»[1].

ولم يكن (زويل) يخجل من المجاهرة بزياراته للكيان الصهيوني، مفتخرا بجنسيته الأمريكية، وعلاقاته الودّية مع «الدول الرائدة» في مجال التكنولوجيا الحديثة.

وفي الجانب الأدبي والثقافي يبرز نموذج الأديب المصري العالمي (نجيب محفوظ) والحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م، «حيث كان من

(١) التطبيع والمطبعون، ص١٠٧٠.

أوائل الذين وقعوا في مستنقع التطبيع، وأيّد الرئيس (أنور السادات) في خطواته مع الكيان الصهيوني، ورحّب بمعاهدة السلام، بل أنه كان يفاخر في حواراته بأنه كان سبآّقا في الدعوة إلى «السلام» مع الكيان الصهيوني»[1]، ويُرصدُ في هذا التيآّر توجّه كلٍّ من: توفيق الحكيم، وأنيس منصور، وسعد الدين إبراهيم، والمؤرخ عبد العظيم رمضان.. وغيرهم من مثقفي مصر وأدبائها ممّن تخلّوا عن القضية الفلسطينية، وفلسفوا التطبيع تحت غطاء التعايش السلمي، والتقارب الإنساني.

المطلب الثاني: المتصهينون من رموز السياسة:

أولا: العائلة الهاشمية المالكة:

اشتهر الملك (حسين بن طلال) بكثرة لقاءاته السرّية مع الزعماء الصهاينة، عبر كل سنوات حكمه، وفي مناطق مختلفة من العالم، على النحو الذي بسطنا الحديث فيه، وقد كتب (آرييه تاؤور) في صحيفة هآرتس بتاريخ ٣/ ١١/ ١٩٨٥ عن هذه الجهود التي بذلها للتقرّب من الصهاينة فقال: «إنه عندما تفتح الأرشيفات، يتضح أن الملك حسين انهمك-أكثر من اي زعيم عربي آخر-في المفاوضات المباشرة مع إسرائيل، وبدون شروط مسبقة، وربما يزيد عدد الساعات التي قضاها زعماء إسرائيليون في المحادثات مع الملك، على مجموع الساعات التي استغرقتها المفاوضات المباشرة، التي أجريت مع الزعماء العرب الآخرين»، وعندما سئل عن حقيقة اتصالاته مع

(١) أصدقاء إسرائيل في مصر، محمود عبده، ص٢١١.

الصهاينة قال: «قواعد اللعبة تقضي ألاّ يؤكد المرء أو ينفي شيئا»[١] ولم يكن بدعا من السُّلالة الحاكمة، فقد فتح أسلافه الباب على مصراعيه للعلاقات المشبوهة مع الشخصيات الصهيونية في مرحلة مبكّرة من تاريخ العلاقات.

ثانيا: رؤساء مصر:

برز الرئيس المصري الأسبق (أنور السادات) كرمز للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وساند بعض الكُتاب والساسة المصريين الرئيس (أنور السادات) في موقفه الانسلاخي من جسد الأمة العربية، داعمين له في اتّجاهه للاعتراف بالكيان الصهيوني، أمثال (بطرس غالي)، والكاتب اليساري الراحل (محمد سيد أحمد)، حيث دعوا للتصالح مع الكيان الصهيوني والاعتراف به، شريطة أن يندمج في الجسم العربي الكبير، وأن «يتعرّب» الصهاينة، ويصبحوا جزءا من العالم العربي، وهي الدعوة التي أثارت حفيظة الرموز الصهيونية بدل احتفائها، حيث ردّ السفير الإسرائيلي الأسبق في مصر عليها قائلا: «إنّ مفهوم التعايش لدى الصهاينة هو أن يقبل العرب الدولة الصهيونية دون محاولة لتعريبها، أو دمجها في الأمة العربية»[٢].

وبالنسبة لهذا السفير -من خلال السنوات الأربع التي قضاها في مصر- فإنّ أبرز الشخصيات التي خدمت الصهيونية في عهده هي[٣]:

---

(١) شئون فلسطينية، العددان ١٥٨-١٥٩، نقلا عن معاريف: ١٦/ ١٠/ ١٩٨٥.

(٢) يُنظر: التطبيع والمطبعون، ص١٠٨.

(٣) مذكرات ديفيد بن سلطان، ص٣٨ وما بعدها.

● وزير الخارجية (عمرو موسى) الذي استمر في مواقفه المتلونة حتى بعد ثورة ٢٠١١م، مستغلا نفوذه كأمين عام لجامعة الدول العربية.

● أسامة الباز، مستشار الرئيس للشئون الخارجية.

● رئيس المخابرات العامة المصرية عمر سليمان.

● وزير الإعلام (صفوت الشريف).

● مصطفى خليل الذي كان من معاوني السادات المقرّبين في فترة عقد الاتفاقيات، وصار مرجعية من مرجعيات التطبيع في عهد حسني مبارك، حتى وصفه بعضهم بأنه سفير الإسرائيليين في مصر.

نضيف إلى هؤلاء:

فاروق حسني: وزير الثقافة الأسبق، والأطول عمرا في هذا المنصب، والذي فتح باب الوزارة للتطبيع مع الكيان الصهيوني، خاصة عند رغبته في كسب التأييد الإسرائيلي في ترشّحه لليونسكو، ولكنه فشل في ذلك، ففي يونيو ٢٠٠٨م أدلى بتصريحات لصحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية قال فيه: «إنه لا يكره إسرائيل، ولا يمانع في التطبيع معها» وحتى لا يثير ردود الفعل العربية اشترط في ذلك توصل الإسرائيليين إلى اتفاق نهائي مع العرب بشأن القضية الفلسطينية، وبلغ به السعي للظفر برئاسة اليونسكو إلى طمأنة الإسرائيليين بأن تعامله معهم كوزير للثقافة المصرية سيختلف كثيرا عنه وهو مدير لليونسكو، بما يشير إلى اعتبارها دولة ذات حقوق، وفتح أبواب

اليونسكو لاحتضانها، ولخّص مستشاره الإعلامي موقفه قائلا: «إنّ الوزير يرغب في التطبيع مع إسرائيل، لكنه يخشى المثقفين المصريين»[١].

كذلك (زاهي حواس) الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار، والذي باشر في أغسطس ٢٠٠٩م بدء أعمال الترميم والإصلاحات الكبرى في معبد «موسى بن ميمون» بالقاهرة، بجانب رصد ملايين الدولارات لترميم باقي الآثار اليهودية الموجودة بمصر، وهي الخطوة التي اعتبرتها الدوائر الصهيونية هدية قدمها وزير الثقافة (فاروق حسني) للإسرائيليين من تحت الطاولة[٢].

ويعتبر (عبد الفتاح السيسي) -حاليا- بمثابة الرّاعي الرسمي للتصهين العربي، فقد بادر بمجرّد انقلابه على الرئيس المنتخب (محمد مرسي)[٣] الذي سحب سفير بلاده من دولة الكيان تنديدا بالهجوم العسكري على قطاع غزة في ٢٠١٢م بتعيين سفير لديها، لتعاود «إسرائيل» بدورها فتح سفارتها بالقاهرة بعد أربع سنوات من الإغلاق، بل لم تكن «إسرائيل» تحلم يوما بتحقيق النفوذ والوجود اللذين حققتهما في ظل رئاسته، الأمر الذي دفع صحيفة (يديعوت أحرونوت) لأن تكتب أنه على (تل أبيب) أن تصلي من أجل (السيسي) في ظل المشاكل الاقتصادية التي تواجهه، فالسيسي هو الكنز

(١) اليوم السابع، يناير ٢٠٠٩م.

(٢) صحيفة معاريف، ٢٥/٨/٢٠٠٩م.

(٣) محمد مرسي، من مواليد ١٩٥١ بالعدوة بمصر، الرئيس الخامس لجمهورية مصر العربية، والأول بعد ثورة ٢٥ يناير، وهو أول رئيس مدني منتخب، زّجّ به في السجن ظلما وتلفيقا لعدّة تهم.

الاستراتيجي -كما وصفته-، فخلال لقائه بقادة التنظيمات اليهودية الأمريكية التي تعبّر عن اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة في فبراير ٢٠١٦م أغرق نظيره (بنيامين نتنياهو) بعبارات المدح والإطراء، واعتبره زعيما له قوّة جبّارة لا تمكّنه فقط من قيادة دولته إسرائيل، بل وتعزيز وتطوير المنطقة كلّها والعالم، كما أبدى (السيسي) استعداده التام لإعطاء إسرائيل كلّ الضمانات من أجل أمنها، مسمّيا ذكرى النكبة بعيد الاستقلال، في مقابل تضييقه على الفلسطينيين، وغلق المنافذ عليهم، بل وقطع الكهرباء عنهم، وقامت السلطات المصرية في فبراير ٢٠١٦م بإغراق أنفاق غزّة بناء على طلب إسرائيل، حتى أنّ (يائير جولان) نائب رئيس أركان جيش الاحتلال لم يتردّد في التأكيد على مساعدة نظام مصر لدولته في محاصرة غزة[١].

ولا يُنسى في هذا السياقِ قرار الحكومة المصرية في ١ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥م بالتصويت لأوّل مرة لصالح إسرائيل في الأمم المتحدة مدعّمة ترشحها لعضوية لجنة الأمم المتحدة لشئون الاستخدامات السلمية للفضاء الخارجي في الوقت الذي كانت تشهد فيه الضفة الغربية الانتفاضة الثالثة[٢].

وعلى نهج الرئيس، سار بابا الكنيسة القبطية (تواضروس الثاني) بقيامه في ديسمبر ٢٠١٥م بزيارة للقدس مخالفا قرار المجمّع المقدّس للكنيسة، والذي

---

(١) عن تقارير صحيفتي (القدس العربي) و(رأي اليوم) الصادرتين بلندن.

(٢) يُستفادُ في الموضوع من مقالة: السيسي وإسرائيل: سجلّ اللقاءات السرّية، والتنسيق العسكري، والانحياز للاحتلال، على يومية العربي الجديد الالكترونية بتاريخ:٦ يناير٢٠١٩م، على الرابط: /www.alaraby.co.uk/politics/2019/1/5

يمنع أيّ مسيحي مصري من زيارة القدس إلى غاية تحريرها، مهدّدًا المخالفين بالطرد والحرمان، وتمّت التغطية على هذا التجاوز بتعليل سبب الزيارة التي كانت رعوية، أي لصلاة الجنازة على الأنبا إبراهيم مطران الكرسي الأورشليمي بالشرق الأدنى.

كلّ هذه التنازلات استقبلتها السلطات الإسرائيلية بغبطة معلنة، حيث قال رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو) إنه لم يخطر بباله يوما أنه سيشهد في حياته مثل تلك العلاقات مع بعض حكام العرب، وأضاف في لقاء له مع برنامج «نيوزنايت» على قناة «بي بي سي» البريطانية أثناء زيارته إلى لندن في مستهل عام ٢٠١٨م، أنه يعتقد بأنّ التعاون الأوثق مع الدول العربية سيشقّ «طريق السلام»، وأكّد أنّ العلاقات مع العالم العربي لم تكن في يوم من الأيام أفضل مما هي عليه الآن.

وتابع: «إسرائيل تنتهج سياسة التطبيع تحت السطح مع البلدان العربية التي ستنجز في نهاية المطاف صفقة السلام مع الفلسطينيين»، بحسب ما نقل موقع «ميدل إيست آي» البريطاني عن (نتنياهو) في تصريحاته التلفزيونية، وقال (نتنياهو) في هذا الصدد: «لم يكن ليخطر ببالي أنني سأشهد في حياتي مثل هذه العلاقات الودية وهذا التعاون بين إسرائيل والدول العربية. وهنا الشيء الذي يبشر بكلّ خير: بدأ هذا الأمر يؤثّر في الرأي العام في البلدان العربية، فقد بدأوا يفكرون بإسرائيل بشكل مختلف وهذا هو ما كان يتطلّع إليه الإسرائيليون. ولقد تعمدت انتهاج هذه السياسة من التعاون مع العالم

العربي ليس فقط لأن ذلك في حد ذاته أمر جيد بل أيضاً لأنني أعتقد بأن ذلك سيمهد الطريق نحو السلام».

وهناك شهادات بالغة الدلالة عن عمق «الصهينة» واستفحال خطرها في عهد «المشير»، فالمحلل الصهيوني للشؤون العربيّة «آفي إيسخاروف»؛ يذكر على موقع (واللا WALLA) الإخباري: أنّ «المشير» «أثبت مجددًا أنّه الزعيم الأشجع في المنطقة، فقد تجرّأ وفعل ما يحاول آخرون فعله طوال الوقت؛ بعيدا عن رصد وسائل الإعلام، واجتمع بقادة صهاينة؛ منهم رئيس الحكومة (بنيامين نتنياهو)، ووزير الأمن (أفيغدور ليبرمان)!!» .

ثالثا: ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة:

ولقد جسّد تطوّرا غير مسبوق للنّظرة الإيجابية للكيان الصهيوني في لقائه مع الحاخام اليهودي (مارك شناير) رئيس مؤسسة (إثنك أندرستاندنغ) أثناء استضافته بقصر المنامة في مايو ٢٠١٨م، حيث اعتبر إسرائيل دولة صديقة، وأنها الحليف الأول لدول الخليج العربي في مواجهة منظمة حزب الله «الإرهابية»، والمدّ الإيراني في المنطقة، وأكّد الدكتور (عبد الهادي خلف) الأكاديمي البحريني أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة لوند في السويد، أنّ التطبيع البحريني مع إسرائيل خرج إلى العلن. وقال خلف في مقالة له إنه بعد إعلان «إسرائيل» عن شن هجومٍ بالصواريخ على أهداف في سوريا، سارع وزير خارجية البحرين بإعلانٍ تأييده للهجوم باعتباره حقاً مشروعاً، وأشار الأكاديمي البحريني إلى أنّ الترحيب الإسرائيلي بموقف

البحرين الرّسمي لم يتأخّر، حيث وصفه وزير الاتّصالات الإسرائيلي بأنه «دعم تاريخي.. يعكس وجود تحالف جديد في الشرق الأوسط، وأنّ إسرائيل جزء مهم من هذا التحالف بفضل النشاط المبارك لرئيس الوزراء (نتنياهو)، إلاّ أنّ الترحيب الإسرائيلي إعلامياً وسياسياً رافقه تصعيد إسرائيلي يطالب الدول المتعاونة بالمزيد. وهو ما عبّر عنه وزير الحرب الإسرائيلي (أفغيدور ليبرمان) حين طالب الدول العربية المعتدلة «التي تدعم قرار الرئيس الأمريكي بالانسحاب من الاتفاقية النووية مع إيران بأن تخرج من مخبئِها وأن تتحدّث بصراحة. فكما إن هناك محورا للشر، فلقد حان الوقت لقيام محور للدول المعتدلة، حسب ما أوردت صحيفة يديعوت أحرنوت[1].

رابعا: حكام السعودية:

بعد اللقاءات والعلاقات السرّية، نشهد حاليا التصهين العلني لحكام السعودية، حيث نظّم (تركي الفيصل) مدير المخابرات السعودية، وسفيرها السابق في أمريكا لقاءً بالجنرال الإسرائيلي (يعقوب عميدور) مستشار الأمن القومي السابق بمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى في مايو ٢٠١٦ قال على هامشه أنّ السلام مع «إسرائيل» هو حصانة للعرب، وأنه بالعقول العربية والمال اليهودي يمكننا المُضي قُدما بصورة جيّدة، وأضاف: فكّروا ما يمكن تحقيقه في المواضيع العلمية والتكنولوجية والمسائل الإنسانية، والعديد

(١) بوابة الشرق الالكترونية، بتاريخ ٢٠/ ٠٥/ ٢٠١٨، على الرابط:
https://www.al-sharq.com/article/20/05/2018

من الأمور الأخرى التي نحن بحاجة إلى النظر فيها، ولم يخلُ الحوار طبعا من ذكر الأهداف المشتركة التي تجمع العرب بـ «إسرائيل» معربا عن مشاعره الحميمية والمشفقة على إسرائيل، وكان قد أطرى بشكل واضح في اجتماع عُقد بنيويورك على وزيرة العدل الإسرائيلية (تيسيي ليفني)، وعلى رؤيتها للسلام الإسرائيلي الفلسطيني، بل أنه سبق وأن صرّح لدى لقائه بمدير عام خارجية «إسرائيل» بأنه لا يحبّذ أن تكون إسرائيل دولة معزولة في المنطقة»[1].

ولم تكن التصريحات السابقة إلا انعكاسا للرؤية السعودية الحالية للكيان الصهيوني، حيث تمّ الكشف عن التعاون العسكري المشترك بينهما في البحر الأحمر منذ العام ٢٠١٤م، وتمّ الكشف أيضاً عن أسماء جنرالات وضبّاط سعوديين شاركوا بدورات عسكرية بحيفا بفلسطين المحتلّة عام ٢٠١٥م، وفي ٢٤ من تشرين الأول ٢٠١٧ كشف ولي العهد السعودي (محمد بن سلمان)، خلال مؤتمر استثمار دولي عُقد في الرياض عن مشروع «لا يتّسع إلا للحالمين بعالم جديد»، وفق تعبيره، فنهج المملكة أصبح يرتبط بالتركيز على المستقبل من خلال الترفيه والتكنولوجيا الاستهلاكية التي لم تصنعها أيد سعودية، «والمشروع واحد من المشروعات الذي اتّخذها ولي العهد جسرًا إلى مستقبله السياسي، بالانتقال -وفق تعبيره- من رؤية دينية ضيقة ومتشدّدة نحو إسلام وسطي معتدل، ما يعني تنحية الوهابية والتأسيس

(١) موجة التصهين العربي، وائل عوّاد، مجلة إضاءات الالكترونية، بتاريخ ١٠/٠٦/٢٠١٦م، على الرابط: www.ida2at.com

لبنية تحتية تتّسع لـ«إسرائيل»، هنا فقط يتداخل الاقتصاد مع السياسة ويتجلى في مشروع «نيوم»، فقد أغدق مليارات الدولارات على رؤية تتخفَف لزامًا من حمل الدين والعداء لـ«إسرائيل»، حتى بدا الجانب الجيو استراتيجي طاغيًا في بقعة جغرافية تتجاوز الاقتصاد، ضمن رؤية يتعذّر معها فصلُ الاقتصاد عن المجتمع وفصل السياسة عن التعهّدات والالتزامات التي يقال إنها أفضت إلى صعوده»[١].

ووفق ما ذكره موقع (i24) الإسرائيلي، فإنّ إحدى المراحل المهمة في المشروع تحتاج لمصادقة «إسرائيل» من أجل تنفيذها، ألا وهي إقامة جسر الملك سلمان الذي يبلغ طوله ١٠ كيلومترات، ويربط بين آسيا وإفريقيا، ولم يكن التخطيط لهذا المشروع ممكنًا إلا بعد موافقة مصر، على إقرار السيادة السعودية على جزيرتي تيران وصنافير الموجودتين في المضيق بين البلدين، وهو الإجراء الذي أثار موجة غضب عارمة في الشارع المصري.

في هذا الصدد، علّقت وكالة «بلومبيرج» الأمريكية المتخصّصة بالشؤون الاقتصادية على قرار السعودية إنشاء مدينة جديدة على البحر الأحمر، ونشرت تقريرًا أعده الصحفي (جوناثان رزيجر)، أشار فيه إلى أن مشروع «نيوم» يمكن أن يكون يومًا ما بوابة تآلف ودمج «إسرائيل» مع جيرانها العرب، لأنه لا يمكن المضي فيه قدما دون موافقة وتعاون مع «إسرائيل»، وتحدثت

(١) الرؤية السعودية المستقبلية خطوات نحو إسرائيل، نادر الصفدي، موقع نون بوست، بتاريخ: ٢٣/٠٩/٢٠١٨.

«جيروزاليم بوست» الناطقة بالإنجليزية عن معلومات مهمة بشأن سعي «إسرائيل» عبر قطاعها الخاص للمشاركة في استثمارات متنوعة في «نيوم»، وقالت في تقرير لها تداولته الصحف العربية في حينه (سبتمبر ٢٠١٨): إنّ شركات إسرائيلية تتواصل مع صندوق الاستثمار السعودي -بمثابة الصندوق السيادي- وتبحث معه مشاريع في مجال التكنولوجيا الفائقة والطاقة المتجددة والتكنولوجيا الغذائية.

خامسا: زعماء الإمارات:

في ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٥م وافقت دولة الإمارات على فتح مكتب بعثة دبلوماسية إسرائيلية في أبو ظبي، في تتويج للعلاقات السرّية التي جمعت البلدين، ففي ٢٠٠٨م وافقت سلطات أبو ظبي على أن تدفع ما قيمته ٨١٦ مليون دولار لتركيب أنظمة أمان لحماية منشآت النفط والغاز في الإمارة، وذلك عبر الشراكة بين شركتين إماراتيتين وهما ATS وAIS وبين شركة AGT المملوكة لرجل المخابرات الإسرائيلية السابق (ماتي كوتشافي)، وشكّلت هذه العلاقات السياسية غطاء لمختلف أشكال التطبيع التي صدمت بها الإمارات العرب والمسلمين على مختلف المستويات، حتى غدت مرتعا للصهاينة كرجال أعمال، وسياح، وجماعات مشبوهة تطارد المقاومين الفلسطينيين.. ولا يمكن تجاهل العلاقات الاقتصادية الوثيقة بين البلدين، التي منها ما كشفه موقع «ميدل إيست آي»، عن استيراد شركة «مستقبل الإمارات»، التي يملك الشيخ منصور بن زايد آل نهيان ما لا يقل عن ٤٠٪

منها، مع الشركة الأردنية «حجازي وغوشة»، الماشية من أستراليا وأمريكا ثم تسليمها إلى إسرائيل عبر ميناء إيلات، لتعتبر بذلك الشركة الإماراتية من أكبر موردي اللحوم للسوق الإسرائيلية، وقد اتخذت الإمارات في علاقتها الاقتصادية مع إسرائيل منحى خطيرًا كشف عنه في شهر مايو (أيار) ٢٠١٦، إذ تحت غطاء تجارة العقارات تورطت الإمارات بواسطة «محمد دحلان»، القيادي المفصول من حركة التحرير الوطني (فتح)، في مشروع لتهويد مدينة القدس والبلدة القديمة فيها.

وكتبت الإمارات بمداد العار اسمها كأول دولة عربية يعزف فيها النشيد الإسرائيلي في أعقاب منافسات رياضية، «حيث عزف النشيد الوطني الإسرائيلي في بطولة عالمية للجودو في أبو ظبي الأحد ٢٨ تشرين الأول ٢٠١٨م للمرّة الأولى في الإمارة الخليجية، بعد أن أحرز أحد الرياضيين الإسرائيليين الميدالية الذهبية، ويشكّل عزف النشيد الوطني على ما عرضناه في موضعه، وحضور وزيرة الثقافة والرياضة الإسرائيلية (ميري ريغيف) المسابقة إحدى الخطوات الأخيرة في سعي إسرائيل إلى التقرب من الدول العربية»[(١)].

يضاف إلى قائمة الخزي الخليجي الجنوح الفاضح للسلطان قابوس إلى الخروج بالتطبيع إلى العلن من خلال استقباله لرئيس الوزراء الصهيوني (نتنياهو)، حيث قام بزيارة لسلطنة عمان بتاريخ ٢٦ تشرين الأول ٢٠١٨،

(١) صحيفة (رأي اليوم) الصادرة بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٨م.

وقال مكتب رئاسة الحكومة الإسرائيلية في بيان رسمي وزّعه على وسائل الإعلام: «وجّه السلطان قابوس دعوة إلى رئيس الوزراء نتنياهو وزوجته للقيام بهذه الزيارة في ختام اتصالات مطولة أجريت بين البلدين».

وأضاف: «إنّ زيارة رئيس الوزراء (نتنياهو) إلى عُمان تشكل أول لقاء رسمي يعقد في هذا المستوى منذ عام ١٩٩٦م». وشارك في الزيارة كل من رئيس الموساد (يوسي كوهين) ومستشار رئيس الوزراء لشؤون الأمن القومي ورئيس هيئة الأمن القومي (مائير بن شبات) ومدير عام وزارة الخارجية (يوفال روتيم)، ورئيس ديوان رئيس الوزراء (يؤاف هوروفيتس) والسكرتير العسكري لرئيس الوزراء العميد (أفي بلوت). وجاء في نص البيان المشترك الذي صدر خلاصةً للزيارة أنّ اللقاء «تناول السبل لدفع عملية السلام في الشرق الأوسط، كما تمّ خلاله بحث قضايا ذات اهتمام مشترك تتعلّق بتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة»[١].

هذا غيض من فيض الاستسلام العربي، والخيانة المخزية التي يسجّلها التاريخ للأجيال على خجل في مسيرة شوهاء تنذر بتضييع الأرض والعرض، وتقود الأمة العربية الإسلامية إلى نفق مظلم تعبّد طريقه التنازلات، وتقود قاطرته العمالة التي تفضي إلى ما لا تحمد عقباه من الخسائر المادية والمعنوية بسبب زعامة المستسلمين المتزلّفين، وإلجام الغيورين المقاومين.

* * *

(١) وكالة الأناضول، بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٨.

الفصل الرابع

وسائل صهينة العرب

مباحث هذا الفصل هي:

❊ الوسائل الفكرية لصهينة العرب

❊ الوسائل الإعلامية لصهينة العرب

لا تفتأ مخططاتُ وبرامجُ الدوائرِ الصهيونيةِ العالميةِ تتكاثرُ وتنتشرُ مستغلّةً مختلفَ الأوعيةِ في سبيلِ استمالةِ العربِ، وضمانِ تعاطفِهم وتفاعلِهم مع المشروعِ الصهيوني، وانتزاعِ اعترافِهم بما يسمّى «دولة إسرائيل»، ممّا ينعكسُ عنه التعاطي السياسي، والتقاربُ الفكري والثقافي، والتنازلاتُ الحضارية والدينية بما يخدمُ المصالحَ التوسّعيةَ لهذا الكيانِ، ويضمنُ تحقيقَ حلم (هرتزل) القديم بهدوء، وطمأنينة على السكوت العربي، بل والتواطؤ الفاضح للرموزِ الفكرية والسياسية، وقد قادنا تتبّعُ مسارِ الحركةِ الصهيونية، واتّجاهاتِ المواقفِ العربيةِ إلى تحديدِ الوسائلِ الآتية باعتبارها أكثر نجاعةً لـ «صهينة» العرب:

المبحث الأول
الوسائل الفكرية لصهينة العرب

المطلب الأول:
الإغراء بالأفكار الماسونية:

إنّما يخدمُ المشاريعَ الاستعمارية في العالم قبل سيطرتِها بالسلاح تغلغلُها في عالم الأفكار، وتجنيدُها للعقول حتى تبقى رهينة توجيهها، وطوعَ تسييرِها، ويتراوح الأمرُ بين التجنيد ضمن حركات فكرية عقدية، أو الاستمالة بالمال تمويلا لبحوث مشبوهة تبيّض صفحة الصهاينة الغاصبين، وتشجّع على التطبيع معهم، ولعلّ أبرز الوسائل التي استخدمتها الصهيونية في ميدان التجنيد الفكري ما يلي:

ويرجع السعي لصهينة العرب باستهداف رموزهم ورؤسائهم إلى ما قبل الثورة الفرنسية، عبر ما يسمّى بالمحافل الماسونية[١] التي ظهرت في أوربا، وانتشرت في العالم الإسلامي، «وقد كانت المحافل الماسونية هي المقدمة الحقيقية، والمنهج الأصيل لكل محاولات الإلحاد والإباحية، وإنكار الأديان، وحرب الأخلاق، وإشاعة الفاحشة والتحلّل، وإنّ ما جاء بعد ذلك من فلسفات ومناهج وأيديولوجيا لتدمير المجتمع البشري إنما استمدّ أصوله من فلسفة العمل في الحركة الماسونية»[٢].

وفي مقابل تورّط الماسونية في اغتيال الزعماء وكبار الساسة، فقد تمكّنت من احتواء عدد من العظماء والزعماء للعمل وفق خطة الصهيونية العالمية، وقد أشار صاحب المنار (محمد رشيد رضا) إلى أنّ بعض المسلمين خدعوا بالماسونية أيام الاستبداد، وظنوها الوسيلة التي ينجون بها من ظلم المستبدين وجورهم، ولكنّ كثيرا منهم بعد أن اختبروا الماسونية، وعرفوا دخيلتها انفضّوا عنها، وهكذا فعل الشيخ (محمد عبده) كما أخبر عن نفسه، وجحدها قبله الشيخ (جمال الدين الأفغاني)، وعرفنا بعض نخبة القوم من مسلمين ودروز كانوا بعد دخولهم في الماسونية يحذرون أصحابهم منها، ويشيرون على كل من طلب رأيهم أن يبعدوا عنها طاقتهم معلنين انخداعهم بها»[٣].

---

(١) الماسونية هي حركة البنائين الأحرار، وهي منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة فيما يخصّ الأخلاق، الميتافيزيقيا، وتفسير الكون والحياة، وهي حركة سرية يلفها الغموض، في شعائرها، ومبادئها، ويغلب أن تكون وجها للصهيونية العالمية.

(٢) المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، ص٩.

(٣) المنار، المجلد ٨، ص٤٠١.

ويكاد الحديث عن الماسونية في الوقت الراهن يختفي لخفوت بريقها، وتقادم العهد بها، غير أنّ أفكارها ومبادئها تظل تنفث سمومها بطريقة سرّية، وعلى مستويات عالية بين رموز الفكر، والنخبة العالمية، إلى جانب مبادئ وأفكار أخرى تخدم الأغراض المشبوهة لقيادة العالم وفق البوصلة الصهيونية.

المطلب الثاني:
الاحتواء الثقافي الأدبي:

تجلّى التصهين العربي في فترة مبكّرة عقب قيام الكيان الصهيوني، والخروج العلني باتّفاقيات السلام في الجانب الثقافي الذي سعى الطرفان لإحداث تقارب عبره، تجسيدا لاستراتيجية الاختراق الصهيوني التي عميت عنها الأبصار، وانقادَ لها ضعاف الولاء للدين والانتماء بمنتهى الترحيب، والتفاعل، وكان من أبرز رموزه:

أوّلا: المراكز الأكاديمية:

١- المركز الأكاديمي الإسرائيلي: أنشئ عام ١٩٨٢م، تطبيقا لبنود اتفاقيات (كامب ديفيد)، ولعب دورا مهمّا في الاختراق الثقافي والاجتماعي لمصر على وجه الخصوص، من خلال المسح الشامل للتركيبة الاجتماعية والسياسية والثقافية للمصريين[١]، «ولم يكن غريبا أن يتمّ اكتشاف عدّة

(١) أجرى المركز ابحاثا في الأصول العرقية للمجتمع المصري، وفي كيفية تفتيت مصر طائفيا، وفي الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية والإسلام، وفي الشعر العربي الحديث، وقضايا التعليم والزراعة وتوزيع الدخل، وحياة البدو والبربر والنوبيين، وتأثير السلام على العقل العربي، وغيرها من الدراسات التي ساهم فيها المتصهينون العرب.

شبكات للتجسّس من الأمريكيين والإسرائيليين، وبعض المصريين، يعملون داخل المركز، وينطلقون في تجسسهم من خلاله، وذلك من أول شبكة كشفت في أوائل أغسطس ١٩٨٥م، وحتى الشبكات الأخيرة خلال أعوام ما قبل الثورة ٢٠١١م وما بعدها»[١]، «وإنّ من مهام المركز الأساسية «تجنيد» بعض المثقفين المصريين، ودعوتهم لزيارة الكيان الصهيوني، ودفعهم للكتابة عنه مروّجين للتطبيع، وداعين لقبول ذلك الكيان، والتعامل معه بروح الصداقة والمسالمة»[٢]، وقد نجح هذا المركز في تجنيد أساتذة الجامعات المصرية، وغسل أدمغتهم من روح العداء والتمسّك بالانتماء إفساحا لنطاق التعاطف ووضع الثقة في الأجندة المسطّرة للتنفيذ، «فاليهود يرون أنّ الوجود الإسرائيلي بالمنطقة أمر لا فكاك منه، وأنه أولى للعرب أن يتعاملوا مع هذا الوجود كحقيقة واقعة، وأن يتعايشوا معه، والمركز الأكاديمي الإسرائيلي توالى على رئاسته خمسة من رجالات الموساد بهدف غزو العقل والوجدان المصري عبر التعاون السينمائي، والتعاون مع الجامعات المصرية وغيرها من المؤسسات بهدف ترسيخ الوجود الصهيوني في المنطقة، والتعامل مع هذا الوجود كأمر واقع[٣].

ومن جملة اهتمامات هذا المركز المشبوه البحث في كلّ ما تعلّق بمدينة القدس، والتأكيد عل يهوديتها، وبقائها عاصمة أبدية لإسرائيل، ونشر اللغة العبرية بمختلف الوسائل المتاحة كطعم للاهتمام العربي بالثقافة

(١) التطبيع والمطبعون، ص٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٦٢.

(٣) في مواجهة التطبيع الثقافي، عبد القادر صالح، جريدة الشعب المصرية، ٦/ ١٠/ ١٩٩٥م.

اليهودية، وضمان الاحتكاك بها، «فهو يرشد الباحثين الصهاينة الذين يرتبط معظمهم بنشاط أجهزة المخابرات الإسرائيلية إلى الأشخاص العلميين المصريين المستعدّين للتعاون معهم لتقديم ما يشاؤونه من معلومات بدعوى المساهمة في خلق جيل من الأكاديميين المصريين المتعاونين مع العقل الإسرائيلي بدون غضاضة المتعصبين، وهو أيضا يعمل على فتح القنوات والمؤسسات العلمية والشعبية ليمرّ منها كلُّ جواسيس وعناصر الموساد المتسترّين تحت عباءة العلم والعلماء، ليتمكّنوا من جمع كلّ ما يقعون عليه من معلومات في محاولة لإجراء مسح كامل وشامل للمجتمع المصري، واكتشاف خريطة الاتّجاهات الفكرية والسياسية والدينية فيه»[1].

<u>٢- مركز البحوث الأمريكي بالقاهرة:</u> يتركّز نشاطه في مجال الدراسات الاجتماعية، إلى جانب البحوث الفكرية والأثرية والتاريخية، ويحظى بعضويته الشرفية عدد من الأساتذة الأمريكيين والإسرائيليين الذين يعملون بالشراكة مع الأساتذة المصريين، وقد كثف هذا المركز من نشاطه في مجال التطبيع والتجسس العلمي بعد خطوات السّلام المشؤومة، حيث تزايد عدد الأبحاث المشرّحة للعقلية والنفسية العربية، ودور الدين في قيادة الحراك الاجتماعي.

<u>٣- هيئة المعونة الأمريكية:</u> قامت بتمويل عشرات المشروعات البحثية المرتبطة بترسيخ التطبيع بين مصر وإسرائيل، ومنها تمويل مشروع

(١) التطبيع والمطبعون، ص١١٦١.

بحثي أُنجز بالتعاون بين عدد من الجامعات الأمريكية والمصرية، شمل أكثر من ٥٠٠ دراسة بحثية برصيد ٦٠ مليون دولار، واشترك في هذا المشروع أكثر من ٢٠٠٧ باحثا مصريا، مقابل ٥٠٠ باحث أمريكي إسرائيلي، وحرست الهيئة على تتبّع مسار الدراسات، ورصد نتائجها رغم ضخامة مادتها وأرقامها، حتى قال أحد الباحثين المصريين: «إنّ كمية المعلومات التي حصلت عليها هذه المؤسسات تفوق ما تعرفه القيادة السياسية، وتفوق ما يعرفه علماؤنا»[1].

وليست هذه المراكز البحثية بريئة في نشاطها، ولا خادمة للمجتمعات العربية بجهودها، وإنّما هو جزء من التجسّس، ووسيلة لكسب عقول عربية تفكر وفق أجندة صهيونية، لتخدم مصالح الصهيونية العالمية، وتدعّم التواجد الصهيوني في المنطقة.

وعموما فمشروع الهيمنة الثقافية الصهيونية على عقول العرب وقلوبهم بات يقتضي:

١- تذليل العقبات الثقافية أمام تقبل الهيمنة الصهيونية والتواجد اليهودي في فلسطين، أي التغلّب على المقاومة.

٢- إعادة تشكيل المنطقة ثقافياً كوعاء قادر على تعزيز عناصر قوة المشروع الصهيوني، أي التغلب على المقاومة والممانعة الثقافية العربية.

(١) التطبيع والمطبعون، ص٨١٢.

أما تحقيق هذين الهدفين الإستراتيجيين فيقتضي:

١- شطب هوية المنطقة العربية والإسلامية (التي تشمل حتى غير العرب وغير المسلمين الذين يعيشون فيها).

٢- نسف ثقافة أبناء المنطقة وتفكيكها، وهو المشروع الذي تشارك فيه الإمبريالية العالمية أيضاً من خلال وسائل الإعلام المعربة ومنظمات التمويل الأجنبي.

إذن جوهر التطبيع الثقافي هو إعادة تشكيل منظومة القيم والمفاهيم العربية صهيونياً، وهو ما يتطلّب ضرب فكرة المقاومة من جهة، وفكرة العروبة من جهة أخرى.

ثانيًا: استدراج العلماء والمفكرين العرب:

ما فتئت المخططات الصهيونية تستهدف النخبة العربية، وتحاول استدراجها بمختلف وسائل الإغراء، وقد نشط بعض المفكرين من جنسيات مختلفة في سبيل خدمة الفكر الصهيوني، وزرع بذوره في الوطن العربي، ومن أشهر هؤلاء (ليونارد بايندر) الذي عمل مستشارا سياسيا لجولدا مائير أثناء حرب ١٩٧٣م، وشارك في حرب ١٩٤٨م مقاتلا ضد العرب عندما كان شابا، وهو حاصل على الجنسية الإسرائيلية إضافة إلى جنسيته الأمريكية، عمل أستاذا زائرا بالجامعة الأمريكية في مصر، وأستاذا للعلوم السياسية بجامعة شيكاغو، وهو صاحب كتاب «الحرب العقائدية في الشرق الأوسط»، وهو صديق لنفر من أساتذة العلوم السياسية في مصر، وأساتذة علم الاجتماع،

وبعض المثقفين اليساريين، ومربط الفرس أنّ المخابرات الأمريكية والإسرائيلية قد موّلت كل أبحاثه التي ركّزت على دراسة التيارات الدينية في مصر وإيران والمنطقة العربية، وكانت له شراكة بحثية مع عدّة باحثين عرب بتمويل من المركز الأكاديمي الإسرائيلي، والمخابرات الأمريكية.

وفي السنوات الأولى للتطبيع قام البروفيسور الإسرائيلي الشهير (ستيفن كوهين) بعدة صفقات بحثية مع أساتذة علم النفس المصريين، أشهرها بحث (رؤى الصراع) الذي اهتمّ بالجوانب الاجتماعية والنفسية للصراع، وموّلته هيئة المعونة الأمريكية، وجامعة نيويورك، والمركز الأكاديمي الإسرائيلي، ومثّل الجانب المصري فيه كل من الدكتور قدري حفني، والدكتور محمد شعلان، وعدد من السياسيين الكبار وفي مقدّمتهم الدكتور مصطفى خليل ممن يجاهرون بالعلاقة مع الإسرائيليين[١].

نسجل كذلك في هذا السياق عقد أول مؤتمر للطب النفسي بين العلماء المصريين والصهاينة في فندق «ووتر جيت» بواشنطن في الفترة ٢٠-٢٥ يناير ١٩٨٠م، تحت عنوان «المعوقات النفسية في المفاوضات الدولية تطبيقا على الصراع المصري الإسرائيلي»، ومثّل الجانب المصري في هذا المؤتمر الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة المصري الأسبق، والدكتور عصام جلال مستشار وزارة الصحة الأسبق ورئيس الجمعية المصرية للغدد الصماء، والدكتور محمد شعلان رئيس قسم الطب النفسي بجامعة القاهرة، وأحيط المؤتمر

(١) التطبيع والمطبعون، ص٢٧.

بسرّية تامة على مدى ما يزيد عن عامين، ليكشف بعدها أحد الدكاترة المشاركين عن الموضوعات التي نوقشت فيه، وهي:

- المدخل النفسي للنزاع الدولي.
- العوامل النفسية للمفاوضات بين مصر وإسرائيل.
- العلاقات السرّية الإسرائيلية.
- مفهوم الأمن في المفاوضات الدولية

ومثّل الكيان الصهيوني فيه لفيف من العسكريين والنفسانيين والباحثين، وفي طليعتهم (أهارون باريف) الجنرال الإسرائيلي المعروف الذي شكّل في التسعينات مع بعض رجال الموساد وبالتنسيق مع الراحل لطفي الخولي -الكاتب المصري المعروف- والدكتور عبد المنعم سعيد وغيرهما ما يسمى بتحالف كوبنهاغن الذي يدعو إلى التطبيع والسلام مع العدو الصهيوني، وكان (عمرو موسى) وزير خارجية مصر آنذاك هو الراعي الرسمي لهذا التحالف، والداعم الأول له بحكم علاقته الوطيدة بشيمون بيريز.[(١)].

ثالثًا: الترجمة من وإلى العبرية:

ترجمة «الأدب العبري الحديث» إلى العربية مشروع لإدخال «إسرائيل» إلى المشهد الثقافي العربي، وقد برزت في مصر منذ توقيع معاهدة (كامب ديفيد) مع العدو الصهيوني إشكالية الترجمة من وإلى العبرية. وهي إشكالية تمسّ المشهد الثقافي العربي برمّته لا المصري فحسب. وقد انجرّ مثقفون

(١) التطبيع والمطبعون، ص٢٨.

وكتاب وأدباء عرب من أقطار عربية متعددة إلى السّجال الدائر حول هذه القضية البرمائية، التي تغطس تحت سطح الحدث الثقافي مطولاً فقط لتعود وتطفو فوقه من جديد»[1].

ومن ذلك مثلاً لا حصراً: إصدار ترجمة عبرية لديوان «جغرافيا بديلة» للشاعرة المصرية إيمان مرسال بموافقتها، كما جاء في العناوين الثقافية لشهر تشرين الأول ٢٠٠٩.. وبينما كان (فاروق حسني) وزير الثقافة المصري الأسبق يقوم بحملة انتخابية في صيف عام ٢٠٠٩ للفوز برئاسة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)، أعلنت وزارة الثقافة المصرية أنها على وشك التعاقد مع دار نشر أوروبية لترجمة مؤلفات الكاتبين «الإسرائيليين» آموس أوز وديفيد غروسمان إلى العربية..

وقد ترافق ذلك مع إعلان حسني عن استعداده لزيارة الكيان الصهيوني في حال فوزه في المنصب (الذي ذهب في ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٩ للبلغارية إيرينا بوكوفا).. وفي عام ٢٠٠٧ ترجمت دار نشر ابن لقمان رواية «ياسمين» لكاتب «إسرائيلي».. وتتولى نفس الدار ترجمة سلسلة «كيف يرانا الإسرائيليون» وسلسلة «المجتمع الإسرائيلي كأنك تراه».. وقد صدرت عنها أيضاً مذكرات السفير «الإسرائيلي» الأسبق في القاهرة (موشيه ساسون) وكتاب «اليسار المصري والصراع العربي الإسرائيلي» ليوسي أمتاي...

---

(١) موقع الصوت العربي الحرّ، موضوعات في التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني، ٢/ ١٠/ ٢٠١٣م، على الرابط: http://www.freearabvoice.org

وذهب البعض إلى اتّهام العرب بالجهل لأنهم يرفضون معرفة «إسرائيل»، في الوقت الذي يقوم فيه «الإسرائيليون» بترجمة الأدب العربي المعاصر منهجياً من عقود، من نجيب محفوظ إلى توفيق الحكيم إلى محمود درويش إلى صنع الله إبراهيم وغيرهم كثر... ناهيك عن الترجمات السياسية والفكرية.

وفي الواقع فإنّ مثل تلك الترجمات هي بالأساس مشروع مؤسّسي منظّم للدولة الصهيونية نفسها، وقد أسّست لهذا الغرض عام ١٩٦٢م «معهد ترجمة الأدب العبري» الذي يقول في موقعه على الإنترنت أنه يقدّم «الدعم المالي لدور النشر التي تتولّى ترجمة الأعمال الأدبية الإسرائيلية الحديثة بصورة مستقلة»، و«للمجلات التي تخصص أعداداً خاصة للأدب العبري الحديث، وللناشرين الذين ينشرون مقتطفات منه»... بالاتّفاق مع المعهد طبعاً. وتولّى ذلك المعهد على مرّ السنين نشرَ وتعميمَ مئاتِ الأعمالِ الأدبية «الإسرائيلية» حول العالم، وصدرت عنه آلاف العناوين بلغاتٍ عدة. كما أنه يرتّب زياراتٍ لكُتّاب وصحفيين وناشرين أجانب للتعرف على نظرائهم «الإسرائيليين»... وموقع «معهد ترجمة الأدب العبري» على الإنترنت موجود لمن يود التأكّد ممّا ورد هنا، وسيجده على الصفحة الأولى لذلك الموقع.

وفي المحصّلة، «ثمّة أموال تُضخُّ، وجهودٌ تُبذل، واتّصالات تجري، وخطط توضع، من أجل إقناعِ العالم بأنّ هنالك دولة طبيعية اسمها «إسرائيل» تنتج أدباً وفكراً وحضارة، وهو مشروع تطبيع ثقافي على مستوى

عالمي تحرّكه عقدة نقص متجذّرة في حداثة سنّ تلك الدولة المفتعلة التي تعرف في قرارة نفسها أنها كذبة بلا تاريخ ولا حضارة... فهي التي تتلوى لكي نعترف بها ثقافياً، وليس العكس. أما إقناع المواطن العربي بأنّ ثمة دولة طبيعية اسمها «إسرائيل» تنتج ثقافةً وأدباً لا بد من التواصل معهما وتقديرهما فلا يمكن إلاّ أن يكون مشروعاً تطبيعياً من الدرجة الأولى، أو مشروعاً لإدخال الكاتب «الإسرائيلي» في النسيج الثقافي... والروائي والشعري، العربي»[(١)].

أما الذين يتحدثون عن ضرورة معرفة الآخر، فإنهم لا يميّزون ما بين ضرورة متابعة إعلام العدو وتياراته السياسية والفكرية المختلفة وما بين الترويج لـ«حقه» بالتواصل الثقافي غير المقيد مع المواطن العربي. وهم لا يتحدثون عن ترجمة مفلترة مدروسة منهجية ومؤسسية تكشف لنا العدو وتمكننا من الاستفادة من إنجازاته العلمية والتكنولوجية والعسكرية، وتعرّفنا على خططه ومشاريعه السياسية والأمنية مثلاً، ولا يطرحون مشروعاً للمقاومة الثقافية بل يطالبوننا بالاعتراف بحق العدو باختراق الوجدان الجمعي العربي من خلال الشعر والرواية والنص المسرحي وما شابه. إنهم يتحدثون عن ترجمة «الأدب العبري الحديث» أساساً في سياق مشروع «معهد ترجمة الأدب العبري» سابق الذكر.

---

(١) موقع الصوت العربي الحرّ، موضوعات في التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني، ٢/ ١٠/ ٢٠١٣م، على الرابط: http://www.freearabvoice.org

رابعًا: التغلغل في عالم الفن:

«يستمدّ التطبيع الفني مفهومه من المفهوم العام للتطبيع، فإذا كان التطبيع يقوم مفهومه على الاعتراف بالدولة الصهيونية، وإقامة التعاون معها في مختلف المجالات، فإنّ التطبيع الفني يقصد به: الاعتراف بالدولة الصهيونية وإقامة العلاقات معها في المجال الفني، ومن صور ذلك:

- اعتراف الفنانين المصريين -على وجه الخصوص- بالكيان الصهيوني، وزيارتهم ذاك الكيان، ومصادقتهم الإسرائيليين، ومشاركتهم في الأعمال الفنية والاجتماعية.
- عرض الأعمال الفنية المصرية في الدولة الصهيونية، ومشاركة الفنانين المصريين في المهرجانات والفعاليات الفنية التي تعقد في الكيان الصهيوني.
- التعامل الرّسمي أو الشعبي المصري مع الفنانين الصهاينة والإسرائيليين، وعرض الأعمال الفنية الإسرائيلية في مصر، واشتراك الإسرائيليين في المهرجانات والاحتفالات الفنية التي تقام في مصر.
- إنهاء مقاطعة الفنانين المصريين للأعمال الفنية الإسرائيلية، والفنانين الصهاينة في المهرجانات والمحافل الدولية»[(١)].

---

(١) التطبيع والمطبعون، ص١٢٠٣.

وبالفعل بدأت خطوات التطبيع الفني مع اتفاقية (كامب ديفيد) التي قنّنت التواصل مع الكيان الصهيوني، وأزاحت الحرج على المترددين، ومن ثمّ فقد اعترف الكثير من الفنانين بتواصلهم مع الصهاينة وعلى رأسهم (عمر الشريف) الذي اشترك سنة ١٩٧٩م في الفيلم الأمريكي (أشانتي) الذي ثُوّر في فلسطين المحتلة، بمشاركة ممثلين إسرائيليين.

كذلك الممثل المصري الراحل (إيهاب نافع) الذي ذكر في مذكراته التي صدرت نهاية ٢٠٠٥م أنه كان من الذين ساعدوا أنور السادات في الصلح مع «إسرائيل»، مؤكّدا أنه من أنصار التطبيع[١].

وتطوّرت العلاقات لتصل إلى حدّ الاستعانة بالإسرائيليين في إنتاج الأفلام، وهو ما حدث مع المخرج اللبناني الفرنسي (زياد دويري) الذي يعدُّ أوّل لبناني يشرّع أبواب التطبيع بهذه الجرأة، وذلك من خلال المكوث في (تل أبيب) عاما كاملا (٢٠١٠-٢٠١١) لتصوير فيلم (الصدمة) المستوحى من رواية للكاتب الجزائري (ياسمينة خضرا) مستعينا بممثلين وتقنيين إسرائيليين، و«منتج منفذ» إسرائيلي، وكان يُفترض أن يُعرض في لبنان ودول عربية أخرى، لكن الدولة اللبنانية امتنعت عن ترشيحه لجوائز «الأوسكار»، وسحبت رخص عرضه، كما أنّ المهرجان القطري للأفلام حذفه من جدوله، وقرّرت لجنة المقاطعة في الجامعة العربية منع الفيلم بسبب ما أسمته «التطبيع الثقافي مع العدو الإسرائيلي»، غير أنه حمل فيلمه

---

(١) مذكرات إيهاب نافع: لعبة الفن والمخابرات، إعداد أيمن الصياد.

إلى العديد من المهرجانات العالمية، ونال التكريم من مهرجان القدس السينمائي الإسرائيلي، والواقع أنّ (دويري) «اجتهد بمواهبه الفنية العالية المستوى، وبتقنيات ساحرة لأنسنة القاتل، وإظهار «العربي النظيف» الذي يقبل بإسرائيل، و«الفلسطيني الآدمي» المندمج بالمجتمع الإسرائيلي، مقابل الفلسطيني الذي يفجّر الأطفال، فيختزل منطق الصراع بين الخير والشرّ»[1].

وامتدّت وسائل الكيان الصهيوني لصهينة العرب حتى إلى الرقص الشرقي من خلال تشجيع دوراته، ورعاية المهرجانات التي تدعو إليها مختلف الأجناس وخاصة العرب في سبيل احتكاك أكبر، وتأثير أعمق في الشخصية العربية، وتعويدها على هذا الكيان كشريك ثقافي واجتماعي.

المطلب الثالث:
التدخّل في المناهج التعليمية:

لم تغفل الدوائر الصهيونية عن تلمّس الأثر الذي يتركه النظام التعليمي في الدول العربية المسلمة في المتمدرسين، والدور الذي يؤديه في تحصين الأجيال، وتطعيم العقول بالمناعة الضرورية لصونها من الذوبان في الثقافات الأجنبية، وبالأخصّ الصهيونية، ولقد قام الباحث الإسرائيلي (ألوف هرايفن) بمؤسسة (فان لير) في القدس بدراسة عن سبب انعدام الثقة بين اليهود والبلدان العربية، وقرّر في بحثه أنّ هناك أربع عقبات صعبة تعمل على

(١) التطبيع عن طريق الفن، مجلة رمان، ٢٧ تشرين الأول ٢٠١٧، على الرابط:
https://www.rommanmag.com/view/posts/postDetails?id=4588

ذلك، وذكر منها: الموقف الثقافي العقائدي للعرب والمسلمين تجاه اليهود، ثمّ وضع حلولا لهذه العقبات، وكان الحلّ للعقبة العقائدية ضرورة وجود برامج مركبة في المجال التعليمي والثقافي تهدف إلى تفتيت الملامح السلبية للجانب الآخر، وأحد الأسس الحيوية لبرنامج كهذا هو الفحص والتغيير الشامل للبرامج التعليمية في كلّ ما هو متعلّق بما يتلقّنه العرب والإسرائيليون في المدارس عن بعضهم البعض، وفي كتاب أعدّه تسعة من المتخصصين لدراسة آفاق التعاون الثقافي مع مصر بعنوان (إذا جاء السلام: أخطار واحتمالات) ركّز الباحثون على ضرورة مراجعة البرامج التعليمية بشكل مباشر في الدول العربية، وحذف المواد التي تعمق روح العداء بين الكيان الصهيوني والعرب[١].

وأشارت مقالة بعنوان «اليهود والأمريكان.. هل اندسّوا في تطوير مناهجنا الدراسية؟» إلى أنّ العملية التطويرية للمناهج التعليمية المصرية قام بها ٢٩ أستاذا ومستشارا أمريكيا، بينهم عدد كبير من اليهود بتمويل من المعونة الأمريكية لمصر[٢].

كما دعت دراسة صادرة عن «مركز أبحاث الأمن القومي» الإسرائيلي إلى إحداث تحوّل جذري في مناهج التعليم والتثقيف في العالم العربي، لضمان تغيير مواقف الرأي العام تجاه إسرائيل، ما «يسهّل» على الحكام العرب اتخاذ قرارات بالتطبيع العلني معها.

(١) يُنظر: التطبيع والمطبعون، ٥٩.
(٢) السياسي المصري، عدد ٢٥/ ٥/ ١٩٩٣م.

وحسب الدراسة، التي صدرت في ٢ يوليو ٢٠١٨م، وأعدّها وزير الحرب السابق (موشيه يعلون)، والباحثة (ليئا فريدمان)، فإنه على الرّغم من تعاظم مظاهر التعاون السرّي وتعدّد أنماط الشراكات بين «تل أبيب» والدول العربية، فإنّ أنظمة الحكم العربية تعي في المقابل عمق واتّساع معارضة الرّأي العام العربي للتطبيع مع إسرائيل، قبل التوصّل لتسويةٍ للصراع، ما يقلّص من قدرتها على نقل العلاقة مع «تل أبيب» من الإطار السري إلى العلني؛ مشيرة إلى أنه حتى نظاما الحكم في مصر والأردن، المرتبطان بعلاقات أمنية واستخباراتية وعسكرية قوية مع إسرائيل، يحرصان على عدم الإفصاح عن هذه العلاقات.

وأضافت أن التطبيع مع العالم العربي ظلّ أحد أهم الأهداف التي سعت إليها إسرائيل، مشيرة إلى أنه يتوجّب على القيادة الإسرائيلية الإصرار على أن تكون موافقة الدول العربية على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل عند بدء التفاوض على حل الصراع مع الفلسطينيين وليس في نهايته[١].

* * *

(١) موقع العربي الجديد الاثنين ٢ يوليو٢٠١٨م.

المبحث الثاني
الوسائل الإعلامية لصهينة العرب

لا تخفى خطورة الإعلام في تمرير الأفكار، وتجسيد المخططات على مستوى العالم، فهو وسيلة فعالة للتأثير، والضغط، والاستغلال خدمة لأجندات سرّية ومعلنة، وبالخصوص ما تعلّق منها بالصهيونية العالمية التي لم تهمل هذه الوسيلة الفعّالة في الترويج لأفكارها، وفي استمالة خصومها، وتجسيد التقارب والتطبيع الذي تسعى إليه.

المطلب الأول:
تبادل الزيارات بين الإعلاميين العرب والصهاينة:

قاد الإعلاميون قاطرة التطبيع من خلال فضائح زياراتهم السرّية والمعلنة للكيان الصهيوني بحجة الاستكشاف، والنقل الحي من الميدان، ولقد قام الصحفي الإسرائيلي (إريه ليفي) في سنوات التطبيع الأولى بزيارات شخصية للدكتور (سعد الدين إبراهيم) أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية في الثمانينات، ورئيس مركز (ابن خلدون) الذي ذاع صيته بسبب تماديه في التطبيع مع الصهاينة عبر المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة، وجامعة حيفا، عبر صفقات بحثية إعلامية تصبّ في غرض الترويج للتطبيع، وتوسيع نطاق التصهين بين العرب.

ولا تزال فضائح زيارة الصحفيين المصريين للكيان الصهيوني تتوالى بين الحين والآخر سيرا على خطى الأوائل الذين فتحوا الباب من أمثال (أنيس

منصور)، و(حسين سراج)، و(صلاح منتصر) بحجج واهية بينما كانت الزيارات ذات أهداف خسيسة خدمة لمصالح الكيان الصهيوني عبر الترويج الإعلامي للنهج المتصهين(١).

وقد قام عدد من رجال الإعلام والثقافة والأعمال المصريين عام ٢٠٠٠م، وسط غضب شعبي عارم بزيارة إلى السفارة الإسرائيلية في مصر لحضور حفل ذكرى تأسيس دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية المغتصبة.

ويؤكد تاريخ التطبيع الإعلامي أنّ الكاتب الصحفي (صلاح منتصر) صاحب العمود الشهير بجريدة الأهرام، وعضو المجلس الأعلى للصحافة في عهد حسني مبارك يُعدّ من أكثر الصحفيين تصهينا، وتعاطفا مع الكيان الصهيوني، حيث سافر إلى «إسرائيل» عدة مرّات، وكان يجاملهم عبر سفارتهم في مختلف المناسبات، بل أنه قد دافع عن الجاسوس الشهير (عزام عزام) بشراسة مثيرة للريبة في أوج الغضب المصري والعربي من صنيعه، وكان سبق له أن هاجم نقيب الممثلين (يوسف شعبان) بسبب فصله المخرج (حسام الدين مصطفى) من النقابة بسبب سفره إلى «إسرائيل»، حيث كان يعتبر ذلك أمرا عاديا(٢).

وكتب في بعض مقالاته يقول بأنّ الرافضين للتعامل مع إسرائيل هم فقط بعض التجار الذين عفا عليهم الزمن، وتتملّكهم عقدة الخوف

---

(١) يُنظر: علماء وجواسيس: الاختراق الأمريكي الإسرائيلي للعقل المصري.

(٢) يُنظر: التطبيع والمطبعون، ص٨١٥.

من التطوير»[1].

وبدورها شهدت الجزائر فضيحة تطبيعية من الوزن الثقيل بسبب زيارة وفد صحفي ينتمي في غالبيته إلى الصحف الفرانكوفونية في شهر يونيو من العام ٢٠٠٠م إلى «إسرائيل»، ففي مقابل الرفض الشعبي، وقفت أبواق مساندة تبرّر الزيارة، وتمسح عنها غبار خيانة القضية الفلسطينية، ووصفت افتتاحية يومية (الوطن) الناطقة بالفرنسية تصريح رئاسة الجمهورية المتبرئ من الزيارة بأنه «هذيان» وأضافت انه «جدير بسنوات التعتيم عندما كان لا يجرؤ أحد على الكلام عن دولة إسرائيل وعندما كان حلم رمي اليهود في البحر يلقى كل رعاية».

من جهته صرّح مدير الصحيفة (عمر بلهوشت) في تصريح لصحيفة «المنبر» الناطقة بالفرنسية قائلا: «نحن في (الوطن) أرسلنا خمسة صحافيين إلى هذا البلد بين العامين ١٩٩٢ و١٩٩٨. ولنا الحق في إرسال صحافيين يمارسون مهنتهم إلى حيث نشاء».

ولم يتخلّف الإعلاميون من دول عربية أخرى عن هذه الخطوة، ليتبادلوا الزيارات مع «زملائهم» في المهنة من الصهاينة بتسهيلات خاصة، وببرامج خفية تغطى معالمها بمجرد وضع أرجلهم في تل أبيب، حيث تبتلعهم المقرات السرّية، والقاعات المغلقة، ويعودون وهم يلهجون بحمد إسرائيل.

---

(١) الأهرام العربي، عدد ٦/ ٥/ ٢٠٠٠.

المطلب الثاني:
الترويج الإعلامي للكيان الصهيوني:

إلى جانب الزيارات المفضوحة، يسعى المتصهينون من الإعلاميين إلى ترجمة ولائهم عبر مقالات التهوين من شأن العدو الإسرائيلي، وإبراز النواحي «الحضارية» والثقافية الحرية بالاطّلاع، ووصل الحد بالمطبّعين العرب مع الكيان الصهيوني في مجال الإعلام والنشر أن قاموا بترجمة رواية إسرائيلية عنوانها (ياسمين) للكاتب الإسرائيلي (إيلي عمير)، ووزعتها وكالتا الأهرام والجمهورية للصحافة رغم التحفظ الكبير عليها، وبرّروا هذا العمل الذي تم عام ٢٠٠٠م بأنه من قبيل التبادل الثقافي بين الجانبين، لمعرفة طريقة عيشهم وتفكيرهم، وعدم دخول الترجمة في نطاق خدمة الصهيونية، ويذكر أنّ رواية «ياسمين» واحدة من ثلاثيته الروائية «ديك الكيبير» و«المقورجي»، وتبدأ في مجملها على خلفية حرب ٦٧، واحتلال القدس، والشخصيتان الرئيسيتان هما (نورى) اليهودي العربي المولود في العراق، والذي هاجر إلى إسرائيل، و«ياسمين» الفلسطينية المسيحية التي كانت تدرس دكتوراه في جامعة السوربون بفرنسا.

ونختتم النماذج الإعلامية المتصهينة التي بلعت الطُعم، وأدّت الدور على أحسن ما يرضي الدوائر الموجّهة لها بموقف الإعلامي (سلامة أحمد سلامة) المستهجن للاستنكار الشعبي للتقارب مع الكيان الصهيوني، وتسخير الإعلام لرموزه، حيث يعتبر الجهد المبذول في التعرّف على الكيان الصهيوني، عبر تبادل الزيارات، واستضافة الشخصيات، ونشر المقالات

الكاشفة لطبيعته، جانبا من التحضر المطلوب في التعاطي مع أمر واقع لا سبيل لتغييره، ولا حلّ إلاّ في التعايش معه[1].

وعلى العموم فقد ظل اختراق العقل العربي في سنوات التطبيع الأولى منحصرا في النموذجين المصري والأردني، لكن مع الوقت انضمّ إلى الرّكب شتات من ضعاف النفوس، ومتقلبي الأهواء، زاعمين الانفتاح الثقافي والحضاري، والحرية الإعلامية، ليصبحوا أداة طيعة في يد هذا الكيان الغاصب الطامع في التوسّع.

المطلب الثالث:
التطبيع الرقمي مع الكيان الصهيوني:

على مدى السنوات الماضية، حاولت «إسرائيل» استغلال حالات الفوضى والانفلات الأمني في دول عربية من أجل بث دعايتها السياسية، ورغم أنها لا تقيم علاقات دبلوماسية مع معظم جيرانها، لكنها تستغل وسائل التواصل للنفوذ إلى العرب وتعزيز المؤاءمة المتنامية مع دول عربية مسلمة سنية.

السعودية -على سبيل المثال- كانت الدولة الأكثر تأثيرًا من بين هذه الدول، حيث اختار جيش الاحتلال الإسرائيلي موقعًا إلكترونيًا سعوديًا لإجراء أوّل مقابلة عبر وسائل الإعلام العربية مع رئيس أركانه الجنرال (غادي إيزنكوت) منذ أكثر من عشر سنوات، وصرح وقتها لموقع إيلاف

(١) يُنظر: التطبيع والمطبعون، ص٣٢٤ وما بعدها.

الإلكتروني السعودي -الذي يتّخذ من لندن مقرًا له- بأنّ إيران تشكّل «أكبر تهديد في المنطقة»، مضيفًا أنّ هناك اتفاقًا كاملاً بين «إسرائيل» والسعودية بهذا الشأن.

وتحاول بعض القيادات الإسرائيلية التواصل مع العرب، من خلال بعض وسائل التواصل مثل «فيسبوك» و«تويتر» ممارِسةً التطبيع الرقمي مع العرب، بحجّة أن «عدونا مشترك»، وعلى رأسهم (أفيخاي أدرعي) الناطق باسم جيش الدفاع الإسرائيلي للإعلام العربي، ففي حين يحظى أدرعي بنحو ١.٢ مليون من المتابعين على صفحته على فيسبوك العربية، فإنه يحظى بأكثر من ١٨١ ألف متابع على حسابه في تويتر، وتعمل هذه الصفحات بشكل مكثّف على تسويق ونشر الدعاية الإسرائيلية لكسب العرب عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

«وتعتبر «إسرائيل» من الرائدين في مجال الدبلوماسية الرقمية في العالم حاليًّا، حيث أنشأت وزارة خارجية الاحتلال قسمًا ضخمًا تابعًا لمبنى الوزارة ولجهاز الاستخبارات الاسرائيلية «أمان»، تحت مسمى «قسم الدبلوماسية الرقمية» الذي تأسّس سنة ٢٠١١، ويعمل بهذا القسم موظفون ومستشارون من الوزارة كما تمّ استقطاب العديد من طلبة الجامعات تطوعًا، أو مقابل إعفاءات من بعض الرسوم الجامعية وذلك حتى تتّسع رقعة الانتشار أكثر فأكثر، ولـ«إسرائيل» عدة صفحات رسمية وغير رسمية بأكثر من ٢٠ لغة، تعمل من خلالها لتحقيق التطبيع الرقمي، ومن أبرز هذه الصفحات الموجهة

نحو الشعوب العربية «صفحة إسرائيل تتكلم العربية» وصفحة (أفيخاي أدرعي) وصفحة «المنّسق»، وهو رئيس وحدة تنسيق أعمال الحكمة بالمناطق، حتى صفحة رئيس الوزراء الإسرائيلي شخصيًا بدأت بالعمل على هذا التحقيق، من خلال هذه الصفحات، فكمية التفاعل ومدى استقطابها للشباب العربي كبير جدًا»[1].

هذه الصفحات -وغيرها الكثير- تعمل بشكل مكثّف على تسويق ونشر الدعاية الإسرائيلية لكسب العرب عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وعادة ما تنشر نفس الكلام وبنفس الطرق التي عادة ما تقوم على مبدأ الجذب الثلاثي الذي يعد من أهم ركائز نجاح الدعاية السياسية.

ونخلص من هذا الباب إلى أنّ ظاهرة التصهين بين العرب ذات مفهوم راسخ في الولاء المشبوه للكيان الصهيوني، والترويج له، والحثّ على التعامل معه في مختلف المجالات بدعوى الصلح والسلام، وفي إطار مسيرة التطبيع المخزية، وشذوذ العمالة المفضوحة.

وليست الظاهرة وليدة اليوم، وإنما هي موغلة في القدم منذ ظهور فكرة توطين اليهود في أرض فلسطين، بداية بمحاباة بريطانيا الراعية لهذا المشروع، ووصولا إلى الولاء التام للكيان الصهيوني المزروع عنوة في جسد الأمة، بتوقيع شخصيات وعائلات سياسية همّها حصد الامتيازات، وتحقيق

(١) التطبيع الرقمي: كيف توظف إسرائيل تويتر وفيسبوك لخدمتها، مي خلف، الخليج أونلاين، ٢٠١٦/٦/٢٨.

المصالح الضيقة، على حساب واقع الأمة، ومصيرها، ممّا وسّع نطاق الظاهرة إلى مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية على رحابتها، وقاد إلى المجاهرة بعلاقات العار بعد مرحلة التخفّي بها.

ولقد مرّ التصهين العربي بمراحل بدأت مع خطوة السلام التي خطاها الرئيس المصري الراحل (أنور السادات) بمعاهدة السلام بعد اتفاقية (كامب ديفيد)، وزادت جرأة مع توقيع السلام الفلسطيني الإسرائيلي في (أوسلو) ١٩٩٣م، لتبلغ ذروتها مع احتلال العراق، وانكسار شوكة العرب، وتدنيس القوات الأمريكية لأرض الحضارة الإسلامية.

ولمّا كان التصهين خادماً لمصالح الكيان الصهيوني فإنه يعزف على وتره عبر وسائل مروّجة له، ومدعّمة لأبواقه، منها: الثقافية والمادية والمعنوية، ومنها الإعلامية الدعائية، سعيا لكسر حاجز العداء، والقضاء على المقاطعة العربية.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني
شبهات دعاة التصهين

تنتظم في هذا الباب الفصول الآتية:

❊ الشبهات الدينية لدعاة التصهين

❊ الشبهات السياسية والاقتصادية لدعاة التصهين

❊ الشبهات القانونية لدعاة التصهين

❊ الشبهات الاجتماعية لدعاة التصهين

يسعى دعاة التصهين إلى الترويج لأفكارهم التطبيعية بمختلف الوسائل، إقناعا لغيرهم بالعدول عن المواقف الحادّة تجاه الكيان الصهيوني، والتخلي عن المقاطعة نصرة للقضية الفلسطينية، ويعزفون في سبيل ذلك على أوتار مختلفة استنادًا إلى شبهات دينية وسياسية واقتصادية وحتى قانونية في سبيل تبرير توجّههم، وتسويغ مواقفهم الخاذلة للأمة.

ومهما كانت الشبهات التي يثيروها هؤلاء ممّا يظنون أنه حجج مفحمة، وأدلّة دامغة، فإنها لا تصمد مع أوّل مواجهة مع الشّرع، والعقل، ناهيك عن الواقع الذي يشهد بخلاف ما يدّعون، ويفضح زيف ما يدلّسون، ويقدّم الحقائق التي عنها يغرضون.

ولقد خصصنا هذا الباب من الدراسة لعرض أشهر الشبهات التي يثيرها دعاة التصهين في مختلف النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية مع الردّ عليها، وفضح زيفها، وإظهار الحق الذي عليه أهل الشرف والدين، الثابتين على نصرة قضية فلسطين.

❊ ❊ ❊

الفصل الأول
الشبهات الدينية لدعاة التصهين

- ❊ شبهات علاقة الإسلام باليهودية
- ❊ شبهات دعوة القرآن للسلم وجواز التعامل مع الكفار
- ❊ شبهة مصالحة الرسول ﷺ للكفار واليهود
- ❊ شبهة مراعاة مصلحة المسلمين واحترام قرارات الأمم المتحدة

يتجاوزُ دعاةُ التّصهيُن في الغالبِ الشرعَ فيما يقترفون، فلا يحِسبون له حسابا، ولا يرعوْن لأحكامه حرمةً، وحتى من يحاولُ الاحتماءَ بالشبهاتِ الدّينيةِ منهم فهو غير محيطٍ بملابسات العلاقةِ، ومآلاتِها، همّه في ذلك اللعب عل وتر الدين والعقيدة، لإقناع المعارضين لهذا التيار بعدم انسلاخه عن ثوابت الأمّة، متذرّعاً بوحدةِ الأديان، ومعتبرًا الأمرَ مجرّد صلحٍ وهدنةٍ لها ما يسوّغُها من أحداثِ السيرةِ النبويةِ، أو أن يكون متزلّفًا لا همّ له سوى التماس الأعذارِ للحكّام، وتعليلِ علاقاتِهم مع الصهاينة بليِّ أعناق النصوص والوقائع عبر إسقاطاتٍ لا وجه للاتفاق فيها.

ونقف في هذا الفصل مع أبرزِ الشُّبهاتِ المثارةِ للتّسويغِ الديني للتّصهين في المباحثِ الآتية:

المبحث الأول
شبهات علاقة الإسلام باليهودية

المطلب الأول:
شبهة وحدة الأديان:

أُثيرت هذه الشّبهة بقوّة بعد اتفاقية (كامب ديفيد)، حيث حرصت الدوائر الصهيونية على تجريد الإسلام من تميّزه، وجعله في بوتقة واحدة مع ما سبقه من الديانات التي طالها التحريفُ والتزييفُ، فعُقد في ١٢/ ١٠/ ١٩٧٩م مؤتمر (التوحيد في الأديان) في مدينة القدس بمشاركة مصريين، كما عقدت في العام ١٩٨٢م ندوة التقارب بين الشريعتين اليهودية والإسلام في المركز

الأكاديمي اليهودي بالقاهرة، وفي العام نفسه عقد مؤتمر وحدة الأديان في دير (سانت كاترين) في سيناء ضمّ يهودا ونصارى ومنتسبين للإسلام لأداء صلاة مشتركة من كلّ الأديان، وظهر في هذه الفترة الزمنية الحساسة مشروع (مجمع الأديان) الذي حاول (السادات) تأسيسه في سيناء، بهدف إقامة مجمع يضم مسجدا وكنيسة ومعبدا يهوديا، واشترك في تصميمه ثلاثة مهندسين: مصري، وفرنسي نصراني، ويهودي.. بل وصل الأمر بالأيادي الخفية التي تحاول إذابة الإسلام في اليهودية إلى حصر الإسلام في الإيمان بالله، وطالما أنّ اليهود يؤمنون بالله فهم مسلمون[1].

واستخدمت فكرة وحدة الأديان خاصة من قبل بعض شيوخ الأزهر، وبعض الحاخامات الإسرائيليين، تحت رعاية الساسة الصهاينة الذين يطيب لهم العزف على وتر الدين، وعلى سبيل المثال فإنّ المؤتمر الذي شهد مصافحة شيخ الأزهر لشيمون بيريز في ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨م بنيويورك حضرته إلى جانب رجال الدين وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة (تيسي ليفني)، وكذلك العاهل السعودي ممّا يؤكّد البعد السياسي التطبيعي الكامن وراء تلك المؤتمرات التي ترفع شعار وحدة الأديان[2].

ويكفينا في الردّ على هذه الشبهة ما جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- ونصّها:

(١) الاستراتيجية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، محسن عوض، ص٥١، مخاطر الوجود اليهودي، ص٢٤.

(٢) التطبيع والمطبعون، ص٤٩٥.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصارى، وما تفرّع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب.

وبعد التأمّل والدراسة فإنّ اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: إنّ من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع....

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أنّ كتاب الله تعالى: (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولا وعهدا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل؛ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوى القرآن الكريم....

ثالثًا: يجب الإيمان بأنّ التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم...

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبيّنا ورسولنا محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1] فلم يبق رسول يجب اتّباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيا لما وسعه إلا اتّباعه ﷺ، وإنه لا يسع أتباعَهم إلاّ ذلك...

خامسًا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافرا ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾[2].

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه،

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٢) سورة البينة: الآية ١.

وجر أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾[1].

وبناء على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟ فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهّرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

وإنّ اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويجها بينهم[١].

المطلب الثاني:
شبهة اقتباس الإسلام عن اليهودية:

يعمد المغرضون من اليهود ومن تبعهم من المتصهينين العرب إلى بث الشكوك حول استقلال دين الإسلام بنفسه، واعتباره دينا جديدا ختم الله تعالى به الرسالات، فيثيرون العديد من الشبهات في الموضوع، وعلى رأسها اعتبار ما جاء به تحريفا لبعض ما في التوراة، وهي شبهةٌ قديمةٌ أثارها المستشرقون اليهود، وبلع طعمها المتصهينون الباحثون عن شمّاعة لمخازيهم، حيث حاول المستشرق اليهودي الألماني (إبراهام غايجر) في العام ١٨٣٣م تصوير النبي ﷺ وكأنه مجرّد مقتبس عن اليهودية، جاعلا يهود شبه الجزيرة العربية المصدر الذي يستقي منه أفكار دعوته[٢]، وردّد مستشرق ألماني آخر مزاعم تأثر عقيدة التوحيد بالديانة اليهودية هو الألماني (س. توري) الذي ألف كتاب (التأسيس اليهودي للإسلام) محاولا تأكيد أهمية دور الوجود

---

(١) يُراجع نص الفتوى كاملة على الرابط: http://www.alifta.net/Fatawa/FatawaDetails

(٢) يُنظر: الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، ميشال جحا، ص٤٨ وما بعدها.

اليهودي، وحجمه في الجزيرة العربية امتدادا إلى فلسطين، وسار على نهجه (س. غوتيان) الذي نسب التنظيم الإداري والمالي في العصور الإسلامية إلى اليهود، وأصدر كتابا من خمسة أجزاء بعنوان (اليهود والعرب) ربط فيه بين الدين والاقتصاد والاجتماع في المجتمع الإسلامي والفكر اليهودي في كلّ ذلك، ولا يخفى ما تحمله مثل هذه الدراسات من إنكار للمقومات الذاتية للحضارة الإسلامية العربية، وادّعاء استمرارية الوجود اليهودي في العقيدة والحياة الإسلامية، تبريرا لقرار العودة الذي تقود قاطرته الحركة الصهيونية.

وفي العام ١٩٨٣م، سجّلت الباحثة الصهيونية (هافا لازاروس يافة) تردّدا مريبا على القاهرة، بدعوى إجراء بحث عنوانه (اليهودية والإسلام: العلاقة بين التوراة والشريعة الإسلامية)، وراحت تنفث سمومها على مسامع المتابعين لمحاضراتها عبر المركز الأكاديمي الإسرائيلي في مصر، وتزعم بأنّ اليهودية والإسلام ديانتان شديدتا التشابه، وأنّ الارتباط والتماثل بينهما أكثر ممّا بينهما وبين المسيحية»[١]، وهي دعوى مزدوجة الهدف، تسعى من جهة إلى بث الفرقة في مجتمع يشهد تعايشا بين المسلمين والمسيحيين، ومن جهة أخرى تبدأ بتقرير التشابه والتقارب، ثم تصل إلى ادّعاء استنساخ الإسلام عن اليهودية، ومن ثمّ الدخول تحت عباءتها.

والحقيقة أن الإسلام ما هو إلا دعوة صريحة للرجوع إلى دين الحق الذي تنطلق منه دعوات المرسلين من رب العالمين، لكنه في الوقت نفسه

(١) التطبيع والمطبعون، ص١١٦٣.

دين العالمين الذي لم يستنسخ اليهودية ولا النصرانية، بل جاء بما يتلاءم مع كونه رسالة للعالمين، عابرا للزمان والمكان، وما كل ذلك إلا حسدا من عند أنفسهم أن تؤثر هذه الأمة برسالة آخر الزمان وختم النبوة، يقول تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

❊ ❊ ❊

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

المبحث الثاني
شبهات دعوة القرآن للسّلم وإجازة التعامل مع الكفار

تستند هذه الشبهات إلى النصّ القرآني الذي يُعزل عن سياقه، وعن الواقع الذي نزل فيه، كما تقع في خطأ غضّ الطرف عن الآيات القرآنية المتعارضة، والسبيل إلى الجمع بينها مع مراعاة الناسخ والمنسوخ إن كان لها تعلّق به، أو الإطلاق والتقييد بما يتعلّق بأسباب النزول، وهو ما نحاول توضيحه، وتفنيده في المطالب الآتية:

المطلب الأول: شبهة دعوة القرآن للسّلم:

ادّعى المتصهينون في هذه الشبهة أنّ السّلم أساس متين في توجيهات القرآن الكريم الذي لا يفتح أبواب الحرب على مصراعيها، بل يجعل حصولها متعلقا بظروف معينة، ويحدّ منها قدر المستطاع بالحث على الجنوح للسّلم، ودليلهم في ذلك أنّ الله تعالى يقول: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾[1]، وهي صورة السّلام الموجودة اليوم، فقد جنح اليهود للسّلم، وأرادوه، وبمقتضى النصّ القرآني يكون الجنوح إلى السلم من المسلمين.

والجواب على هذه الشبهة من ثلاثة أوجه:

الأول: أنّ الصلح والهدنة مع الحربيين جائز بالإجماع وبنصّ هذه الآية، لكن الحاصل في العلاقة العربية الصهيونية هو زيادة في توليهم، والانبطاح

(١) سورة الأنفال: الآية ٦١.

لهم، فالذي يسمونه سلاما إنما هو ركون إلى الكيان الغاصب، عن طريق تطبيع العلاقات، والاعتراف به، وإقراره على أرض الإسلام المقدسة، وإعانته في تثبيت وجوده وبناء اقتصاده، وشتان بين هذا الواقع ومدلول الصلح والهدنة خاصة وأنّ العدوان الصهيوني على المسلمين لا يتوقّف، بل أنّ وجودهم في المنطقة في حدّ ذاته عدوان، «فهم يغتصبون فلسطين بما في ذلك المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى، ويغتصبون أجزاء أخرى من بعض بلاد المسلمين، ويقيمون عليها كيانهم المسمى (إسرائيل)، وقد أخرجوا قسما كبيرا من أهل البلاد منها، ومن بقي أخضعوه لسلطانهم، وأجروا عليه أحكامهم، وساموهم أنواع العذاب من تقتيل وتشريد وإذلال، وهم ينطلقون في عدوانهم هذا على بلاد المسلمين من عقيدتهم الباطلة، ونصوص توراتهم المزيّفة، وتلمودهم المصنوع بأيدي حاخاماتهم الحاقدين، ولا ريب في أنّ هذه المصادر تملي عليهم الاستمرار في عدواهم، والتوسّع في اغتصاب البلاد، حتى يسخّروا البشر لخدمتهم كافة، ويغتصبوا من بلاد المسلمين أكثر ممّا اغتصبوا حتى الآن، وما دعاوى السلام التي يُنادون بها في هذه الأيام، ويفاوضون عليها إلا شعار مرحلة، وكسب للوقت من أجل مزيد من الاستعداد والتهيؤ، ومن أجل استغفال المسلمين، وتضييع وقتهم، وتفتيت الأمة المسلمة، وتمزيق كلمتها»[1].

والثاني: أنّنا لو سلّمنا بتكييف هذه الاتفاقيات والعلاقات على مختلف

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود، ص١٨٨.

المستويات على أنها هدنة بعد حرب، فإنّ علينا الوقوف عند شروطها الشرعية، وعلى رأسها[1]:

- أن يكون هذا الصلح لمصلحة المسلمين الشرعية كضعف يسعى لتقويته بمهادنة الأعداء، أو طمع في إسلامهم، ونحو ذلك.
- أن يكون العقد مؤقّتا لمدة معينة، أو مطلقا غير محدّد المدّة، ولكنه غير لازم.

ولا أثر لهذين الشرطين فيما نشهده من هرولة نحو التطبيع، وموالاة الصهاينة، فهو لم يعقد لمصلحة الشّرع، ولا لمصلحة المسلمين، بل لا يخدم إلاّ اليهود ومصالحهم، مع المتصهينين من أذيالهم بيننا، كما أنه جعل مفتوحا بلا تحديد زمن، ولا تقييد شرط وفي ذلك تعطيل صريح للجهاد.

والثالث: أنه مليء بالشروط الباطلة، كالاعتراف باليهود، وحمايتهم، وإدخالهم بلاد المسلمين، وتطبيع العلاقات معهم بما يحكم بفساده، إضافة إلى إرغام المصالحين على تقديم التقارير الأمنية عن الحركات الإسلامية على وجه الخصوص للطرف اليهودي، بل أنّ الصلح اليهودي مع المصريين قد اشترطوا فيه الإبقاء على نصب تذكاري لجنودهم في سيناء، ممّا يشكّل لهم وثيقة للاحتجاج على ملكيّتها، والدخول إليها لزيارته متى شاؤوا[2].

---

(١) مختصر خليل للخرشي المالكي، ٣/ ١٥١، والمبسوط للسرخسي الحنفي، ١٠/ ٨٧.

(٢) نصوص ووثائق معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، ص١٠٩.

والحقّ أنّ الفلسطينيين أصحاب أرض، واليهودَ الوافدين إليها من بقاع العالم مغتصبون، يقيمون فيها بالقهر والغلبة، ولذلك فإنّ خيار السلم، والتفاوض في سبيل الوصول إليه يجب أن يكون مستبعدا في التعامل مع اليهود المغتصبين، «فلا يجوز التفاوض معهم من أجل الوصول إلى معاهدة سلام أو هدنة، لأنّ في ذلك ضياع الأصل الذي يجب على الأمة وجوبا عينيا المصير إليه واختياره، وهو الجهاد ومناجزة العدوّ الحرب ما استطاعت إلى ذلك سبيلا حتى استخلاص المغتصب من البلاد، وتخليص الأسير من العباد، وذلك لأنّ جواز التفاوض مع الأعداء مشروط بأن لا يقوم على أساس التفريط بحكم من أحكام الشرع، والتفاوض لإقامة صلح مع اليهود مناقض لوجوب جهادهم، فلا يجوز المصير إليه ما أمكن»[١].

ولقد فصّلت رابطة علماء فلسطين في الأمر من خلال فتوى لها بعد التمادي في الاتفاقيات تنصّ على تحريم الصلح مع اليهود، جاء فيها:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد ﷺ إمام المجاهدين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إل يوم الدين، وبعد:

يتساءل المسلمون الغيورون على دينهم ووطنهم وشعبهم وأمّتهم، في فلسطين وخارجها، عن الحكم الشرعي في الاتفاق الفلسطيني (الإسرائيلي)، وغيره من الاتفاقات مع الأطراف العربية الأخرى، والاعتراف بإسرائيل،

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٤٤٢.

والصلح معها، ولما كان واجب العلماء أن يُبصّروا المسلمين بأمور دينهم ودنياهم، ولا يكتموا الحق، ولا يخشوا في الله لومة لائم، لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾[1] فإنّنا نحن حملة العلم الشرعي في فلسطين الأرض المباركة، نبيّن الحكم الشرعي في هذه الاتّفاقات التي تشكّل كارثة على شعبنا وأمّتنا من جميع النواحي: الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كي نبرّئ ذمتنا أمام الله عز وجل يوم القيامة، ثم نسجّل موقفنا لأجيال المسلمين حاضرا ومستقبلا، نقول وبالله التوفيق:

فلسطين أرض إسلامية قدّسها الله وبارك فيها في أكثر من آية من القرآن الكريم، وأسرى إليها الرسول ﷺ وعرج منها إلى السّموات العلا، وصلى بها إماما بالأنبياء والمرسلين، وفتحها الصحابة الكرام ورووها بدمائهم الزكية، وهي مهوى أفئدة المسلمين وقبلتهم الأولى، والمسجد الأقصى أحد المساجد التي تّشدُّ إليها الرحال.

ونظرًا لأهمّيتها وعظيم قدرها، حضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشخصه ليتسلّم مفاتيح القدس الشريف من أُسقفها (صفرونيوس) ضمن اتّفاقية كان من شروطها عدم السماح لليهود بالسكن في القدس والبقاء فيها، لذا فإنّ رابطة علماء فلسطين تعتبر الصلح مع اليهود المحتلّين لفلسطين باطلا شرعا، وقد ساقوا لقولهم عدّة أدلة، ثم قالوا: لهذه الأسباب جميعا وغيرها فإنّ الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي، وبقية الاتفاقات

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٩.

العربية الإسرائيلية باطلة وحرام شرعا، والمسلمون غير ملزمين بالوفاء بها لأنها أُبرمت لإضفاء الشرعية على عدوان المحتلّين، واغتصابهم لأرض فلسطين، وديار المسلمين ومقدّساتهم وأموالهم، وتعتبر هذه الاتفاقات التي ستؤدي إلى الصلح والاعتراف بـ (إسرائيل) كبيرة من الكبائر، وخيانة لله ورسوله والمؤمنين، وإننا نطلب من جميع المسلمين، وأهل الفكر والرأي والسياسة، وقُوّاد الجيوش والعساكر العمل على إبطال الصلح والاتفاقات مع اليهود المحتلّين، والتوجّه بالأمّة إلى تحكيم الإسلام في جميع شئون حياتها، والتوجّه بالأمة إلى حياة الجهاد، والاستعداد وإعداد القوّة التي أمرنا الله عزّ وجل بها...» [١].

ومن جهتهم، أصدر علماء المغرب فتوى باسم رابطتهم بتاريخ ٥/ ٤/ ١٩٧٩م، بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر والكيان الصهيوني بيّنوا فيها حرمة مصالحة اليهود، وندّدوا فيها بمعاهدة (كامب ديفيد) لأنها تضفي الشرعية على الاغتصاب الصهيوني لأرض المسلمين، وأعلنوا بطلان هذه الاتفاقية شرعا وقانونا، وبيّنوا أنّ الواجب هو الجهاد من أجل تحرير البلاد من أيدي الغاصبين[٢].

ولا يسمح بالتفاوض مع اليهود إلاّ في حالات خاصة، منها: ما يكون من تفاوض بشأن الأسرى لفدائهم بالمال، أو تبادلهم بمن في أيدي المسلمين من أسرى اليهود، وكذلك في حالة اعتراف الطرف اليهودي بعدوانه، وعزمه

(١) مجلة قضايا دولية، العدد ٨٤، السنة٢، بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٩١، ص٩ وما بعدها.

(٢) صحيفة الراية، ٢٦ جمادى الأولى١٤١٥ه الموافق ١/ ١١/ ١٩٩٤م، العدد ١١٨، ص٩.

على إعادة الحقّ لأهله رغبة في الجنوح إلى السّلم -وهو مستبعد أمام إصرارهم على السيطرة على أرض فلسطين-، والأَولى بالأمّة أن تتفاوض فيما بينها للوقوف وقفة واحدة في وجه الصهاينة الغاصبين، بدل النزاع والشقاق وتفرُّق الجمع.

وجماع الردّ على هذه الشبهة أنّ الله تعالى لم يسمح للمسلمين بسلم فيه مهانتهم، واستذلالهم، وضياع حقوقهم، لأنهم الأعلى بعقيدتهم ودينهم فلا يجوز لهم القبول بالدون والهوان، وهل بعد بقاء المقدّسات الإسلامية بيد اليهود هوان؟ كما أنّ السّلم والهدنة إذ يستتبا يكونان شاملين، فلا تكون هدنة في القدس، وقتلى في غزّة، أو هدنة في إدلب وقتلى في حلب.

المطلب الثاني: شبهة جواز معاملة الكفار:

قال المتصهينون: ثبت بالدليل جواز معاملة الكفار، بالتجارة، وإرسال الرسل، وغيرها من العلاقات، والتعامل مع اليهود من هذا الجنس.

والجواب على هذه الشبهة من ثلاثة وجوه:

الأول: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[1]، وهذه الصفات تنطبق على اليهود، فقد قاتلوا المسلمين في الدّين، وشرّدوا الفلسطينيين، وظاهروا على إخراجهم.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٩.

الثاني: معاملة الكافر الحربي في البيع والشراء ونحوها جائزة، لكن معاملته بما فيه تقويته على المسلمين لا تدخل في نطاق الجواز، وهذه الاتفاقيات السّلمية تزيد في تقوية اليهود اقتصاديا، وتفتح لهم آفاق واسعة في المنطقة.

والوجه الثالث: أنّ المسألة هنا أعظم بكثير من مجرد تعامل في التجارة، فهي تؤكّد الاعتراف بالكيان الصهيوني، وحماية حدوده، والتمكين له في بلاد الإسلام.

وعليه فلا يقوم الدّين متجليا في سيرة النبي ﷺ، وطرق معاملته للأعداء شفيعا للحالة المُعاشة من التطبيع والاستسلام للعدو الغاصب المستمرّ في جرائمه في حقّ الشعب الفلسطيني، ومكائده المطوّقة للأمة العربية.

❋ ❋ ❋

المبحث الثالث
شبهة مصالحة الرسول ﷺ للكفار واليهود

لجأ المتصهينون المستميتون في شرعنة الصلح مع اليهود الغاصبين، والدّعوة إلى التطبيع معهم إلى السيرة النبوية، فبتروا منها أحداث ومواقف للنبي ﷺ مع اليهود والكفار ليستندوا عليها في دعواهم، ويحاولوا إقناع الرأي العام العربي والإسلامي بذلك، وفيما يلي عرض ومناقشة لهذه الدعوات المشبوهة:

المطلب الأول: صلح الحديبية

أثار دعاة التطبيع، والسلام المزعوم شبهة مصالحة الرسول ﷺ للكفار في صلح الحديبية، فقد ثبت أنه ﷺ هادن كفار مكة، وصالحهم رغم أنهم كانوا معتدين على أموال المسلمين وأملاكهم، واستولوا على بلادهم بالباطل، ويمكن أن يُقاس عليه السّلم مع اليهود.

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: أنّ مكة في ذلك الوقت لم تكن قد صارت دار إسلام، فهي دار حرب، وكانت الهجرة منها واجبة إلى دار الإسلام -المدينة-، كما أنّ ملك قريش لها كان صحيحا وليس طارئا، أي أنّ كفار مكة هم أهل لها وليسوا غاصبين، وفي جواز الصلح معهم دفع لشر متوقّع، أمّا فلسطين فهي بلد إسلامي، وجزء من دار الإسلام، واليهود فيها مغتصبون، معتدون على الحقوق والمقدّسات، والجهاد في حقّهم فرض عين.

الثاني: أنّ الرسول ﷺ صالح قوما كفارا كان يغزوهم ويقاتلهم، أمّا هذه الاتفاقيات فليست بين متقاتلين، بل بين متسالمين يرغبون في الوصول إلى امتيازات من الدول العربية المجاورة.

الثالث: أنه ﷺ كان يقاتل تحت راية الإسلام، أمّا هؤلاء فيقاتلون تحت رايات قومية وعلمانية.

والرابع: أنّ الرسول ﷺ صالح كفار قريش بتأييد من الوحي، أما هذه الاتفاقيات فتمّت استنادا إلى أحكام هيئة الأمم المتحدة، ومصالح الحكام الفاقدين للشرعية الشعبية.

والخامس: أنّ صلح الحديبية كان مؤقّتا بعشر سنوات، أمّا هؤلاء فيتفقون على السلام الدائم الملغي للجهاد[١].

ولقد كانت هذه المعاهدة ذات خير كبير على المسلمين في توسيع نطاق الدعوة، والتفرغ للجهاد، وتقوية شوكة الإسلام، قال (الزهري): «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»[٢]، والعكس هو الذي تخدمه هذه الدعوات اليوم، فهي

(١) ينظر: التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين، ناصر بن حمد الفهد، ص٧٨.

(٢) سيرة ابن هشام، ٣/ ٣٢٢.

فرصة للكيان الصهيوني ليعزز قوّته، ويبني مستوطناته، ويقوّي اقتصاده، ويحفظ أمنه.

المطلب الثاني: صلح الرسول ﷺ لليهود:

استدلّ دعاة التصهين في هذه الشبهة بصلح الرسول ﷺ لليهود في المدينة، فصالح بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير، وحالهم لا يختلف عن حال اليهود الآن.

والجواب على هذه الشبهة كذلك من وجوه:

الأول: أنّ هؤلاء اليهود كانوا موجودين في يثرب قبل هجرة النبي ﷺ إليها، فلم يغتصبوا أرضا للمسلمين، ولم يقتلوا أحدا منهم، «وفي يثرب معقل اليهود التقى الرسول ﷺ وجها لوجه مع اليهود، فأحسن معاملتهم لعلهم يؤمنون برسالته، وأمنهم على أموالهم وأنفسهم، وزارهم وطمأنهم، ثمّ تعاهد معهم في صحائف كتب لهم فيها العهد بالوفاء لما اشترط لهم مادامو موفين بالعهد، وقد طلب إلى جميع المسلمين الوفاء بما جاء فيها، ومنعوا من التجاوز والتطاول على من في يثرب من اليهود»[1]، أمّا يهود اليوم فقد اغتصبوا الأرض، وانتهكوا العرض، وأزهقوا الأرواح.

الثاني: أنّ أولئك كانوا رعايا تحت قيادة النبي ﷺ، «وجعل لهم نصيبا من المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم النفقة معهم في الحروب»[2]، أما هؤلاء فهم الذين يشترطون، ويأمرون وينهون.

---

(١) سيرة ابن هشام، ٣/ ٧٤.

(٢) الروض الأنف، السهيلي، ٢/ ١٧.

الثالث: أنّ احتكام أولئك اليهود كان إلى الرسول ﷺ كما ورد في العقد: «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإنّ مردّه إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ»[(1)]، أما هؤلاء فالتحاكم بينهم إلى هيئة الأمم المتحدة، وأحكامها المنحازة، والقراران الجائران لمجلس الأمن (٢٤٢-٣٣٨) القاضيان بأنّ لليهود الحقُّ الكامل باستمرار وجود كيانهم على الجزء الأكبر من أرض فلسطين، وهي الأرض المغتصبة عام ١٩٤٨..

الرابع: أنّ هؤلاء اليهود الذين عاهدوا الرسول ﷺ نقضوا العهود تباعا، وقد أخبر القرآن الكريم عن حالهم، وحقيقة طباعهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾[(2)] فلما كانوا معاهدين ساد السلم والتعايش، ولما نكثوا نالوا الجزاء:

أما (بو قينقاع) فيذكر المؤرّخون أنّ الرسول ﷺ ذهب بعد معركة بدر بأيام إليهم، فجمعهم بسوقهم، ثم خطب فيهم، فكان مما قاله لهم: يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلِموا فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم»[(3)].

وكان ردّهم خاذلا: «يا محمد لا يغرّنّك أنك لقيت قوما لا عهد لهم

---

(١) سيرة ابن هشام، ٢/ ٥٠٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٥٦.

(٣) سيرة ابن هشام، ٣/ ٥٠.

بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لو حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس»[1] مغترّين بما توهّموه من معاضدة حلفائهم من الخزرج، ولكنّهم واجهوا المصير بمفردهم، حيث حاصرهم الرّسول ﷺ، حتى نزلوا على حكمه، فأمر بإجلائهم عن المدينة، «وقد كان لإجلاء (بني قينقاع) وقع عظيم في نفوس اليهود، فقد امتنعوا بعد ذلك عن المجادلة الدينية، وكفوا عن رمي المسلمين بقوارص الكلام، ودخلت هيبة المسلمين في قلوب القبائل العربية التي لم تكن قد دخلت في الإسلام، فانفسح المجال أمام الرسول لنشر دعوته»[2].

وأما (بنو النضير) فقد أحسّ الرسول ﷺ بكيدهم، وتدبيرهم السوء، لاسيما أنهم قد امتنعوا عن القتال معهم في غزوة أحد، فأمر بإجلائهم بعد إمهالهم عشرة أيام، لكنهم تمنّعوا، وتحصّنوا بحصونهم، فما كان منه ﷺ إلا أن قطع نخيلهم، فبثّ في قلوبهم الرعب، ليحملوا ما استطاعوا من أمتعتهم ويتركوا المدينة، «فكان الرجل منهم يحمل بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعير، فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام»[3].

وحاول (بنو النضير) الثأر من الرسول ﷺ، فاقتربوا من قريش يستعدونها عليه، ويتحزّبون معها ضده، وهو صنيع مشين استشنعه عليهم المؤرخ اليهودي «إسرائيل ولفنسون» في قوله: «لكن الذي يلامون عليه بحق، والذي يؤلم كلَّ مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنما هو

---

(١) سيرة ابن هشام، ٣/ ٥٠.

(٢) اليهود في القرآن، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص٧٢.

(٣) سيرة ابن هشام، ٣/ ٢٠١.

تلك المحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنيين، حيث فضّل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية، فكان من الواجب ألاّ يتورّط اليهود في مثل هذا الخطأ الفاحش، وألاّ يصرّحوا أمام زعماء قريش بأنّ عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي، ولو أدّى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم، لأنّ بني إسرائيل كانوا مدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين، والذين نُكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من الأدوار التاريخية، هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام، والوقوف معهم موقف الخصومة»[1].

وأكثر من ذلك ما فعله (بنو قريظة) حين اغتنموا فرصة تجمّع الأحزاب على المسلمين يوم الخندق، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ، وشاركوا في الحصار والعدوان عليه، «وقد نتج من انضمام بني قريظة إلى جيوش الأحزاب، ونقضهم المعاهدة التي كانت بينهم وبين الرسول ﷺ أنه لم يمهل عليهم، بل بدأ يحاصرهم في نفس اليوم الذي انسحب فيه الأحزاب.. وبعد انتهاء أيام الحصار، وهي خمس وعشرون ليلة، استسلمت (بنو قريظة)، وقبلت أن تنزل على حكم الرسول لأنهم اعتقدوا حقّ الاعتقاد أنّ المسلمين يعاملونهم كما عاملوا (بني قينقاع) و(النضير)» [2].

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص١٤٢.

(٢) اليهود في القرآن، عفيف عبد الفتاح طبارة، ص٨٠.

وانتهى أمرهم إلى القتل والسبي، باستثناء الذين أعلنوا إسلامهم فعصموا أرواحهم وأموالهم، وبذلك قضي على بطون اليهود في المدينة.

ولو بقي هؤلاء اليهود بمختلف قبائلهم على العهد الذي كان بينهم وبين الرسول ﷺ لما وصل بهم الحال إلى النفي أو السبي أو القتل، ولعاشوا بكرامتهم بين المسلمين.

وعلى كلّ حال فقد لان ليهود يثرب جانب المسلمين لما وجدوه فيهم من مسالمة، خاصة وأنّ اليهود قد وجدوا في الإسلام دينا يحترم ديانتهم، وأنبياءهم، ويقترب في بعض أحكامه من أحكامهم، وقد تسامح معهم فأباح للمسلمين طعامهم، وأجاز التزوّج من بناتهم، بنصّ الآية القرآنية ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥ ﴾[1].

وبإسقاط الأمر على الواقع في علاقة المسلمين باليهود المغتصبين لأرض فلسطين فإننا نعدل على لفظ الصلح إلى (الاستسلام)، وهو ما نبّه عليه العلماء المعاصرون، ومنهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي إذ قال: «ومن الأهمية بمكان أن نلفت النظر إلى أنّ الفقهاء يحرصون في بيان هذا الحكم، حكم الصلح مع العدو المعتدي، والتحذير من إبرام المصالحات والجنوح

(١) سورة المائدة: الآية ٥.

إلى السّلم أو السّلام، فيقرّرون مثلا حرمة استسلام المسلمين للعدوان المتمثّل في اغتصاب حق وأرض.. وليس ذلك منهم احترازا على السلام العادل كما قد يُتوهّم، وإنما هو تعبير دقيق منهم عن أنّ السّلام العادل لا يتأتّى في حالة استمرار العدوان على الحق، بل لابدّ أن يؤول ما يسمّى بالسلام، أيّا كان شكله ومظهره إلى الاستسلام من المسلمين لسلطة العدوان المستمر»[1]، فالجنوح للسّلم، واستمرار العدوان لا يجتمعان، وكلُّ سلم يدعو إليه الصهاينة مع بقاء كيانهم على أرض فلسطين هو مطالبة للمسلمين بالاستسلام للأمر الواقع.

* * *

(١) الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه، وكيف نمارسه؟، ص٢٣٢.

المبحث الرابع
شبهة مراعاة مصلحة المسلمين واحترام قرارات الأمم المتحدة

تأتي هذه الشبهة من باب ذرّ الرماد في العيون، والتغطية على الهوى وحسابات المصالح الشخصية بغطاء مراعاة مصلحة المسلمين، وإلزامية القوانين الدولية، وهي كالآتي:

المطلب الأول: مراعاة مصلحة المسلمين:

قال دعاة التصهين العربي في هذه الشبهة أنّ مصلحة المسلمين تقتضي مصالحة اليهود في الوقت الحاضر، لأنهم لا يقدرون على قتالهم، وقد جاء الشرع باعتبار المصالح.

والجواب كذلك من وجوه:

الأول: أنّ باب مصالحة أعداء الله من الكفار والحربيين جائز بالإجماع، لكن الواقع حاليا لا تنطبق عليه شروط الصلح، فالصلح الجائز مشروط بالمدّة المؤقتة التي تُغتنم لتقوية الصف، والاستعداد للمواجهة، وليس صلحا مفتوح المدة، معدوم البواعث، قال الدكتور وهبة الزحيلي: «لا يصحُّ الجنوح إلى السّلم، أو قبول الصلح أو الهدنة مع اليهود مثلا، المغتصبين لأرض فلسطين، عند توافر القدرة على القتال: وتجهيز وسائل الحرب، وإعداد آلاتِ المعركة وأسلحتها المناسبة لكلِّ عصر وزمان، وأما عند العجز عن القتال، وضعف المسلمين فنكون مضطرّين إلى الموافقة على عقد هدنة مؤقّتة

نتمكّن من خلالها من إعداد أنفسنا لخوض المعركة التي تؤدّي بإذن الله تعالى إلى تحقيق الفوز والنصر والغلبة، واسترداد كلِّ شيء من أجزاء الأراضي المحتلة»[١].

الثاني: لو سلّمنا أنَّ المصلحة تقتضي مصالحة هؤلاء، فهذا يعني الهدنة فقط وترك القتال لفترة كما هو مشروع في حال ضعف المسلمين، فالمصلحة مهما عظُمت لا تبيح إلغاء فرض الجهاد، والاستهانة بالولاء والبراء، والانبطاح للصهاينة من اليهود المحتلين.

الثالث: أنّ المصلحة المعتبرة في الشرع ليست مصلحة فئات محدودة من الناس، بل هي المصلحة الشرعية التي تحفظ للمسلمين دينهم ودنياهم، فالمصالح الشرعية ليست منوطة بأهواء الناس، بل مبنية على النظر الشرعي الصحيح، قال (الشاطبي): «إنّ المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلّف، إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات»[٢]، وقال أيضا: «والمصالح والمفاسد الأخروية مقدّمة في الاعتبار على المصالح والمفاسد الدنيوية باتفاق، إذ لا يصحُّ اعتبار مصلحة دنيوية تخلُّ بمصالح الآخرة، فمعلوم أنَّ ما يخُلُّ بمصالح الآخرة غير موافق لمقصود الشارع، فكان باطلا»[٣].

---

(١) موقف الإسلام من غير المسلمين خارج المجتمع الإسلامي، ص٣٢٤.

(٢) الموافقات، ٥/ ٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ٣/ ١٢٤.

والحاصل أنّ الشرع أتى لتحقيق المصالح وتكميلها، وإبطال المفاسد وتقليلها، وهذه قاعدة كلّية لا يشذُّ عنها فرع، إلاّ أنَّ التحقّق من المصلحة الشرعية في الفرع يحتاج إلى دليل يثبت وجودها، لأنّ العقل قد يتخيّل ويتوهّم وجود المصلحة وهي في حقيقتها مفسدة، أو تكون مصلحة إلاّ أنها تقود إلى مفسدة أعظم.

المطلب الثاني: احترام قرارات الأمم المتحدة:

تسلّلت هذه الشبهة من منطلق اعتبار قرارات الأمم المتحدة ملزمة للدول الأعضاء فيها، رعاية للعهود التي دعا الإسلام إلى حفظها وتوسّعا في نطاق مفهوم دار العهد التي تجعلها بعض المذاهب قسما ثالثا بين دار الحرب ودار الإسلام[(١)]، ويلغي بها البعض الآخر دار الحرب، على غرار الشيخ (محمد أبو زهرة) الذي اعتبر ميثاق عصبة الأمم، ومن بعدها هيئة الأمم المتحدة الذي تجتمع عليه دول العالم ميثاق عهد وصلح تعتبر بموجبه كلُّ البلاد المشاركة في هذه الهيئة دار عهد، ويقول: «ويجب أن يلاحظ أنّ العالم اليوم تجمعه منظمة واحدة، قد التزم كلُّ أعضائها بقانونها ونظامها، وحكم الإسلام في هذه أنه يجب الوفاء بكل العهود والالتزامات التي تلتزمها الدول الإسلامية عملا بقانون الوفاء بالعهد، الذي قرّره القرآن الكريم، وعلى ذلك لا تُعدُّ ديار المخالفين التي تنتمي لهذه المؤسسة العالمية دار حرب ابتداء بل تعتبر دار عهد»[(٢)]، وهو توسّع قد يستند عليه البعض

---

(١) هو قول الشافعية والحنابلة في قول لهم، ومحمد بن الحسن.

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام، أبو زهرة، ص٥٧.

في تسويغ العلاقات العربية الصهيونية، وإعطاء الكيان الصهيوني وزنا واعترافا تضمنه قرارات هيئة الأمم المتحدة، ولذلك فإنّ هذا التوسع مردود صونا للحقوق العربية والإسلامية التي أهدرتها بعض الالتزامات الدولية، ويستند ردّه إلى أمور[1]:

● أنّ العهد أو الصلح الذي يعقده المسلمون مع أهل الحرب فتصبح به ديارهم ديار عهد له ضوابط وشروط مفقودة جميعها في ميثاق الأمم المتحدة، وعلى رأسها أن يكون في هذا العهد مصلحة للمسلمين، وأن يكون محدّدا بمدة، وألاّ ينهي الجهاد بالكلية. فهذا العهد يمنح الدول الكافرة والمغتصبة لأرض المسلمين الحقَّ في فرض ما تراه في صالحها من القرارات، كما أنّ المسلمين يشكّلون الحلقة الضعيفة في هذه الهيئة، وقد مضى على تشكيلها ما يقارب القرن من الزمان، ولم تزد المسلمين إلاّ ذلاًّ وتبعية وهيمنة من أعدائهم على أرضهم.

● إنّ هذه الهيئة صارت أكثر من دار عهد حتى أصبحت تلي أمور المسلمين، وتملك التصرف في خيراتهم وبلادهم، وتمنح أجزاء من دار الإسلام إلى الكفار، الأمر الذي لا يملكه ولي أمر المسلمين، بل ولا إجماعهم، كما حصل في فلسطين، حيث صدرت قرارات الأمم المتحدة بتقسيمها إلى دولتين لليهود وللعرب، ومُكّن اليهود من الاستيلاء عليها، .. فإذا سلّمنا بأنّ هيئة الأمم جعلت البلاد المشاركة فيها دار عهد فإنّ هذه الأمم المشاركة

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٤٥-٤٦.

قد نقضت عهدها، وصارت دار حرب بعدوانها على بلاد المسلمين، واغتصابها جزءا من أرض المسلمين ليكون وطنا لليهود، وليس المغتصب هم اليهود فقط، بل إنَّ هيئة الأمم هي المغتصبة بكل أعضائها الموافقين على إقامة وطن لليهود على أرض فلسطين، أو إنّ هؤلاء الأعضاء على الأقل يعدّون متعاونين مع العدو المغتصب أو المعتدي على دار الإسلام، وعلى ثالث أقدس مقدسات المسلمين.

ولا خلاف بين علماء المسلمين بأنّ المعاهد فردا كان أو دولة، إذا اعتدى على أرض المسلمين فإنه يعتبر ناقضا للعهد يجوز قتاله من غير إنذار، ويصبح من أهل الحرب[1]، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ ﴾[2]، ولا شكّ أنّ التصويت لصالح إقامة كيان لليهود على أرض فلسطين هو مظاهرة، وإعانة لهم على ذلك، فتكون هيئة الأمم بكلِّ أعضائها المصوتين على هذا القرار قد نقضوا عهدهم مع المسلمين.

ونخلص ممّا سبق عرضه وتفصيله إلى أنّ كلّ الشبهات ذات الغطاء الديني لا تقوم لها قائمة لتسويغ التصهين والتطبيع، وموالاة اليهود، والتعامل

---

(١) المجموع، ١٩/ ٤٤٩.

(٢) سورة الممتحنة: الآيتان ٨-٩.

معهم، فالعداء يبقى مستمرّا، والقياس على ما كان من الرسول ﷺ مع مجاوريه منهم، أو مع الكفار هو قياس مع الفارق لتغيّر الأحوال، واختلاف الملابسات، كما أنّ دعوى امتداد الديانة الإسلامية للديانة اليهودية باطلة ومردودة، وإسقاط الشروط الشرعية للسلم على الظروف الدولية الراهنة لا يمكن إيقاعه، لسبب جوهري هو غصب الأرض، وإشاعة الفساد في الأرض.

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

الشبهات السياسية والاقتصادية لدعاة التصهين

<u>يضمُّ هذا الفصل المبحثين الآتيين:</u>

❊ الشبهات السياسية لدعاة التصهين

❊ الشبهات الاقتصادية لدعاة التصهين

رغم استدعاء الأمر بالدرجة الأولى تسويغا دينيًّا لظاهرة التصهين العربي في سبيل إقناع العرب والمسلمين الذين يرفعون شعار الحرمة، إلاّ أنّ الحجج والشبهات تتشعّب بهؤلاء في مختلف المجالات الحياتية التي يسجّلون من خلالها تعاطفا مع الكيان الصهيوني، واعترافا به، ودفاعا عنه، وعن العلاقة المتنامية معه، على ما نذكره في هذا الفصل في جانبه السياسي والاقتصادي.

المبحث الأول
الشبهات السياسية التي يرتكز عليها دعاة التصهين العرب

لن نطيل الوقوف مع التبريرات والحجج التي يسوقها المطبّعون والمتصهينون العرب في جانبها السياسي، فمادّة هذه الدراسة قد أتت على العديد من مظاهر تصهينهم المفضوحة، وكشفت عن السراب الذي يلهثون خلفه بلا طائل، والأجندات الخفية التي يُسخّرون لخدمتها وتجسيدها في الميدان، ويكفينا من شبهاتهم ما يأتي ذكره:

المطلب الأول:
عزو مناهضة الصهيونية للولاء للدولة العثمانية:

هذه الشبهة أثارها الباحث الأكاديمي (يوسف لمدان)[1]، حيث يقول: «المقاومة للصهيونية جراء الولاء للعثمانيين كانت -كما يبدو- الاتجاه الرئيسي

(١) تاريخ الاستيطان اليهودي في فلسطين، ١٩٨٩، الأكاديمية القومية الإسرائيلية للعلوم، مؤسسة بيالك، القدس، (العصر العثماني- الجزء الأول).

للمناهضة العربية للصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى، والمرشّحان المقدسيان الاثنان اللذان فازا في انتخابات البرلمان في نيسان ١٩١٤ عبّرا بوضوح بمصطلحات الولاء للعثمانيين، عندما أجرى معهما محرر صحيفة (الإقدام) القاهرية مقابلة في آذار من تلك السنة، وأعلن سعيد بك الحسيني أنّ الصهيونية هي خطر على السلطنة، سواء من ناحية سياسية أو اقتصادية.. وأنا أستغرب جدا كيف تسكت الحكومة على هذه الحركة، لأنّ الصهيونيين يبقون في رعاية الحماية الأجنبية، ولذلك فعلى الحكومة أن تستيقظ وتفيق من غفلتها، وتعلم ما الذي يواجهها».

وفي واقع الأمر فإنّ المناهضة العربية للصهيونية تتجاوز حدود القومية والطائفية والإقليمية، وتتفاوت انطلاقا من الوعي السياسي لدى أصحابها، وليس على أساس الانتماءات أو الولاءات، فتقدير الخطر ليس متساويا بين فئات المجتمعات العربية، بل لماذا لا يكون الولاء للدولة العثمانية ناجما أصلا من موقفها من الصهيونية؟.

المطلب الثاني:
ادّعاء إلزامية اتفاقيات السلام وصعوبة الحياد عنها:

يلقي دعاة التصهين بالمسئولية على الموقّعين الأوائل على اتفاقيات السلام، والخائضين الرّسميين فيها، معتبرين الأمر ملزما للشعوب، ولو تغيّرت الزعامات، وتعاقبت الحكومات، والواجب في هذا الصدد هو إعادة القاطرة إلى سكّتها ولو تقادم الزمان، فالحقّ أحقّ أن يُتّبع، والمسيرة المديدة التي

قطعتها الدول العربية تحت راية التطبيع والسلام قد أثبتت أنّ الغادر لا أمان له، والهمجية الصهيونية لا رادع لها، ففي ظلّ هذه المعاهدات المزعومة لازال الكيان الصهيوني يضرب متى ما شاء، وأينما شاء، بلا رادع ولا حسيب.

ومن عجب أن يرفع سلفيو مصر هذا الشعار تبريرا لموادعتهم لإسرائيل، فقد أفادت التقارير أنّ حزب النور السلفي الذي سطع نجمه في انتخابات مصر النيابية سنة ٢٠١٢م، وحلّ في المرتبة الثانية بعد حزب الحرية والعدالة قد وجّه لطمة قوية لرافضي التطبيع عندما أجرى الناطق باسمه حديثا لإذاعة جيش الاحتلال الإسرائيلي، وقال الناطق الرسمي (يسري حماد) في هذه المقابلة: «إنّ حزبه حريص على الحفاظ على الاتفاقيات الدولية مع إسرائيل، وكذلك ترحيبه بالسياح الإسرائيليين بالمجيء إلى مصر»، وأكّد في هذا السياق أنّ إجراء أيّ تغييرات في اتفاقيات السلام بين مصر وإسرائيل يجب أن تتمّ عبر التفاوض، وأنّ حزب النور لم ينتخب من أجل الحرب، لأنّ مصر في حاجة إلى إعادة البناء والسلام حسب قوله، بل زاد على ذلك بأن قال: «إننا نرحّب بكلّ السياح حتى الإسرائيليين، فهم مرحّب بهم دائما ولا مانع لدينا من قدومهم إلى بلادنا»[(١)]، التصريح الذي أثار سخطا شعبيا وحزبيا باعتباره إعلانا صريحا للتطبيع، وبالنظر إلى طبيعة الجهة التي صدر عنها.

ولا تزال التسويغات السياسية تتوالى في ظلّ الخروج بالمستور من

---

(١) تاريخ المقابلة: ١٢/ ١٠/ ٢٠١٥.

العلاقات المشبوهة إلى العلن، والانبطاح بين يدي هذا الكيان الغاصب الذي عرف كيف يكسب عملاء من الحكام ورؤساء الأحزاب، ورموز النشاط السياسي بمختلف تياراتهم.

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني
الشبهات الاقتصادية لدعاة التصهين

لا يتوانى المتصهينون في الدعوة إلى الإبقاء على الحال التطبيعي الاقتصادي على ما هو عليه، طمعا في المزيد من العروض لتقديم المزيد من التنازلات الأخلاقية والسياسية الداعمة لاقتصاد الكيان الصهيوني، والمقتاتة على فتاته، وأبرز هذه الشبهات التي يغطّون بها على انبطاحهم، ويزعمون بها الفائدة المشتركة، أنّ «إسرائيل» سوق مهم لاقتصاديات العرب، وأنها قوة اقتصادية صاعدة ينبغي الاستفادة من علاقة الجوار بها.

المطلب الأول:
الاستفادة من قوة الاقتصاد الإسرائيلي:

يلحّ دعاة التطبيع الاقتصادي على التعامل مع الكيان الصهيوني باعتباره رقما مهمّا في اقتصاد المنطقة، وقوة اقتصادية لا ينبغي التغافل عنها، وبينما تتّسع في أنحاء العالم حركات المقاطعة لإسرائيل، وتكبّدها خسائر تفوق ١١ مليار دولار سنويا[1]، تعقد دول عربية صفقات بمليارات الدولارات لشراء الغاز الإسرائيلي، المنتج في معظمه من مياه عربية محتلة أو جرى التنازل عنها، ووسط هذا يجري الحديث عن حاجة المنطقة لمشاريع عملاقة يشارك فيها الإسرائيليون بتقدّمهم العلمي والتقني، ويوظّف العرب مالهم وعمّالهم فيها.

---

(١) التطبيع والمطبّعون، ص٢٩٧.

وإذا ما نظرنا في الواقع الاقتصادي الإسرائيلي نقف على حقائق وأرقام صادمة لا تعكس اتّساع الرقعة، ولا وفرة الموارد الطبيعية، حيث يعتبر الاقتصاد الإسرائيلي من أقوى اقتصاديات المنطقة، بل أنها تتفوّق على الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في بعض المجالات مثل البحث العلمي، وثمّة حقائق في هذا الصدد تغري المتصهينين على رأسها مايلي ممّا اقتبسناه من دراسة موثّقة[١]:

ارتفع الناتج المحلي الإجمالي بأكثر من ١٤٠ ضعف، من الفترة بين العام ١٩٦٠ إلى ٢٠١٥، حيث بلغ إجمالي الناتج المحلي في عام ٢٠١٥ حوالي ٢٩٦ مليار دولار، وفقًا لبيانات البنك الدولي؛ ما يضعها في المركز ٣٦ عالميًا، في ترتيب الدول وفقًا لإجمالي الناتج المحلي. كما بلغ معدل النمو الاقتصادي في ٢٠١٥ حوالي ٢.٦٪.

توسّعت شركات تصنيع الأسلحة توسعًا كبيرًا خلال العقود الماضية، مثل رافائيل ومؤسسة الصناعات الجوية الإسرائيلية (IAI) ومؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية (IMI) أو (TA-AS)، من حيث حجم ومستويات الأسلحة المتطورة، حيث تطوّرت من إنتاج الأسلحة النارية الأساسية إلى نظم الأسلحة المعقّدة ذات المستوى التكنولوجي العالي. وبسبب

(١) معلومات قد لا تعرفها عن الاقتصاد الإسرائيلي، أشرف إبراهيم، موقع (ساسة بوست) بتاريخ: ٧/ ٠٨/ ٢٠١٦ على الرابط:

https://www.sasapost.com/14-information-may-not-know-about-the-israeli-economy

المبالغ الضخمة التي تنفقها إسرائيل على البحث العلمي في مجال التسليح، فقد أصبحت من أوائل الدول المصدّرة للسلاح في العالم؛ حيث تصل مبيعاتها المعلنة من السلاح سنويًا أكثر من ٢.٥ مليار دولار، بينما ارتفعت واردات الأسلحة من قبل دول الشرق الأوسط بنسبة ٦١٪ بين الفترتين من ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٠م و٢٠١١ إلى ٢٠١٥م، حيث احتلّت السعودية المركز الثاني، فيما جاءت الإمارات في المركز الرابع ضمن الخمس دول الأكثر استيرادًا للأسلحة في العالم في الفترة بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٤م، بحسب ما ذكره موقع «ديفينس نيوز».

تعتبر إسرائيل وجهه سياحية رئيسة؛ حيث قام بزيارتها في ٢٠١٣م حوالي ٣.٥٤ مليون سائح أجنبي، وتعتبر مصدرا مهمّا من مصادر الدخل القومي؛ حيث ساهمت السياحة في ٢٠٠٨ بنسبة ٤.٧٪ من إجمالي الناتج المحلي، ويشكّلُ عدد السياح من الولايات المتحدة ١٨٪ ثم تأتي بلدان، مثل: روسيا وفرنسا والمملكة المتحدة وألمانيا من أكثر الدول التي تزور إسرائيل.

تضمّ «إسرائيل» العديد من الأماكن التاريخية والدينية، بالإضافة إلى الشواطئ والمنتجعات السياحية والمتاحف الأثرية، فهي تعتبر من أكبر البلاد التي تمتلك عدد متاحف في العالم.

هذه الحقائق جعلت الكثير من رجال الأعمال، وأهل السياسة يتذرّعون بالمصلحة الاقتصادية في التطبيع، ويسوّغون العلاقات المتبادلة استفادةً من

هذه القوّة الاقتصادية الصاعدة، ويكفينا تدليلا في هذا المقام العلاقات الاقتصادية الأردنية-الإسرائيلية، حيث كان تطبيع العلاقات الاقتصادية بين الأردن و«إسرائيل» أحد أهمّ النقاط الواردة في اتفاقية وادي عربة والموقّعة عام ١٩٩٤م، وقد خُصّصت لتفصيل هذا التطبيع المادة السابعة من الاتفاقية. وورد في الاتفاقية تحت عنوان «العلاقات الاقتصادية» أنّ الدولتين «تريان في التطوير الاقتصادي عمودَ أساس في تحقيق السّلام والأمن والعلاقات المنسجمة بينهما كدولتين، وبين الشعوب والأفراد على الطرفين».

كما تدعو المادة ذاتها إلى أن يتمّ الترتيب لاجتماعات ومفاوضات بين الطرفين من أجل الوصول إلى اتفاقيات تفصيلية بخصوص التعاون الاقتصادي وبخصوص إنشاء مناطق التجارة الحرّة وتحديد سبل التعاون في مجال البنوك والاستثمار والصناعة. وتحدّد المادة ضرورة أن يتمَّ عقدُ هذه المفاوضات بأقرب وقت ممكن، ويذكر «أن لا يتعدى ذلك ستة شهور بعد تبادل كتب التصديق على هذه الاتفاقية»، ممّا يعكس رغبة متحمّسة ومتسرعة لإنجاز التطبيع الاقتصادي باعتباره أحد أهم ثمار اتفاقية السّلام.

«وفي ظل سعي «إسرائيل» إلى تطبيع العلاقات الاقتصادية مع الأردن فإنها تهدف إلى ضرب عصفورين بحجر واحد، فالنقاطُ الواردة تحت المادة السابعة من اتفاقية (وادي عربة) تلمح أكثر من مرّة إلى ضرورة أن يتوسّع هذا التطبيع الاقتصادي ليعمّ ما أسماها «أطرافًا ثالثة» غير الأردن

و«إسرائيل»... كما وردت في النقاط الأخرى من نفس المادة الإشارة إلى ضرورة عدم حصر التعاون بين الدولتين فحسب، وإنما أن يكون تعاونًا في السياقات الإقليمية الأوسع، وأن تعمل كلُّ جهة على مساعدة الجهة الأخرى في «تطوير علاقاتها الاقتصادية مع الجيران الآخرين». وفي هذا إشارة إلى أنّ تطبيع العلاقات الاقتصادية بين الأردن ودولة الاحتلال يشكّل بابًا أمام دول عربية أخرى لتنضم لهذا التطبيع، ولو بطرق غير مباشرةّ[1].

ويُذكر أنّ الأردن يشكّل كذلك بوابة عبور «آمنة» أمام البضائع الإسرائيلية أو تلك المنقولة عبر الموانىء الإسرائيلية باتّجاه دول الخليج العربيّ. فالسوق الأردنية في نهاية المطاف لن تستوعب كميات كبيرة من الصادرات الإسرائيلية، إلاّ أنها ممرٌّ مناسب لهذه الصادرات باتجاه دول الخليج بعد أن تتمّ إزالة الملصقات الإسرائيلية عنها.

ورغم كلّ هذه الذرائع، وحقيقة الواقع الاقتصادي الإسرائيلي تبقى المقاطعة سلاحا ضروريا لمحاصرة هذا الكيان الغاصب، ويدخل في نطاق الجهاد والمقاومة المنافسة المشروعة لرفع المستوى الاقتصادي للدول العربية التي لا تفتقر إلى مقوّمات النهضة الاقتصادية، وإنما يضعفها التشتّت، واستفحال الفساد.

---

(١) ٢٣ عاما من التطبيع الاقتصادي: تاريخ مختصر للعلاقات الاقتصادية بين الأردن و« إسرائيل»، هنادي قواسمي، ٢٠/ ٤/ ٢٠١٧، موقع (حبر) على الرابط:
https://www.7iber.com/politics-economics

المطلب الثاني:
الانتفاع من التصدير لإسرائيل:

في مقابل الدعوة إلى الانتفاع من الاقتصاد الإسرائيلي، والتفتّح عليه، تبرز دعوة أخرى لاستغلال الجوار في التصدير للكيان الصهيوني، والوقوف في وجه المقاطعة التي تحول دون ذلك، وهذا ما تقوم به بعض الدول العربية سرّا وعلانية، فبلغة الأرقام «بحسب تقرير لجهاز الإحصاء المركزي الإسرائيلي، صادر في نوفمبر ٢٠١٥م، بين الأعوام ٢٠٠٨– ٢٠١٤م، ارتفعت قيمة الصادرات من الأردن باتجاه «إسرائيل» من ١٠٥.٩ مليون دولار إلى ٣٧٨.١ مليون دولار، بينما انخفضت قيمة الصادرات من «إسرائيل» باتجاه الأردن من ٢٨٨.٥ مليون دولار إلى ١٠٧.٨ مليون دولار، وبحسب التقرير نفسه، فقد انخفض عدد المصدّرين الإسرائيليين الذين تعاملوا مع الأردن من ٦٩٩ مصدِّرًا إلى ٣٧٣ مصدّرًا عام ٢٠١٤، وهو انخفاض بنسبة ٤٧٪. في المقابل، فقد بقي عدد المورّدين من الأردن ثابتًا بعض الشيء، عام ٢٠٠٨م كان هناك ٥٤١ موردًا من الأردن، بينما وصل العدد عام ٢٠١٤ إلى ٥٤٣ موردًا»(١).

ومن أبرز نشاطات التصدير ما تعلّق بالغاز المصري الذي يُصدّر إلى «إسرائيل» بناء على اتفاقية وقّعتها الحكومة المصرية عام ٢٠٠٥م، «تقضي

---

(١) ٢٣ عاما من التطبيع الاقتصادي: تاريخ مختصر للعلاقات الاقتصادية بين الأردن و« إسرائيل»، هنادي قواسمي، ٢٠/ ٤/ ٢٠١٧، موقع (حبر) على الرابط:
https://www.7iber.com/politics-economics

بتصدير ١.٧ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا لمدة ٢٠ عاما، بثمن يتراوح بين ٧٠ سنتا، و١.٥ دولار للمليون وحدة حرارية بينما يصل سعر التكلفة إلى ٢.٦٥ دولار، كما حصلت شركة الغاز الإسرائيلية على إعفاء ضريبي من الحكومة المصرية لمدة ثلاث سنوات من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠٠٨»[1].

وهذه الاتفاقيات وغيرها وإن بدا في ظاهرها أنها تفتح للدول العربية سوقا واعدا إلاّ أنها لا تخرج عن نطاق الهرولة وسلسلة التنازلات التي تبيح لهذا الكيان الغاصب أكثر مما هو تحت يديه، وتعطيه ما يزيد عنها ممّا هو موجود في دول الجوار بأبخس الأثمان، وبصفقات مشبوهة يستفيد منها الموالون لإسرائيل، وخونة القضية الفلسطينية.

* * *

(١) صحيفة البديل الصادرة بتاريخ ١٢/ ١١/ ٢٠١٠.

الفصل الثالث
الشبهات القانونية لدعاة التصهين

يضمُّ المباحث الآتية:

❋ شبهة قانونية التواجد الصهيوني على أرض فلسطين

❋ شبهة قانونية الصلح مع الصهاينة وإلزاميته

يلبس المتصهينون العرب رداء القانون وهم يدافعون عن العلاقات العربية الإسرائيلية المتنامية، فلا يتركون مجالا للعودة إلى الوراء، أو التراجع عن القرارات المذلّة، متذرّعين بنفاذ العهود، وإلزامية القيود، مما نناقشه في المباحث الآتية:

المبحث الأول
شبهة قانونية التواجد الصهيوني على أرض فلسطين

يدّعي الصهاينة وأشياعهم من العرب أنهم قد اكتسبوا حقا قانونيا في فلسطين بموجب وعد بلفور، وصك الانتداب، وقرار تقسيم فلسطين، «فلقد دأب الكُتّاب والسّاسة العرب عندما يتعرّضون للقضية الفلسطينية على تناول وعد بلفور، وصك الانتداب من حيث مدى شرعية الأول، وعدالة الثاني، ومن ثمّ يصدرون في شأنهما أحكاما قيميّة بحتة، وكأنّ القضية الفلسطينية هي قضية قانونية أو خلافية أولا وآخرا»[(١)].

المطلب الأول: وعد بلفور:

أصدرت بريطانيا هذا الوعد في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧م، حيث وجه اللورد (بلفور)[(٢)]، وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد

(١) سِفر التاريخ اليهودي، ص٦٣٨.

(٢) آرثر جيمس بلفور(١٨٤٨-١٩٣٠)، سياسي بريطاني محافظ، كان مهتما بالمسألة اليهودية، وكان من معارضي دخول اليهود إلى بريطانيا، قابل وايزمان عام ١٩١٦ وأعجب به، وأظهر اهتماما بالصهيونية خلال فترة وزارته ١٩١٦-١٩٢٢. (الموسوعة العربية الميسرة ص٣٩٩).

(روتشيلد)[١] تصريحا يعد فيه اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، نصّه:

«إنّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين، للشعب اليهودي، وستبذل أطيب مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية، التي تتمتّع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، أو يؤثر على الحقوق، أو الوضع السياسي، الذي يتمتّع به اليهود في البلدان الأخرى، وأكون شاكرا لو تفضّلتم فأبلغتم هذا القرار إلى الاتحاد الصهيوني»[٢].

وأمرُ هذا الوعد عجيب، فهو وعد من لا يملك لمن لا يستحق، وهو تبرّع لا ينشئ بحال حقوقا، وإلاّ لتبنّى المؤتمر الإسلامي بكافة دوله قراراتٍ بتمليك بعض الدول الإسلامية والعربية للأراضي المتنازع عليها في مختلف بقاع العالم.

ومن تصريحات (بلفور)، قوله: «لا ريب أنّ الصهيونية، سواء أكانت على حق أم على باطل، وسواء أكانت طيبة أم شريرة، هي مثل بريطانيا،

---

(١) عائلة روتشيلد هي عائلة يهودية ألمانية ثرية تقترض منها الدول الأموال، وتنزل عند رغباتها وقراراتها، تأسست على يد إسحاق إكانان، وبزغت في العصر الحديث، أمّا لقب (روتشيلد) فهو يعني الدرع الأحمر.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٦/ ٤٣..

ولا نعلم أيهما أخبث، عميقة الجذور في تقاليدنا وفي حاجاتنا الراهنة، وفي آمالنا المقبلة، وهي أكثر أهمية لنا من رغبات السبعمائة ألف من العرب»[1].

والأمر على ذلك واضح في أنه استعمار بالتواطؤ، فهذا النصّ البسيط يحمل دلالات كثيرة، فصّل الدكتور (عبد الوهاب المسيري) فيها القول[2]، ونوجز منها:

- وضوح صيغة الوعد في الدلالة على الهدف السياسي (الاستعماري)، والتعاطف مع (الشعب الإسرائيلي) في الاستقرار بأرض الميعاد.

- يعلّل الصهاينة والمتعاطفون معهم الأمر الواقع، وإلزامية وعد بلفور باعتباره صادرا عن إحساس عميق بمعاناة اليهود، واقتضاء الشفقة عليهم قيام الحضارة المسيحية بتقديم معروف لهم، وبالتالي فإنشاء دولة إسرائيلية يأتي بمقتضى ذلك من باب التعويض التاريخي، لكن من الثابت تاريخيا أنّ بلفور كان معاديا لليهود، وأنه حينما تولّى رئاسة الوزارة الانجليزية بين ١٩٠٣-١٩٠٥، هاجم اليهود المهاجرين إلى انجلترا لرفضهم الاندماج مع السكان، واستصدر تشريعات تحدّ من الهجرة اليهودية خشية من الشرّ الأكيد الذي قد يلحق ببلاده، ولم يكن (لويد جورج) رئيس الوزراء يقلّ كرها لليهود من بلفور، والموقف نفسه كان باديا من الشخصيات الأساسية الأخرى الواقفة وراء الوعد، والغريب في الأمر أنّ عددا من الصهاينة،

(١) مفارق الطرق إلى إسرائيل، ركريستوفر سايكس، ص٥٤.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٦/ ٤٤.

والمتعاطفين معهم من المتصهينين عبر العالم يعلّلون هذا الوعد بكونه ردّا للجميل لوايزمان لاختراعه مادة الأسيتون المحرقة في الحرب العالمية الأولى، وهو سبب واهٍ لا سند له من الواقع.

«إنّ وعد بلفور هو عمل من أعمال الدبلوماسية، والدبلوماسية فن من فنون السياسة، وفن السياسة كان وما يزال منفصلا كليًّا عن الأخلاق والقانون، بعيدا كلَّ البعد عن فكرة الخير والشرّ، والعدل والظلم، والفضيلة والرذيلة.. والدول بأعمالها الدبلوماسية تسعى إلى تحقيق ذاتها، ومن ثمّ قوّتها، وفي النهاية فرض إرادتها على من عداها من القوى، ومن هنا: فإنّ وعد بلفور هو عمل دبلوماسي أملته القوة من أجل تحقيق مصلحة الأقوى»[١].

ويربط الأستاذ (محمد السماك) بين هذا الوعد وما آلت إليه الأمور بقوله: «قبل اتّفاقية (كامب ديفيد) ١٩٧٩م بين مصر وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة التي نصّت على منح الفلسطينيين حكما ذاتيا في الضفة الغربية وغزة، وقبل التفسير الإسرائيلي لمعنى الحكم الذاتي بأنه حكم الغرباء على أرض إسرائيلية، أنكر وعد بلفور وجود الشعب الفلسطيني، ولم يذكر كلمة العرب مطلقا، بل أشار إلى ما سماه «جاليات غير يهودية» موجودة في فلسطين، واعترف باليهود كأمة، وباليهودية كقومية، وبموجب ذلك أصبحت (منذ صدور البيان وتكريسه دوليا) كل حقوق المواطنة لليهود (غير الموجودين) واستُجهل المواطنون الموجودون اسما وحقوقا، ذلك أنه

(١) سِفر التاريخ اليهودي، ص٦٣٨.

بالنسبة إلى سكان فلسطين من العرب المسلمين والمسيحيين، نصَّ وعد بلفور على ضمان حقوقهم المدنية والدينية، وهو الضمان الذي يُمنح للغرباء الذين يعيشون على أرض ليست لهم، تماما كما نصّت عليه اتفاقية (كامب ديفيد) بعد ٢٦ عاما، وهو ما تحاول إسرائيل أن تكرّسه من خلال المفاوضات العربية-الإسرائيلية، والفلسطينية-الإسرائيلية التي انطلقت من مؤتمر مدريد ١٩٩١م»[١].

المطلب الثاني: الانتداب:

«لم تكن بريطانيا تستطيع احتلال فلسطين عسكريا لتناقض الاحتلال مع الروح الجديدة التي بثّتها مبادئ الرئيس الأمريكي (ودرو ولسون)، ولم يكن بإمكان يهود فلسطين في ذلك الوقت إعلانها دولة لهم، المصالح البريطانية والصهيونية المشتركة اقتضت فرض الانتداب البريطاني على فلسطين تمهيدا للوقت المناسب الذي يتمكّن فيه اليهود من إعلان الدولة، فالانتداب يحقق لبريطانيا هدفا استراتيجيا يقع في إطار ممارسة «شرف» تحقيق وعد الله إلى اليهود بإعادة أرض فلسطين إليهم»[٢].

فُرض الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠م، بعد مؤتمر (سان ريمو) في إيطاليا، وعملت بريطانيا كلّ ما بوسعها لتمكين اليهود من الأرض الفلسطينية، فيسّرت سبل الهجرة إليها، وامتلاك الأراضي فيها،

(١) الصهيونية المسيحية، ص٥٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٥١.

وتأمين الرّعاية والحماية حتى تكتمل لهم القوة اللازمة للبقاء، وللإسراع في ذلك عينت أول مندوب سامٍ بريطاني على فلسطين، (هربرت صموئيل) اليهودي الصهيوني الذي كان يلقّب بملك إسرائيل، وكان لهم ما وعدتهم به، فلم تكتف بإنشاء وطن قومي لهم فحسب، بل بقيام دولة لهم في فلسطين هي إسرائيل، «وكانت هذه الأراضي التي يشير إليها صكّ الانتداب بأن يشجّع اليهود لسكناها واقعة تحت القانون العثماني للأراضي الذي يعطي كلّ من أصلح أرضا مواتا وزرعها، وأقام فيها، حقّ تملّكها وتسجيلها رسميا باسمه، ولهذا كان من أسبق التعديلات القانونية التي أعلنتها بريطانيا ذلك التعديل الذي ألغت به حقّ الإصلاح والتملك، والذي كان يستفيد به الشعب العربي هناك، فأصدرت في ١٦ فبراير ١٩٢١م ما أسمته (قانون تعديل القانون العثماني) واشترط الحصول على إذن بذلك من مدير الأراضي، وهو المستر (إبراماسون) اليهودي المعروف، بل فرض عقوبة على كلّ من نقّب وأصلح أرضا مواتا، أو زرعها دون أن يحصل على موافقة مدير الأراضي، لا يحقّ له أن يحصل على سند ملكية بشأن تلك الأرض، وحين عدّلت بريطانيا هذا القانون فتحت به باب التملّك لليهود عن طريق ملايينهم الكثيرة»[١].

وعلى العموم فقد سعت بريطانيا طيلة فترة احتلالها لفلسطين (١٩١٨-١٩٤٨) على تجريد العرب من أراضيهم، وتسليمها لليهود بمختلف الصيغ، وعبر سلسلة من القوانين الملزمة التي لا أساس لها مثل

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، أبو بصير، صالح مسعود، ص٤٥٣.

قانون انتقال الأراضي، وقانون الأراضي المحوّلة، وقانون الأراضي الموات، وقانون تسوية حقوق ملكية الأراضي، وقوانين حماية المزارعين... وفيما يلي تفصيل لبعض القوانين الجائرة و«اللاّقانونية» التي أجراها الكيان الصهيوني استمرارا لهذه السياسة البريطانية، وأبرزها:

قانون المناطق المغلقة ١٩٤٩م: هو قانون إرهابي هدفه نزع ملكية الأراضي الفلسطينية، حيث يخوّل الحاكم العسكري إعلان أية منطقةٍ منطقةً مغلقة، فيمنع من الدخول إليها، أو الخروج منها إلا بإذن.

قانون أملاك الغائبين ١٩٥٠م: وهو قانون أقرّه الكنيست، ويخوّل للكيان الصهيوني الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بواسطة (حارس أملاك الغائبين) لتتحول الملكية لصالح الكيان الصهيوني.

ويفسّر هذا القانون الغائب بأنه:

- كلّ مالك فلسطيني غادر مدينته أو قريته إلى خارج فلسطين.
- يعتبر الفلسطيني غائبا بموجب هذا القانون في حالة انتقاله داخل البلاد من مكان إلى آخر.

وبموجب هذا القانون تكون أملاك الفلسطينيين الهاربين من المتابعة الصهيونية مستهدفة للمصادرة «ونتيجة لتطبيق هذا القانون من قبل الكيان الصهيوني أمكن الاستيلاء على حوالي ثلاثمائة قرية عربية، شملت مساحات واسعة من الأراضي العربية الخصبة تقدر بحوالي ٢٨٠ ألف دونم، كما استولى

القيّم في المدن على ما يزيد عن ٣٥ ألف بناء تحوي أكثر من ٥٧ ألف مسكن، و١٠ آلاف محل تجاري أو صناعي، واستولت السلطات الإسرائيلية بموجب هذا القانون على ما يزيد عن ربع مليون دونم من أراضي المواطنين العرب الذين ظلوا في الأرض المحتلة بعد ١٩٤٨م»[1].

قانون تملك الأراضي ١٩٥٣م: وافق عليه الكنيست الإسرائيلي، ويتيح لوزير المالية الإسرائيلي صلاحية مطلقة لنقل ملكية الأراضي المستولى عليها لصالح الكيان الصهيوني، ومتابعة ذلك، وقد جاء هذا القانون ليضفي الشرعية القانونية على ما تم الاستيلاء عليه من أراضي.

قانون التصرف ١٩٥٣: ينصّ على أنّ للسلطات الإسرائيلية الحق في التصرف في أراضي الفلسطينيين الذين لا يتمكّنون من التصرف فيها بأنفسهم.

قانون الاستقرار ١٩٥٨م: يضغط على الفلسطينيين لاستظهار الوثائق اللازمة المثبتة لملكيتهم لأراضيهم، وتكمن خطورته في صعوبة توثيق الملكية على الفلسطينيين، وتخويله للكيان الصهيوني الاستيلاء على ما لا حقّ له فيه، ولا وثائق تثبته لصالحه.

«إنّ الانتداب لا يمنح بريطانيا ولا غيرها حق التصرف بما انتدبت عليه، بل المطلوب الأخذ بيد المواطنين وتأهيلهم للاستقلال فقط، وحقّ تقرير المصير، الذي أقرّ بعد الحرب العالمية الأولى، وكان حجر الزاوية في

(١) الموسوعة الفلسطينية، ص٣٠٤.

تنظيم المجتمع الدولي.. إنّ صك الانتداب لم تضعه عصبة الأمم، بل بريطانيا والصهاينة»[1].

وصكّ الانتداب كسند يصح أن يقال عنه أنه قانوني، لصدوره عن هيئة عصبة الأمم، لكنها لا تعدو أن تكون عصبة للأقوياء في مواجهة الضعفاء، «وفي حقيقة عصبة الأمم هذه تقبع حقيقة صك الانتداب على فلسطين، إنه عمل من أعمال عصابة الأقوياء، ومن ثم فهو عمل من أعمال القوة لصالح الأقوياء، يُفرض على الضعفاء، وليس شيئا آخر»[2].

المطلب الثالث: قرار التقسيم:

عُرض قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، ووافق عليه من أصل ٥٧ دولة ٣٣، وتضمن القرار إقامة دولة عربية، وأخرى يهودية، على أن تكون القدس وبيت لحم تحت إدارة دولية، وبموجب هذا القرار الصادر عن هيئة الأمم المتحدة أعلن اليهود إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين، «ولقد كان قرار التقسيم نصرا عظيما أحرزته الصهيونية يماثل النصر الديبلوماسي الذي أحرزته عندما دمجت وعد بلفور بصك الانتداب، وكان هذا القرار فشلا ذريعا لنا، أدبيا وعمليا، من حيث أنه جعلنا عرضة للعقوبات الدولية في حالة مقاومتنا له»[3].

---

(١) اليهود والتحالف مع الأقوياء، ص١٦٢.

(٢) سِفر التاريخ اليهودي، ص٣٦٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٧٧.

ولم يكن القرار ليُمرّر، ولا لجيوش العرب لتنهزم بعد هبّتها لإنقاذ الأرض، وحفظ العرض لولا ذلك السيناريو المتشابك من الخيانات المصرية الأردنية السعودية على ما فصلناه في مواضعه من هذه الدراسة.

وكنتيجة فكلُّ هذه الوعود قد صدرت عن غير صاحب الحق الشرعي، وصاحب السيادة على فلسطين، وهو الشعب الفلسطيني، ولن يجد أي خبير في القانون أي أساس شرعي لدعوى اليهود في فلسطين.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني
شبهةُ قانونيةِ الصلح مع الصهاينة وإلزاميته

المطلب الأول:
معنى المعاهدات وما تعلّق بها من المصطلحات:

المعاهدة في اللغة من العهد، وهو: الموثق والأمان والذمة والوصية واليمين، وعهد إليه: أوصاه، والمعاهدة بمعنى المصالحة، وهي الاتفاق على أمر[(١)].

وفي الاصطلاح: قال (ابن جزي)[(٢)] المالكي: «المعاهدة هي الصلح مع الحربيين على عوض أو دون ذلك في حالة ضعف المسلمين بناء على مقتضيات مصلحة الأمة»[(٣)]، وثمّة تعريفات كثيرة متقاربة مع هذا التعريف، مع تفاوت في تحديد الشروط بناء على المدارس الفقهية التي ينتمي إليها أصحاب التعريفات، لكنها تشترك في الدلالة على ترك القتال مع الكفار لمصلحة، وفصّل صاحب (البدائع) بما يؤدّي هذا المعنى من ألفاظ، وهي: الموادعة، والمسالمة، والمصالحة، والمعاهدة، وما يؤدي هذا المعنى من عبارات»[(٤)]، فالمعاهدة تتّفق في المعنى في الاستعمال القديم مع الهدنة والصلح.

---

(١) لسان العرب، ٣/ ٣١٣، القاموس المحيط، باب الدال فصل العين، ص٣٨٧.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي، فقيه، من العلماء بالأصول واللغة من أهل غرناطة، من مؤلفاته «التسهيل لعلوم التنزيل»، و«القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية» الأعلام ٥/ ٣٢٥.

(٣) القوانين الفقهية، ص١٧٤.

(٤) البدائع، ٧/ ١٠٨.

المطلب الثاني:
الفرق بين الهدنة والصلح:

قضت قوانين القانون الدولي أنّ هناك فرقا واضحا بين كلمتي (الهدنة) و(الصلح)، فلكلٍّ لفظ منهما دلالة تختلف عن الآخر، إذ الهدنة هي: إيقاف حالة الحرب لمدّة أو مطلقا عن المدة لكن دون إنهائها، وأمّا الصلح الدائم فهو إنهاء حالة الحرب بين الطرفين المتصالحين على وجد التأييد، وإحلال حال السّلم بشكل دائم، وعليه يكون معنى الصلح والهدنة في الشريعة مرادفا لمعنى الهدنة في القانون، أما الصلح بمعنى إنهاء الحرب وإحلال سلم غير قابل للنقض مكانها من جهة المسلمين فقد دلّت أقوال العلماء على عدم جوازه.

يقول (وهبة الزحيلي): «الّصلح المؤقت في الإسلام يشبه ما يسمى في قوانين الحرب الحديثة بالهدنة، والهدنة عبارة عن اتّفاق خاص يعقد بين الدول المتحاربة بقصد إيقاف القتال مؤقتا، أو بصورة دائمة دون إنهاء الحرب من الناحية القانونية، ولقد نظّمت أحكامها اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧م، فالهدنة تؤدي إلى وقف القتال ابتداء من تاريخ معيّن، وخلال مدّة تحدّد مسبقا، وقابلة للتمديد أو غير محددة قطعا، وقد لاحظنا أنه ليس من آثارها إنهاء حالة الحرب، وإنما يتحقّق ذلك بعقد معاهدة صلح، وهي صك تعاقدي تنتهي به حالة الحرب القائمة، ويعود السّلم بصورة قانونية»[١].

(١) أثار الحرب، ص٦٨١.

وبالنظر إلى إثارة المنادين بالسّلام مع اليهود لهذه المسألة القانونية، فإنّ الواجب هو بيان موقف الشّرع والإسقاط على الحالة الرّاهنة في العلاقة العربية الصهيونية، حيث تختلف أقوال العلماء في مشروعية عقد معاهدة مع الكفار باختلاف حال المسلمين، وموقعهم، والأمر المتعاقد عليه من حيث تحقيقه لمصلحة المسلمين، وبالنظر إلى ما يمليه عليهم من تنازلات، وما يضمنه لهم من حقوق، كما يؤخذ الاضطرار من عدمه في ذلك، والمتّفق عليه في ذلك هو جواز عقد معاهدة مع الكفار إذا ما عادت بمصلحة على المسلمين دون تقديم تنازل، أمّا إن ألحق مضرّة ومفسدة بهم، أو يقودهم إلى تنازل فيكون محرّما، مع اشتراط عدم إبرامها على التأبيد، بل لمدّة معينة، لأنّ ذلك يفضي إلى تعطيل الجهاد.

ويشهد الواقع العربي الصهيوني على عدم مراعاة الصهاينة للهدنة التي يعقدونها مع العرب متى ما سنحت لهم الفرصة، فقد عقدت هدنة بين الطرفين في أعقاب ١٩٤٨م، ثم بادر الكيان الصهيوني بالعدوان غير مراعٍ في المسلمين إلاًّ ولا ذمّةً، وتوالت مجازره ضدّ الشعب الفلسطيني بعد ١٩٤٩م، كما اعتدوا على مصر عام ١٩٥٦م بمساعدة كلٍّ من بريطانيا وفرنسا، ثم اعتدوا عام ١٩٦٧م على الدول المجاورة، فاغتصبوا بقيّة فلسطين- الضفة الغربية، والقدس الشرقية التي كانت مع الأردن، وغزة التي كانت تحت السيادة المصرية، والجولان من أراضي سوريا، ثم عقدت بعد ذلك مجددا هدنة فرضتها هيئة الأمم المتحدة لصالح الكيان الصهيوني، وفي عام ١٩٧٣م خاضت مصر وسوريا حرب رمضان التي مُني فيها الكيان

الصهيوني بهزيمة نكراء غطوا عليها بهدنة توقّف تدفق المجاهدين، وتحول دون استرجاع المزيد من المناطق.

ورغم أنّ معاهدة السلام الأولى بين الكيان الصهيوني وطرف عربي قد عقدت مع مصر ممثّلةً في رئيسها (أنور السادات)، إلاّ أنّ اغتياله لم يدفع لاحقه لمراجعة الموقف، أو العدول عنه، بل جاء بعده الرئيس المخلوع (حسني مبارك) مباركا ومكملا المسيرة، «ففي حين كان السادات يعتبر (كاب ديفيد) بمثابة إنجاز عظيم، يستحق الدفاع عنه، فإنّ مبارك كان في بداية حكمه ينظر إلى (كامب ديفيد) باعتبار أنها «التزام قانوني ينبغي مراعاته واحترامه»، ولم يحد عن طريقه أبدا في تشجيع عملية التطبيع، والترويج لمشروع التسوية الإسرائيلية/ الفلسطينية وفق التزامات (كامب ديفيد) طيلة فترة حكمه التي انتهت بثورة يناير٢٠١١م»[1].

المطلب الثالث:
تسويغ الخروقات الصهيونية:

أولا: تسويغ الاغتيالات:

كثيرا ما يسارع أذناب الصهاينة بيننا إلى تبرير الاغتيالات البشعة التي يمارسها العدوّ الصهيوني في حقّ أبناء الشعب الفلسطيني من المواطنين، ومن العلماء والمفكرين، فيكتبون المقالات، ويقدّمون الحجج المأجورة لإسكات

(١) التطبيع والمطبعون، ص٦٥.

الأصوات، فعلى سبيل المثال، وبمنتهى الجرأة برّر الكاتب الكويتي (عبدالله الهدلق) عملية اغتيال العالم الفلسطيني (فادي البطش) في ماليزيا نهاية شهر أبريل ٢٠١٨م، واصفا إياه بالإرهابي ومشبّها العملية بعملية اغتيال المهندس التونسي (محمد الزواري) والذي تمتّ تصفيته قبله بنحو عامين.

وقال «الهدلق» في مقال له بعنوان: «جهاز الموساد يبطش بـ(فادي البطش) نشره عبر حسابه بموقع «تويت شورت»: «بعد مضي وقت على اغتيال الإرهابي (فادي البطش) في ماليزيا، مازالت إسرائيل رسمياً تلتزم الصمت، كما جرت العادة في معظم عمليات الاغتيال السابقة، في حين أفسحت المجال لوسائل إعلامها ومحلّليها للشؤون الأمنية أن يستفيضوا في التلميح أحياناً والتصريح أحياناً عن مسؤولية جهاز الموساد الإسرائيلي عن الاغتيال، من خلال وضع لائحة اتهام ضد (البطش) توضّح جناياته وجرائمه الإرهابية ضدّ إسرائيل وشعبها، وفقا لما تمّ نشره على الصحف والمواقع وحسابات التواصل الاجتماعي الإسرائيلية لوقف جهود حماس لتطوير وسائلها القتالية الجارية في جنوب شرق آسيا».

وأضاف قائلا: «إنّ اغتيال البطش لا يحتاج كثيراً من الجهد لمعرفة الجهة المسؤولة عنه، فهو أحد كوادر الجناح العسكري لـ(حماس) الإرهابية الموالية لإيران والمتحالفة معها، كما أنّ اغتياله يشبه في ظروفه ما حصل في اغتيال الإرهابي التونسي (محمد الزواري) قبل عامين بمدينة صفاقس حيث أطلق عليه المنفّذون النار من مسافة قريبة، ومن الجنايات الإرهابية التي

انخرط بها البطش خلال عمله في الذراع العسكرية لحركة (حماس) أنه عمل في مجال تطوير المزيد من الوسائل القتالية الإرهابية والتخريبية، واللاّفت في عملية الاغتيال مكانها الجغرافي وهو ماليزيا الدولة التي يوجد فيها عدد غير قليل من الطلاب الجامعيين (الفلسطينيين) وتجنيد (حماس) لعددٍ كبيرٍ منهم».

واعتبر «الهدلق» أنّ «اغتيال الإرهابي (البطش) وما سبقه من عمليات، يشير لما يمكن وصفه بالحرب السرّية التي تجري وراء الكواليس بين (حماس) ودولة إسرائيل، وتبعاتها المتوقّعة على الوضع الأمني في قطاع غزة لأنّ (حماس) تبذل جهوداً حثيثة للحصول على المزيد من الوسائل القتالية الإرهابية الفتاكة، كما أنّ لإسرائيل مصلحة بتصفية (البطش) لأنه كتب عام ٢٠١٤م مقالة حول منظومة محرّكات الطائرات دون طيار، وأخرى حول تطوير منظومة بث إف إم، كما أنَّ اغتيال الإرهابي (البطش) يدلّ على استراتيجية جهاز الموساد القائمة على شلّ قدرات تطوير السلاح للأطراف الإرهابية المعادية التي تعمل بعيدة عن إسرائيل ومنعها من إنجاز الأهداف الإرهابية التي وضعتها، وتصفية (البطش) تبعث برسالة بأنّ هذه نهاية كلّ من يسير بهذا الطريق».

وتتكرّر مثل هذه المقالات المأجورة كلّما فجعت فلسطين في أحد أبنائها البررة، لتنقلب الموازين إلى جعل المقاوم المدافع عن أرضه إرهابيا، والمعتدي القاتل شريفا محمود الجانب.

ومهما كانت الشبهات القانونية المدّعاة فإنّ الحقّ لا يغيب أبدا، والقانون العادل يكشف أهل الباطل، ويفضح زيفهم، فما أُسّس على باطل لن يستمرّ مهما زُيّن للناظرين.

وفي ختام هذا الباب نخلص إلى نتيجة على درجة من الأهمية، والشمول بخصوص هذه الشبهات المسوّغة للارتماء في أحضان الصهيونية، ونجد أنفسنا بإزاء الأسباب الحقيقية للتصهين العربي، سواء منها ما كان من صميم الشخصية الانهزامية، بما ينطلي عليها من شبهات، أو ما كان من إملاءات النفوس الماكرة المغطّية على بيعها للذمم والأعراض، في سبيل مصالح خاصة، وولاءات ما أنزل الله بها من سلطان، فإنما كان ما كان من هؤلاء العرب من التصهين السرّي والمعلن، والترويج له للأسباب الآتية:

١- ضعف الوازع الديني في نفوس كثير من المسلمين، وفهمهم الخاطئ لسيرة الرسول ﷺ، وبالخصوص لطبيعة علاقته مع اليهود.

٢- الغفلة الشديدة عن الخطر المحدق بالأمة، واغترار المسئولين العرب بالوعود الصهيونية المادية، والالتزامات الكاذبة.

٣- قلة الجهود المادية والفكرية والتوعوية بقضية فلسطين، وأحقية العرب والمسلمين بها.

٤- تفرّق قيادات العرب وسياساتهم المترددة المتخاذلة.

٥- تصدّر الأقلام المأجورة من العملاء للمشهد الإعلامي بما يشوّش الأفكار، ويقلب الحقائق، ويصنع رأيا شاذا قد ينطلي على قليلي الوعي.

والخلاص من هذا الوهن، والولاء المرفوض يكون بتحقيق مناعة متعدّدة الاتجاهات نفصّلها في الباب الرابع من هذه الدراسة.

* * *

الباب الثالث

مآلات التصهين العربي

تتوزّع مادة هذا الباب على الفصول الآتية:

الفصل الأول: المآلات السياسية والاقتصادية

الفصل الثاني: المآلات العسكرية

الفصل الثالث: المآلات الاجتماعية

تتبّعنا في ما سبق من الدراسة مسيرة التصهين العربي، ووقفنا على أبرز مراحله، وصولا إلى المرحلة الراهنة التي بلغت فيها الخطورة مداها، بعد تحالف السياسة والفكر لولوج هذا الدرب المظلم الذي لا تؤمن عقباه على مصير الأمة، وولاءات أبنائها، ليصل بنا الحديث في هذا الباب إلى ما تستشرفه العقول المتبصّرة من المآلات المفزعة والمخزية لهذا التوجّه على مختلف الأصعدة.

ولمّا كانت السياسة هي ورقة ضياع الأوطان، جعلنا لها صدارة الحديث مع ما يتأثّر بها، ويسير في فلكها من اقتصاد، وتسلّح، وما ينعكس عنها من تغيّر مجتمعي رهيب نحو تحليل المحرّمات، وإنهاء المقاطعات، والذوبان في ثقافات مغايرة للثقافة الأم، بما يحدث معه الانسلاخ الحضاري، وتسهل معه العمالة والتجسس على الأمة.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

المآلات السياسية والاقتصادية

مباحث هذا الفصل هي:

❊ المآلات السياسية للتصهين العربي

❊ المآلات الاقتصادية للتصهين العربي

إنّ المصير المحتوم للتصهين العربي هو تزييف الوعي السياسي، وتبرير الواقع الراهن، مع الوقوف في وجه حركات المقاومة، وتصنيفها مع الإرهاب الذي يهدّد استقرار المنطقة «وإنّ المرء ليعجب من وجود أشخاص مازالوا يصرون على أنّ الدين لا دخل له في توجيه سياسات الدول الغربية، كما يعجب من موقف من يستنكر تسمية أحزاب في الدول الإسلامية بأسماء إسلامية، مع أنّ هناك أحزابا في الغرب المسيحي تسمّى بالمسيحية، وبعضها تحكم البلدان التي هي فيها، على أنّ الأهمّ هو أنّ الإدارات المتعاقبة على زعامة الولايات المتحدة الأمريكية متصهينة، وجاءت مواقفها دائما مجسّدة لهذا التصهين»[1].

وتترتّب في هذا الانزلاق الذي يقود إليه التصهين خطوات تبدأ بالاعتراف بهذا الكيان، وتمرّ بالاتفاقيات السرّية وحتى العلنية معه، وصولاً إلى التعامل الاقتصادي المعلن، والمثبت لوجوده في المنطقة بنيّة رعاية المصالح الضيقة، والحفاظ على الامتيازات التي يثبتها لها هذا التعاطي مع الحركة الصهيونية لدى الرّعاة الرّسميين لحماية الوجود الصهيوني في المنطقة من الولايات المتحدة الأمريكية وأقطاب العالم الغربي الداعمين له.

❊ ❊ ❊

(١) بيع الأوطان في المزاد العلني، ص٤١.

المبحث الأول
المآلات السياسية للتصهين العربي

لم يخفِ اليهود رغبتهم التوسّعية في المنطقة، فقد جاء في التلمود: «بما أنّ اليهود يساوون أنفسهم مع العزّة الإلهية، فالدنيا وما فيها ملك لهم، ويحقّ لهم التسلّط على كلّ شيء»[1]، فالدولة التي يسعى اليهود إليها ليس لها حدود، بل تقود إليها على مراحل أطماعهم في بلاد الشام والعراق وأجزاء من تركيا، وشمال الكويت وشمال السعودية ومصر حتى النيل، «فالعدوان منهم متوقّع، إضافة إلى كونه واقعا، وما الشعارات التي ترفع لما يسمّى بالسلام إلا ملهاة للأمم والشعوب، ، والمراد منها إتاحة الفرصة أمام كيانهم ليعدّ العدّة، ويضع الخطط التي تمكنه من التوسع والسيطرة»[2]، فبهذه الطريقة يضمنون المضي في تثبيت كيانهم وتوسيعه، ويخرجون بالمفاوضات والاتفاقيات من السرّ إلى العلن، و..... ولا يتسنّى لهم ذلك إلا بوضع أيديهم في أيدي عملاء العرب، ومتصهينيهم الذين يمهّدون الطريق بتنازلاتهم بطريقة لا تقوى عليها الجيوش إن هي واجهت الرفض العربي.

المطلب الأول: الاعتراف بالكيان كدولة كاملة الحقوق:

إنه الواقع الذي سعى الزعماء الصهاينة إلى طبعه بتغلغل كيانهم بين الدول العربية، واكتساب صك القبول له بالإجماع، وفي سبيل هذا الاندماج

(١) المخططات القادمة لليهودية العالمية، نور الإسلام كافي، ص١٣.
(٢) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص١٩٠.

المنشود تمّ الترويج لمشروع الشرق الأوسط الجديد، ووضع (شيمون بيريز) مخططات هذا المشروع في كتابه الذي صدر نهاية العام ١٩٩٣م بالانجليزية تحت عنوان (الشرق الأوسط الجديد)، مطالبا من خلاله بوضع حدّ للصراع العربي الإسرائيلي، وإنشاء سوق شرق أوسطية، وكونفدرالية إسرائيلية-أردنية-فلسطينية، ومؤكّدا بأنّ «إسرائيل» قد حصلت من خلال اتفاقياتها مع العرب على تنازلات أمنية وسياسية دون تنازل من جهتها فيما تعلّق بالقدس والمستوطنات

ولقد توالى الاعتراف العربي الرّسمي بالكيان الصهيوني تصريحا وتضمينا على النحو الذي سبق عرضه في فصول ومباحث الدّراسة، غير أنّ المستجدّات حاليا في تهاطل على أسماعنا وأبصارنا، ففي الـ١٦ من نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٧م، قال رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال (غادي إيزينكوت)، خلال مقابلة له مع صحيفة «إيلاف» السعودية: «هناك توافق تام بيننا وبين المملكة العربية السعودية التي لم تكن يومًا من الأيام عدوة أو قاتلتنا أو قاتلناها»، في محاولة منه لنقل وتجسيد حجم ما وصل إليه التنسيق بين البلدين، وفي الـ٢٠ من نفس الشهر، أي بعد أربعة أيام فقط من هذا التصريح، قال وزير العدل السعودي السابق (محمد بن عبد الكريم العيسى)، خلال حديث له لصحيفة «معاريف» الإسرائيلية: «الإرهاب باسم الإسلام غير مبرّر أينما كان، بما في ذلك في «إسرائيل»، «وذلك خلال مؤتمر عقد في باريس خلال هذه الفترة.

وقبل هذين التصريحين بأقلّ من شهر تقريبًا وفي أكتوبر/ تشرين الأول الماضي قدّم رئيس اتحاد الجودو الإماراتي (محمد الدري) اعتذاره لنظيره الإسرائيلي على خلفية قضية عدم رفع علم «إسرائيل» خلال بطولة رياضية دولية أقيمت في دولة الإمارات بمشاركة لاعبين إسرائيليين، وبحسب صحيفة «يديعوت أحرونوت» فقد تعهّدت الإمارات برفع العلم الإسرائيلي العام المقبل، خلال مباريات الجودو العالمية المقامة على أراضيها وفعلا تمّ رفع العلم، وعُزف النشيد الوطني الإسرائيلي تكريما للفائز لميدالية ذهبية.

ولعلّ أقسى موقف متخاذل صادم في هذا السّياق قد سجّله ولي العهد السعودي (محمد بن سلمان) الذي صرّح في مقابلة مع المجلة الأمريكية (ذي أتلانتيك) في غرّة أبريل ٢٠١٨م بأحقّية الإسرائيليين بأرض ووطن، وبأن يعيشوا عليها في أمان، حيث قال: «أعتقد أنّ لكلّ شعب في أيّ مكان كان الحقّ في أن يعيش في وطنه بسلام، أعتقد أنّ للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي الحقّ في أن تكون لكلٍّ منهما أرضه» كما أكّد: «إسرائيل» اقتصاد كبير مقارنة بحجمها، واقتصادها ينمو بقوة، بالطبع هناك الكثير من المصالح التي نتقاسمها مع «إسرائيل»، وإذا كان هناك سلام فستكون هناك الكثير من المصالح بين «إسرائيل» ودول مجلس التعاون الخليجي ودول أخرى مثل مصر والأردن». الأمر الذي أثار استهجانا عربيا واسعا، مقابل إشادة صهيونية بهذه الخطوة، حيث شبّهه محلل الشئون العربية بصحيفة هآرتس (تسفي برئيل) بجيمس بلفور الذي بعث برسالة بتاريخ ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٧م إلى اللورد (ليونيل وولت ردي روتشيلد) يشير فيها إلى تأييد

الحكومة البريطانية إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، واعتبره أول زعيم عربي يصرّح بأحقّية اليهود بوطن قومي في فلسطين، وكتب أنّ (ابن سلمان) ذهب أبعد من تبعات اتفاق سلام أو الاعتراف بدولة ووصل حدّ الاعتراف بشرعيتها، حيث كتب «إنّ من ينفعل من حقيقة أنّ وليّ العهد هو الزعيم العربي الأول الذي يعترف بحقّ الإسرائيليين بدولة قومية، عليه أن يتوجّه إلى المبادرة العربية التي تنصّ على أنه مقابل الانسحاب الشامل من كافة الأراضي المحتلة، بما في ذلك الجولان السوري فإنّ الدول العربية تلتزم بتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل وتطبيع العلاقات معها»، ولكنه يستدرك أنّ دولا عربية اعترفت بوجود إسرائيل، ولكن لم تعترف بشرعيّتها، لافتا إلى أنّ اتفاق سلام والاعتراف بدولة ليسا مصطلحين متطابقين.

والوضع سعوديًا جدّ غريب، فقد تدرّجت في علاقاتها مع الكيان الصهيوني عبر عدّة مراحل، بدءًا بمرحلة الرفض الكامل ثمّ الاتصالات غير الرّسمية المرفوضة مرورًا باللقاءات السرّية وصولًا إلى الانتقال للمرحلة العلنية، لتصبح المملكة شريكًا أساسيًا في اتفاقية السّلام الموقّعة بين مصر ودولة الاحتلال، وذلك حين تفرض سيادتها فوق جزيرتي «تيران» و «صنافير» التي تأتي في إطار المخطط الأمريكي الذي يسمى إعلاميًا بـ«صفقة القرن».

وخلال الأعوام الثلاثة الأخيرة تحديدًا، سجّلت العلاقات بين البلدين تقاربًا غير مسبوق على المستويات كافة، كاشفة تخلّي المملكة عن العديد من

اللاءات التي طالما رفعتها قبل ذلك وعلى رأسها التطبيع مع دولة الاحتلال، لتقفز قفزات متسارعة نحو تعزيز صور التعاون مع الكيان الصهيوني خاصة مع قدوم (محمد بن سلمان).

وفي النتيجة فالتطبيع العربي الصهيوني لم يعد مقتصرًا فقط على اتفاقيتي (كامب ديفيد) و(وادي عربة)، الموقعتين بين القاهرة وعمان من جانب، وتل أبيب من جانب آخر، في عامي ١٩٧٨م و١٩٩٤م على التوالي، والمرفوضتين شعبيًا، إذ تجاوز الأمر المعاهدات والمواثيق الرّسمية ليصل إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، فلم تعد كلمة التطبيع سيئة السمعة كما كانت في الماضي، ولا شيئًا مستغربًا يحتاج إلى جهود حثيثة من التحليلات والتأويلات للتبرير، بل بات الأمر مفضوحًا بصورة كبيرة رغم الجهود الدبلوماسية التي تبذلها بعض العواصم العربية لإقناع شعوبها بنفي ما يتردّد هنا وهناك.

وبعد أن قطعت العديد من الدول العربية وخاصة الخليجية أشواطًا ممتدّة نحو التطبيع الكامل سريًا مع الكيان الصهيوني، وقدّمت لأجل ذلك كلّ ما يلزم من قرابين إثبات الولاء والدّعم، هاهي (تل أبيب) تكافئ المهرولين العرب في خطوة ربما تكون مفاجئة للبعض، وذلك باستحداثها منصبًا رفيعًا تكون مسؤوليته الأساسية تفعيل الاتصالات مع العالم العربي، على غرار ما تقوم به الولايات المتحدة، فهل قرّرت دولة الاحتلال نقل خطوات التطبيع من مخابئ السرّية إلى العلن؟ خاصة وأنّ المتعارف عليه قانونيا أنه «تنشأ العلاقات الدبلوماسية بين دولتين تعترف كلُّ واحدة منهما

بالأخرى، فإن لم يكن سبق لواحدة منهما وأن اعترفت بالأخرى ثم أقامت معها علاقات دبلوماسية كانت هذه العلاقات بمثابة اعتراف ضمني بالطرف الآخر[1].

ولا تمنع الشريعة الإسلامية إقامة علاقات دبلوماسية بين الدول المسلمة، والدول الكافرة، خدمة للمصالح المشتركة التي تجيزها السياسة الشرعية، غير أنّ الأمر يختلف فيما تعلّق بحالة الكيان الصهيوني، وما جرّته اتّفاقيات السلام معه من هرولة بعض الدول العربية إلى التعاطي الدبلوماسي مترجما عبر تبادل السفراء، والزيارات، وتوسيع نطاق التعامل السياسي والاقتصادي والثقافي، رغم أنّ أصل العلاقة مع هذا الكيان الغاصب هو الحرب، وإجماع العلماء منعقد على عدم مشروعية الصلح والمعاهدات معه، لما يترتب عن ذلك من ترك الجهاد الواجب، وخرق شروط الصلح المشروعة في الإسلام، وعلى رأسها محدودية المدّة بما يحقق مصلحة للمسلمين، وليس على الحال الراهن من عقد اتفاقيات مفتوحة تستقوي فيها (إسرائيل) وتخرقها بالعدوان مع أول فرصة تتاح لها.

«ولما كان الاعتراف لليهود بدولة على أرض فلسطين، أو على أي جزء من بلاد المسلمين لا يجوز، فإنّ كلّ ما من شأنه أن يمثّل اعترافا بكيان اليهود ممنوع شرعا، ومن ذلك إقامة علاقات دبلوماسية مع هذا الكيان»[2].

(١) المدخل إلى القانون الدولي العام في وقت السلم، ص١٢٦.

(٢) أحكام التعامل السياسي مع اليهود، ص٦٥٩.

ويستمد منع إقامة علاقات دبلوماسية حكمه من عدّة أدلة:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، فالعمل على دحر العدوان الصهيوني أمانة في أعناق المسلمين، ومادام التعامل الديبلوماسي يحمل معنى الاعتراف بالكيان الصهيوني، فإنّ ذلك يعني التنازل له عن البلاد التي اغتصبها، وأقام عليها تلك الدولة، وهذا ضرب من الخيانة، والتخلّي عن الواجب المشروع.

ثانيًا: إقامة علاقات ديبلوماسية مع الكيان الغاصب يعني القبول بمبدأ إنشاء علاقات المودّة، والسعي لتقوية العلاقات عبر تبادل السفراء، والزيارات الرّسمية، وقد نهانا الله تعالى عن التعامل الودي مع كل معتد على المسلمين، أو مظاهر للمعتدين عليهم، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

ثالثًا: تبادل السفراء في إطار التعامل الديبلوماسي يكون بمثابة زرع عين كاشفة للأسرار الداخلية للبلاد، حيث يكون بإمكان السفير وحاشيته متابعة الأخبار، ورصد التحرّكات في هذا البلد بما يعطي للكيان الذي يمثله

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٢) سورة الممتحنة: الآيتان ٨-٩.

صورة واضحة عنه، ويمكنه من رفع تقارير عن الوضع، والاختلالات الاجتماعية والاقتصادية، ومواطن الضعف في الأمة.

«وما دعاوى السلام التي ينادون بها، ويفاوضون عليها إلا شعار مرحلة، وكسب للوقت من أجل مزيد من الاستعداد والتهيؤ، من أجل استغفال المسلمين وتضييع وقتهم، وتفتيت الأمة المسلمة، وتمزيق كلمتها، حتى ينطبق على المستجيبين لهذا النداء المزيّف المثل العربي (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) فهم بذلك يحيّدون جزءا من بلاد المسلمين ويشتغلون بأخرى، حتى إذا انتهوا من عدوان فتحوا لهم باب عدوان آخر، ولن تضيق بهم الأسباب والذرائع لذلك، فقد صالحوا مصر، فحيّدوا بذلك أكبر بلد عربي مجاور، ثم ما لبثوا أن اجتاحوا لبنان، وعاثوا فيه فسادا، وهكذا هم حتى داخل الشعب الواحد من شعوب الأمة، فهم يزعمون أنهم أقاموا سلاما ومفاوضات مع بعض الفصائل من الشعب الفلسطيني، ثم يعلنون الحرب، بل ويستعينون بهذه الفصائل في ضرب القوى المجاهدة، وبقية الفصائل التي لم تشارك فيما سموه (مفاوضات سلام) وهكذا لن يدع اليهود بلدا ولا أحدا، مادامت خططهم الخبيثة تنطلي على المسلمين، وعلى كلّ من لا يدين بدينهم»[1]، وليس هذا التحذير منطلقا من فراغ، بل هو نابع من الاطلاع على ما يخططون، فقد «تمكّن اليهود بالتفاوض والصلح من تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه بالحرب، ففتحت لهم كثير من بلاد المسلمين أبوابها، وأقامت معهم علاقات سياسية، ورفعت المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية..»[2].

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص١٨٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٤٦.

المطلب الثاني: التحالفات العربية-الإسرائيلية:

الحلف هو العهد والصداقة بين القوم، حيث يحلف كلّ طرف للآخر بألاّ يخونه، أو يغدر به[1]، وقد صرّحت الشريعة بهذا المصطلح، فجاء عن جبير بن مطعم قوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»[2]، وتعدّدت الأحاديث في الأحلاف بين نهي، وإباحة تحثّ على الوفاء بها، فلا يجوز التحالف على الباطل والظلم، ويباح إن كان تناصرا على الحقّ، لذلك عرّف (ابن الأثير) التحالف بأنه: «المعاقدة والمعاهدة على التناصر والتساعد والإنفاق» [3].

وفي القانون الدولي، الحلف هو «اتفاق يجمع عدة دول تحقيقا لمصلحة مشتركة، وللأحلاف في أغلب الأحيان هدف محدد، فقد تكون أحلافا دفاعية أو هجومية، أو دفاعية هجومية في آن معا»[4]، فقد يكون الغرض الأساسي للتحالف سياسيا أو عسكريا، ولمزيد من الإيضاح يقرّر فقهاء القانون الدولي أنّ الحلف «علاقة تعاقدية بين دولتين أو أكثر، يتعهّد بموجبها الحلفاء المعنيون بالمساعدة المتبادلة في حالة الحرب، وسياسة الأحلاف بديل عن العزلة التي ترفض أية مسئولية عن أمن الدولة الأخرى»[5].

---

(١) القاموس المحيط، مادة (حلف)، ص١٠٣٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، حديث رقم ٢٥٣٠، ١٦/ ١٢٣.

(٣) النهاية في غريب الحديق، ١/ ٤٢٤.

(٤) الموسوعة السياسية، عدد من المؤلفين، ٢/ ٥٧٥.

(٥) القاموس السياسي، أحمد عطية، ص٢٧.

وفي الواقع فما يجري في السرّ أكبر بكثير ممّا يجري في العلن، حيث تسعى العديد من الدول العربية إلى توطيد علاقاتها بالكيان الصهيوني، ومن ورائه أمريكا تثبيتا للنفوذ والحكم، واستئسادا على الإخوان من العرب في سياق المنازعات على الأرض والمصالح والسيطرة، وسنسمع كثيرا في الفترة القادمة عن التحالفات المشبوهة، والمؤامرات الخبيثة التي يؤذي بها العرب بعضهم البعض، وتنال «إسرائيل» من خلالها السيادة والرّيادة.

وأمثلة العمالة كثيرة ومتواصلة إلى يومنا هذا نذكر منها واقعتين حصلتا في العام ٢٠١٨م، الواقعة الأولى تتمثل في سحب مصر مشروع قرار بمجلس الأمن يدين التوسّع في بناء المستوطنات الإسرائيلية «غير الشرعية» في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأتى هذا القرار بعد سلسلة من السياسات الوحشية التي مارسها نظام (السيسي) على سكان قطاع غزه وعلى اللاجئين الفلسطينيين في مصر، حيث خلقت الحكومة المصرية منطقة عازلة بين القطاع وسيناء، وأغرقت الأنفاق القادمة من غزة ودمّرت المئات من المنازل على الحدود إضافة إلى حظر جميع أنشطة حركة حماس وتصنيفها حركة إرهابية من إحدى المحاكم المصرية، فمن استراتيجيات (السيسي) تطوير العلاقات مع الكيان الصهيوني إذ قال حرفيا [سوف نصل إلى صفحة جديدة من التعاون لن تكون أقلّ إن لم تكن أفضل من اتّفاق السلام بين مصر و«إسرائيل» عام ١٩٧٩.

وتتمثل الواقعة الثانية في زيارة الجنرال السعودي المتقاعد «أنور عشقي» إلى الكيان الصهيوني صحبة وفد كبير من الأكاديميين ورجال الأعمال السعوديين بغية تطوير العلاقات مع الإسرائيليين، وقام هذا الوفد بمباحثات

مع مسؤولين من الخارجية الإسرائيلية برئاسة مدير عامها «دوريغولد»، كما شارك في بداية هذا العام رئيس جهاز المخابرات السعودي السابق «تركي الفيصل» في لقاء مع الجنرال «يعقوب عميدور» وهو المستشار الأمني السابق لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو.

وتغيّر الحال في المملكة العربية السعودية السائرة في طريق العلمانية، والساعية للعب دور محوري في المنطقة، حيث تحاول كسر الحاجز مع الكيان الصهيوني عبر إبداء حسن النوايا، واحترام الواقع الصهيوني، «حيث بدأت التلميحات نحو إسرائيل منذ منتصف شهر تشرين الثاني/ نوفمبر (٢٠١٧) تزامنا مع المقابلة التي أجراها موقع (إيلاف) السعودي مع رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلية، الجنرال (غادي أيزنكوت) الذي تأسّس في لندن من قبل بعض الليبراليين السعوديين، وفي هذا الإطار تقدّم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، والمتحدث باسم النظام السعودي الدكتور (محمد بن عبدالكريم العيسى) برسالة إلى مدير المتحف التذكاري للهولوكوست في الولايات المتحدة الأمريكية (سارة بلومفيلد) أكّد فيها أنّ حكومة بلاده قد استنكرت كلّ المحاولات الرامية إلى إنكار جريمة الهولوكوست أو التقليل من شأنها، «ويبدو أنّ سياسة التقرّب من «إسرائيل» تعدُّ جزءا من محاولة تصدّي السعودية للتحول الدبلوماسي والعسكري الذي يهدّد استقرار منطقة الشرق الأوسط، حيث شهدت الحركات السياسية العسكرية الشيعية أوجّها بفضل المكاسب التي حقّقتها، وتغلغل جذورها في العراق وسوريا ولبنان »[1]،

---

(١) هل يمكن أن يشهد الشرق الأوسط تحالفا سعوديا إسرائيليا؟، روسيو فاسكيز، جامعة مدريد المستقلة، ترجمة: موقع نون بوست، ١٤/ ٠٢/ ٢٠١.

وشرعت المملكة في مارس ٢٠١٨م في فتح مجالها الجوي للطائرات الإسرائيلية المنطلقة من آسيا الشرقية إلى إسرائيل، والقادم أسوأ بالتأكيد.

وكما فضحت صحيفة (هآرتس) العديد من اللقاءات السرّية بين مسؤولين عرب وإسرائيليين فضحت صحيفة «وولستريت جورنال»[١] الأمريكية الاقتراح الذي صاغته كلٌّ من الإمارات والسعودية والذي يقضي باتخاذ خطوات غير مسبوقة باتجاه التطبيع مع العدو الإسرائيلي.

وأشارت الصحيفة الأمريكية إلى أنّ تلك الوثيقة خضعت لدراسة أمريكية وتمت مناقشتها مع عدة دول عربية حيث تضمّنت تخفيف القيود الاقتصادية على الفلسطينيين وتمديد ساعات العمل على «معبر الكرامة» الحدودي مع الأردن خاصة في فترة العطلة الصيفية وفي مقابل ذلك تقوم الحكومة الإسرائيلية باتخاذ خطوات مهمّة لدفع عملية السلام مع الفلسطينيين خصوصا تجميد البناء خارج الكتل الاستيطانية، والسماح بحرية التجارة في قطاع غزة.

وتتضح من هذه الوثيقة العديد من المكاسب الإسرائيلية:

أولها: إقامة وسائل اتصال مباشرة بين دول مجلس التعاون وتل أبيب.

ثانياً: إزالة القيود المفروضة على التجارة مع إسرائيل.

ثالثاً: إصدار تأشيرات للفرق الرياضية الإسرائيلية والوفود التجارية للمشاركة في الفعاليات الاقتصادية في هذه الدول.

---

(١) العدد الصادر بتاريخ: ٢٥/ ٨/ ٢٠١٧.

رابعاً: السماح للطائرات الإسرائيلية بالتحليق في أجواء دول مجلس التعاون.

خامساً: السماح بحقوق الطيران على متن الطائرات الإسرائيلية.

وأخيرا: نقل التطبيع من الخفاء إلى العلن.

وبالرجوع إلى موقف الشّارع في هذه العلاقات فقد نقلت كتب السيرة أنّ الرسول ﷺ حالف اليهود بعد هجرته إلى المدينة، وكتب عهدا في ذلك، ومما جاء فيه: «وأنّ اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، .. وأنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأنّ بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأنّ النصر للمظلوم، وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.» [(١)]..

ومن جهة أخرى «التحالف على قتال المسلمين لا يجوز في الإسلام اتفاقا، لأنّ أهل الإسلام وإن كانوا عصاة أو بغاة فهم أقرب للحق والإيمان من الكفرة، ولا يجوز نصر الأبعد عن الإيمان والحق على الأقرب إليهما، وإن كان الطرفان على غير الحقّ الكامل» [(٢)]، فلا يجوز الاستعانة بالكفار على المسلمين وإن كانوا أهل بغي لأنّ الغدر غير مأمون من جانبهم، ومصداق ذلك في قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى

(١) سيرة ابن هشام، ٢/ ١٠٧-١٠٨.

(٢) أحكام التعامل السياسي مع اليهو في فلسطين المحتلةد، ص٦٧٦.

هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[١]، وليس ببعيد عنا ما حدث من استعانة دول الخليج بالكفار لضرب العراق في حرب الخليج مما لا تقرّه الشريعة لما فيه من تمكين الكفار من المسلمين.

أما فيما تعلّق بالكيان الصهيوني فهو كما يعلمه الجميع كيان غاصب للأرض، يبحث عن الولاءات التي تدعّم وجوده، وتحقّق له أطماعه التوسّعية في المنطقة، «ولذلك تتّجه جهود قادة هذا الكيان ومؤسساته وأحزابه إلى إنشاء أحلاف عسكرية، ومنظمات إقليمية ودولية تخدم أغراضه، وتحقّق مراده، وتعينه في تنفيذ مخططاته العدوانية، فيستفيد من البلاد المحالفة والمعاهدة في وضع قواعد عسكرية له فيها بحيث يخرج من عزلته، ويجد له متنفّسا خارج حدود فلسطين حتى لا يبقى محاصرا، وبذلك يتمكّن من تثبيت أقدامه، وترسيخ عدوانه، وتوسيع رقعته حتى في البلاد المحالفة نفسها، ولكن واحدة بعد الأخرى.. بل إنّ القصد هو إيجاد قوّة غالبة في المنطقة بقيادة الكيان الصهيوني يمكنها إخضاع دول المنطقة لسيطرتها ونفوذها وفق النظام العالمي الجديد التي تريده أمريكا التي لم تنفك عن مناصرة اليهود الغاصبين في الحق والباطل»[٢].

وفي المقابل لا تعدو أهداف الدول العربية الساعية إلى التحالف تحقيق

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، حديث رقم ٢٥٦٤، ١٦/ ١٨٢.

(٢) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٦٨٥.

مصالح آنية شخصية للزعماء، وتقديم عرابين الطاعة والولاء للولايات المتحدة الأمريكية من خلال إكرام ربيبتها (إسرائيل).

«إنّ غفلة الأمة العربية وخيانتها لنفسها مطلوبتان لراحة إسرائيل وتخفيف متاعبها، فلم لا تغفّل الأمم العربية نفسها باختيارها أو على الرغم منها؟ ولم لا تخون قضيتها، وتبيع حاضرها ومستقبلها إذا كان ذلك لازما لراحة إسرائيل، وتخفيف المتاعب على إسرائيل؟.

إنّ الأمم العربية يطلب منها أن تعجز باختيارها عن مقاومة إسرائيل في ميدان المعاملات، ويطلب منها أن تنظر إلى الخنجر في يد صهيون فتفتح له صدرها، أو تأخذه من يدها لتغمده في تلك الصدور الخاوية»[1].

وفعلا يسجل الواقع المعاصر ولاء منقطع النظير لهذا الكيان، ووقوفا إلى جانبه ضد الإخوان من العرب الفلسطينيين، ففي زلة لسان لوزير الطاقة الإسرائيلي «يوفال شتاينتس» مطلع فبراير ٢٠١٦م كشف عن قيام السلطات المصرية بإغراق أنفاق قطاع غزة بناء على طلب من تل أبيب.

تصريحات الوزير حينها أشار فيها إلى وجود تعاون أمني كبير بين الدولتين و أنّ «عمليات مصر التي تستهدف الأنفاق وإغراقها تتمّ بناء على طلب من إسرائيل».

وعرج عليها محلل الشئون العسكرية بصحيفة (معاريف) الإسرائيلية «يوسي ميلمان» بأنّ هذه التصريحات خلّفت حالة من الغضب الشديد في

(١) الصهيونية العالمية، ص١٣٨.

المنظومة الأمنية الإسرائيلية نظرا لحساسية المعلومات المتعلّقة بالتعاون بين الدولتين، ووفقا لـ« ميلمان» فإنّ عدم قدرة الوزير الإسرائيلي على ضبط النفس والكشف عن تلك التفاصيل على الملأ ربما يؤدي إلى أزمة في العلاقات بين الدولتين.

وكشف المحلّل الإسرائيلي النقاب عن أنّ الرقابة العسكرية تظهر تشدّداً كبيراً إزاء المعلومات التي تتعلّق بتفاصيل التعاون الأمني والاستخباري والشراكة الاستراتيجية بين «إسرائيل» ونظام (السيسي) في مصر.

ونوّه إلى أنّ الرقابة العسكرية ترفض أن تنشر وسائل الإعلام الإسرائيلية حتى ما سبق أن نشرته وسائل الإعلام الأجنبية عن طابع العلاقة بين مصر و«إسرائيل» في عهد (السيسي)، بناء على طلب من نظام (السيسي).

وفي الختام، وبعد عرض هذه الحقائق المرّة عن السعي العربي للتحالف مع العدو الغاصب، يستدعي المقام بيان الحكم الشرعي في التحالف بين العرب والكيان الصهيوني، ويؤخذ مما يلي[(١)]:

١- أنّ التحالف مع الكيان الصهيوني تحالف مع الظالم المعتدي، وإقرار له على ظلمه، فالكيان الصهيوني قائم على الظلم والعدوان، والتحالف معه يعني مناصرته وهو متّصف بهذه الصفة، إذ لا وجود له بدونها.

٢- إضافة إلى كون التحالف مع الكيان الصهيوني تحالفا مع الظالم ضد المظلوم، فهو تحالف مع الكافر الظالم في مواجهة المسلمين المظلومين المعتدى

(١) يُنظر: أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٦٨٦ وما بعدها.

عليهم، فإنه من المعلوم أنّ اليهود وإن كانوا أعداء البشرية جمعاء، إلا أنّ عداء هذا الكيان المصنوع على أرض المسلمين متوجه بالدرجة الأولى ضد المسلمين مجاهدة اليهود المغتصبين وقتالهم، وبالتالي فإنّ أيّ تحالف على الدّفاع المشترك مع الكيان الصهيوني يعني مقاتلة المسلمين إلى جانب اليهود.

٣- حرمة التعامل مع الكيان الصهيوني والاعتراف به، وحرمة إقامة علاقات سياسية (دبلوماسية) معه، وهي كلّها دون التحالف معه، إذ لا يترتّب عليها تقديم النصرة له أو التعاون معه في قتال المسلمين أو غيرهم، وبناء عليه فالتحالف مع الكيان الصهيوني محرّم من باب أولى لأنه يترتّب عليه إضافة إلى الاعتراف، وفتح باب العلاقات والمعاملات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التناصر العسكري، والدفاع عن هذا الكيان الغاصب، وهو ما لا يمكن أن تقرّه الشريعة الإسلامية بحال من الأحوال، خاصّة وأن حرب هذا الكيان إنما هي بالدرجة الأولى ضد المسلمين.

٤- أنه يترتّب على التحالف مع الكيان الصهيوني مفاسد كبيرة وكثيرة تلحق الأمة بشكل عام، ولا تنجو منها البلاد المتحالفة معه نفسها، بل قد تكون هي اللقمة الأولى لهذا الكيان بعد أن تتخلّى عنها أخواتها من البلاد الإسلامية بسبب تحالفها مع عدو الأمة المعتدي.

فالتحالف مع الكيان الصهيوني يترتّب عليه مزيد من الفرقة بين البلاد الإسلامية، وبُعد الشقة بينها، وزيادة تعذّر الإصلاح فيما بينها، وتعذّر اجتماعها على الدّفاع عن حقوقها وبلادها ومقدّساتها، ومزيد من الجفاء والمقاطعة

بين هذه البلاد، الأمر الذي يتيح الفرصة أمام الكيان الصهيوني لكي يتفرّد بمن شذّ منها ليحقّق فيه أغراضه ومخططاته، فإذا تحالف بلد إسلامي مع الكيان الصهيوني بقصد ضمان الحماية الغربية والأمريكية، فإنّ ذلك سيدفع بقية البلاد العربية والإسلامية إلى التحالف والاتّفاق فيما بينها لأنّ كلّ واحدة منها تكون مقصودة بعدوان اليهود ومن حالفهم، الأمر الذي يجعل أضعف حلقة أمام الكيان الصهيوني ليتحقّق بها حلمه وأطماعه التوسّعية هي البلاد التي حالفته لتفرّده بها بانفصالها عن أخواتها بالتحالف معه.

٥- أنّ الله سبحانه وتعالى بيّن للمسلمين قواعد العلاقة مع الأمم الأخرى، وأنها يجب أن تقوم على البرّ وحسن العلاقة مع المسالمين غير المعتدين، وأما المعتدون والمظاهرون على العدوان فإنّ العلاقة معهم لا يجوز أن يكون فيها شيء من الود والبرّ، فضلا عن التعاون والتناصر.

٦- إنّ التحالف مع الأعداء ضد المسلمين، أو التخلي عن المسلمين خوفا من الكفار ما هو إلا ضرب من الخيانة والجبن، وهو لا يحدث إلا من مرضى القلوب.

ويلحق بالتحالف، ويأخذ حكمه السماح للكيان الصهيوني باستخدام مطارات البلاد الإسلامية العسكرية والمدنية، أو إيجاد قواعد عسكرية له في هذه البلاد، أو تزويده بأي نوع من أنواع السلاح الذي يتقوى به، فكل ذلك مما يمده بقوة الاستمرار في المنطقة، وقد أجمع العلماء على حرمة بيع كل ما فيه قوة لأهل الحرب ولو كانوا في ديارهم، بل ولا لأهل العهد لمظنة

عودتهم أهل حرب بانتهاء العهد أو نبذه[1]، والصهاينة الغاصبون في ذلك من باب أولى.

كما يدخل في نطاق التحالف مع اليهود إبرام اتفاقيات أمنية معهم، فلا يجوز شيء من ذلك في الشرع الإسلامي، والعلماء مجمعون على عدم جواز البوح بأسرار المسلمين للأعداء، خاصة وأن هذا التعاون الأمني بين أي دولة عربية والكيان الغاصب إنما تكون ضحيته دولة عربية مسلمة أخرى، أو شباب المسلمين بدعوى محاربة التطرف والإرهاب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ ﴾[2].

المطلب الثالث:
تقسيم العالم الإسلامي وإثارة الفوضى بين مكوناته:

خُلق المكر وبث الفُرقة قديمٌ لدى اليهود، وخاصّة اتجاه المسلمين، فقد حاولوا منذ أيام الإسلام الأولى التسلّل إلى الصف الإسلامي، وبث النزاعات بإحياء النعرات الجاهلية، واستمرّوا بمكرهم عبر العصور يتربّصون بالأمم، ويبغون لها التمزّق والدمار، يقول (العقاد): «تبادر الصهيونية إلى استغلال

(١) المبسوط، ١٠/ ٩١، مغني المحتاج، ٢/ ١٠.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١.

نفوذها في إثارة الفتن والقلاقل، وتظفر الفتنة بتأييدها كلّما توقّعت منها الإمعان في الهدم والفوضى، لأنها لا تنجح في عالم فيه إيمان بالخلق أو بالوطن أو بالدين، وإنما تنظر إلى الأخلاق والأوطان والأديان كأنها حصون تحمي منها فرائسها وضحاياها.. وقد اشتركت الصهيونية في كلِّ حركة من حركات الهدم والتدمير»[١].

ولقد أيقن مؤسس الحركة الصهيونية (تيودور هرتزل) أنه لن يتمكّن من زرع دولة صهيونية في قلب العالم الإسلامي إلاّ بإسقاط الخلافة الإسلامية، فبسقوطها تُضرب وحدة المسلمين، ويتشتّت شملهم، ومضى يطبق مخططاته السرية بأذرعه المبثوثة في العالم، تمكن «يهود الدونمة» المديرين لجمعيات سرطانية مثل «الاتحاد والترقي» و«تركيا الفتاة» من إحياء النزعات القومية الجاهلية في العرب والأتراك وتأجيج الفتن بينهم، فحصل شقاق كبير زاد في توسيعه خونة من قبائل العرب كـ (الشريف حسين) قائد ما يسمى بالثورة العربية الكبرى ووكلاء الغرب في تركيا مثل (كمال أتاتورك)، وعظمت المؤامرة بإبعاد السلطان (عبدالحميد) عن الخلافة سنة ١٩٠٩ وقيام حكومة جلها أتراك بينهم ثلاثة يهود أجبروا الدولة العثمانية على الدخول في الحرب العالمية الأولى لزيادة إنهاكها كي يسهل النيل منها بتقسيمها وتفتيتها لدويلات صغيرة»[٢].

---

(١) الصهيونية العالمية، ص٧٦.

(٢) أساليب الصهيونية في نشر مخططاتها وتورّط حكومات العالم الإسلامي، محمد بن أبي عامر، موقع تبيان لنشر الوعي، ٣٠/ ٠٨/ ٢٠١٧م.

وبالفعل فقد اتّضحت معالم مخططات التقسيم باتفاقية (سايكس بيكو) سنة ١٩١٦م، والتي اتّفقت فيها فرنسا وانجلترا على تقسيم أراضي الدولة العثمانية، فأخذت انجلترا العراق والأردن، وأخذت فرنسا سوريا ولبنان، ليصدر بعدها في أواخر ١٩١٧م وعد بلفور القاضي بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، وتأصّل التقسيم في مؤتمر سان-ريمو، ثم بسقوط الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م.

وتسعى مخططات اليهود في تفريق كلمة العالم العربي والإسلامي لهدفين رئيسيين:

أولاً: ضمان عدم التقاء العرب والمسلمين حول مصالحهم المشتركة، والتكتل في مواجهة الكيان الغاصب.

ثانيًا: إيجاد أنصار وأعوان من العرب في مواجهة إخوانهم العرب، والتوسّع الجغرافي المخطط له.

ويُعتبر كل توافق عربي صفعة في وجه الكيان الصهيوني المغروس في جسد الأمة، ولذلك فمن أولوياتهم الاستراتيجية العمل على بث الفرقة والاقتتال بين الدول العربية، وداخل الدولة الواحدة منها، وجاء في نشرة سرية لطائفة (الكابالا) اليهودية: «ثقوا أيها الإخوة بأننا سنحول دون أيّ تفاهم أو اتّفاق بين الشعوب والفئات، ولتغذية هذا النزاع بينهم سيثابر مصنع أضاليلنا على ابتكار المزيد من المبادئ المتضاربة التي سنلقنها تلك الشعوب والفئات كل على حدة»[١].

---

(١) مكائد يهودية، ص٤٣٨.

وإنّ أساليب الصهيونيين معروفة في كل عصر، حيث اعترف (هتلر) بأنهم أشعلوا نيران الحرب العالمية، وبذروا في داخل الرايخ بذور الثورة الحمراء، واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالا بارعا»[1]، بل أنهم جعلوا الفرقة العربية شرطا من شروط الصلح مع مصر، حيث أشارت المادة السادسة من معاهدة السلام على أن يتعهّد الطرفان بعدم الدخول في أيّ التزام يتعارض مع هذه المعاهدة، وجاء فيها: «يقرّ الطرفان بأنه في حال وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة، وأيٍّ من الالتزامات الأخرى، فإنّ الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة» [2].

والتزاما بهذه المعاهدة استمرّت مصر بتزويد الكيان الصهيوني بالنفط الذي كان وقودا لدباباتها وطائراتها في غزوه للبنان سنة ١٩٨٢م، كما منعت الحملة الشعبية للتبرّع بالدم، وضربت المسيرة السلمية التي خرجت من الأزهر إظهارا للعداء للكيان الصهيوني.

ونصّت المعاهدة مع الأردن بدورها على ضرورة تنصّل هذا البلد العربي من أيّ ولاء للعرب، أو تعاون معهم، إذ جاء في المادة الرابعة من هذه الاتفاقيات:

«بما يتماشى مع حقبة السلام، ومع الجهود لبناء أمن إقليمي، وما يمنع ويحول دون العدوان والعنف، يتفق الطرفان أيضا عن الامتناع عما يلي:

---

(١) كفاحي، ص٣٤١.

(٢) نصوص ووثائق معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، ص١٠٤.

١ – دخول أيّ ائتلاف، أو تنظيم أو حلف، ذي صفة عسكرية أو أمنية، مع طرف ثالث، أو مساعدة بأيّ طريقة من الطرق، أو الترويج له، أو التعاون معه، إذا كانت أهدافه أو أنشطته تتضمن شن العدوان، أو أية أعمال أخرى من العداء العسكري ضد الطرف الآخر بما يتناقض مع مواد هذه المعاهدة.

٢– السماح بدخول، أو إقامة، أو عمل قوى عسكرية أو عسكريين، أو معدّات تعود إلى طرف ثالث على أراضيها في أحوال يمكن أن تخل بسلامة الطرف الآخر»[١].

والمقصد من هذه الشروط المتشابهة هي تشتيت شمل الأمة، وتأليبها على بعضها، حيث تحول مثل هذه الاتفاقيات دون جمع الكلمة، وتوحيد الصف، بل وفي حالة شنّ الصهاينة حربا على بلد عربي يتمكّنون من الانفراد به دون مواجهة مشتركة من باقي الدول العربية.

وبالوصول إلى العصر الراهن، ترجع الثورات العربية في أغلبها إلى تخطيط صهيوني محكم لإثارة البلابل، وتشتيت الصفوف، ولقد بكّر القرآن الكريم بفضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[٢]، حيث حاولوا مرارا في عهد الرسول ﷺ تفريق الجمع، وإثارة النعرات القديمة بين الأوس والخزرج،

(١) مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٢، خريف ١٩٩٤، ص١٨٥، وأيضا: نصوص ووثائق المعاهدة المصرية الإسرائيلية، ص١٠٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.

وها هم اليوم يقفون على ركام التقسيم الذي نجحوا فيه، ليفتتوا المفتّت، ويزرعوا الفوضى في أوصال العالم العربي الإسلامي، بزعامة عرّاب صهيوني بريطاني الجنسية، يهودي الديانة، وهو (برنارد لويس) الذي عمل في إدارات المحافظين الجدد في أمريكا، وكان على رأس واضعي استراتيجية غزو العراق وتفتيت العالم الإسلامي على المدى المتوسط والبعيد، وقال في مقابلة مع وكالة الإعلام في ٢٠/ ٠٥/ ٢٠٠٥م: «إنّ العرب والمسلمين قوم فاسدون، مفسدون، فوضويون، لا يمكن تحضّرهم، وإذا تركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضّر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات، وتقوّض المجتمعات، ولذلك فإنّ الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية، وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإنّ عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة.إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثّر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم. ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقدّم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية دون مجاملة ولا لين ولا هوادة، ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة، ولذلك يجب تضييق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبيات المذهبية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمّر الحضارة فيها.

ولقد تجسّد فعلاً هذا المشروع في مرحلة منه أمام أعيننا، فهو مشروع مقنّن من الكونجرس الأمريكي منذ سنة ١٩٨٣م واعتُمد حينها وأُدرج في ملفات السياسة الاستراتيجية الأمريكية.

«والحقيقة أنّ إسرائيل تستعدّ للتوسّع في أرض الميعاد من النيل إلى الفرات، ولتصل لهده الغاية عليها احتلال كلٍّ من لبنان وسوريا والأردن وشمال السعودية والجنوب الغربي للعراق وشرق النيل المصري، لذلك وجب على الصهيونية العالمية إضعاف هذه الجبهات وإيجاد المحفّز للحرب المتمثّل في الإسلاميين، فكانت أول الخطوات تدمير العراق فأصبح على حافة الانقسام الفعلي بين الشيعة في الشرق والأكراد في الشمال ودولة الإسلام غرب الفرات، واليوم يخرجه مجلس الأمن الدولي من الفصل السابع ليكون العراق ولو صوريا دولة حرة في قرارها، والسعودية تتأرجح حول وريث العرش ممّا ينذر باضطرابات خطيرة ستعرفها البلاد بعد وفاة الملك، أما لبنان فهو مركز لجميع المخابرات الدولية وزعزعته أخفّ من شعرة في الرأس، بينما سوريا فهي في حرب استنزاف أضعفت الجيش والنظام وانهياره مسألة وقت ستشعل حربا إقليمية ودولية كبرى، والأردن غير بعيدة عن سوريا لأنها ستتدخل في هذا الصراع عاجلا أم آجلا، أما مصر والتي تعتبر اللاعب الأساسي في المنطقة على اعتبار تعداد السكان الكبير بها فإضعافها استراتيجيا بدأ بتقسيم السودان، تلاه إسقاط (القذافي) وتبعته الثورة المريبة، وبمجرد اكتمال هذا المشهد تكون جميع الاحتمالات مفتوحة

للصهيونية العالمية لتفتك بالعالم العربي والإسلامي كيفما تشاء، والأرجح أننا سنشهد تسليطا لأضواء من جديد على إيران النووية لتبدأ إسرائيل في توريط العالم أجمع في حرب عالمية ثالثة مدمرة»[١].

* * *

(١) الصهيونيون العرب.. خيانة وشطرنج، محمد بيوض، جويلية ٢٠١٧، على الرابط:
http://mohammedbayoud.blogspot.com/

المبحث الثاني
المآلات الاقتصادية للتصهين العربي

المطلب الأول:
توسّع الأطماع الصهيونية في خيرات المنطقة:

لقد وضع الصهيوني الغاصب عينه على الأرض، تثبيتا للوجود، وطمعا في غرس كيان ذي قوة سياسية واقتصادية بتسخير خيرات المنطقة، وباء اقتصاد مسيطر عليها، يقول (بن غوريون) أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني مبينا أطماعه في شرق الأردن: «يتمتع شرق الأردن بأهمية حيوية من النواحي الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية لفلسطين اليهودية، وإنّ مستقبل فلسطين اليهودية برمته يتوقف على شرق الأردن، فلا أمن لفلسطين إلاّ إذا كانت شرق الأردن قطعة منها، وشرق الأردن هي مفتاح البحبوحة الاقتصادية لفلسطين»[1].

ولقد أفصح رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (شمعون بيريز) عن الأطماع الاقتصادية في المنطقة في قوله: «إنّ المعادلة في الشرق الأوسط الجديد ستكون عناصرها كما يلي: النفط العربي، والأيدي العاملة المصرية، والمياه التركية، والعقول الإسرائيلية»[2]، كما قال في مقام آخر: «لا يمكن إقامة شرق أوسط جديد على أساس سياسي فقط، وإذا حدّدنا التغيير على

(١) إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، غازي حسين، ص١٩.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١١٥٦، ٦صفر ١٤١٦ الموافق ٤/ ٧/ ١٩٩٥، ص٢٥.

أنه مجرد وضع علامات جديدة قليلة، وفصل حدود قديمة عندئذ فإننا لن نحقق إلاّ بعض المكاسب القليلة جدا، وبالتأكيد فإنه لا يدوم منها شيء، والاضطراب لن ينقص، لأنّ الأسباب التي يتضمنها هي أسباب اقتصادية واجتماعية أكثر منها سياسية»[(١)].

ويلخص (العقاد) الوضع مبكّرا بقوله: «الطوابير الخامسة هي مصدر القوة العظمى للصهيونية العالمية، لأنها منتشرة في كل بلد، متّفقة على الحقد والضغينة، وإن لم تتّفق على الحبّ والخير، مطّلعة على أسرار الدول وأسرار الشركات وأسرار المجتمعات..»[(٢)]، ويتجلّى سعي هذه الطوابير في المجال الاقتصادي من خلال تحايلها على الشعوب العربية، وإبرام الصفقات لنقل سلع الكيان الصهيوني بطريقة خبيثة إلى دولة عربية مجاورة، وتخليصها مما يدلّ على مصدرها، لإعادة تصديرها إلى الدول العربية على أنها من إنتاج البلد الذي أتت منه، كسرا للمقاطعة الاقتصادية، ودعما لانتشار البضائع الصهيونية.

ولذلك جاء في بنود قانون جملة مقاطعي إسرائيل في لبنان: «يحظر على كلّ شخصٍ، طبيعيٍّ أو معنويّ، أن يَعْقد، بالذاتِ أو بالواسطة، اتّفاقًا مع هيئاتٍ أو أشخاصٍ، مقيمين في إسرائيل، أو منتمين إليها بجنسيّتهم،

(١) التطبيع مع دولة العدوان اليهودي، ص١٧٠، نقلا عن كتاب الشرق الأوسط الجديد لبيريز ص١١.

(٢) الصهيونية العالمية، ص٥٥.

أو يعملون لحسابِها أو لمصلحتها، وذلك متى كان موضوعُ الاتفاق صفقاتٍ تجاريّةً أو عمليّاتٍ ماليّةً أو أيَّ تعاملٍ آخرَ مهما كانت طبيعتُه...» [(١)]، وهذا التشديد في المعاملات سدّ منيع أمام من يستهين بها، وتنجرّ قدمه إلى التطبيع والتورّط مع أعداء الأمة.

المطلب الثاني:
احتكار «إسرائيل» لاقتصاديات المنطقة:

يقول مدير مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة (با إيلان) في تل أبيب: هناك تحوّل مهمّ في مفهوم (إسرائيل) لما يشكّل القوة الوطنية، فقد كنا ننظر إلى القوة من خلال فوهة البندقية، أما الآن فإنا نريد قوة اقتصادية لأننا نرى أنّ في ذلك أهمية لنا من الناحية الاستراتيجية» [(٢)].

وقد حوّلت ثورة الطاقة مثلا «إسرائيل» من الاكتفاء الذاتي، إلى مصدر للتموين بالطاقة، ويعتبر العقد الذي وقّعته إسرائيل مع شركات مصرية بمبلغ ١٥ مليار دولار ولمدة عشرة أعوام لتزويد مصر بالغاز الطبيعي مغيّرا للعبة في التعامل الاقتصادي المشترك، حيث ستلعب مصر دور الوسيط في إسالة الغاز وتصديره إلى أوربا وإفريقيا، وهي خطوة تفتح آفاق دخول الكيان الصهيوني للسوق العربية من المشرق إلى المغرب.

---

(١) حملة مقاطعة إسرائيل في لبنان، على الرابط:

http://www.legallaw.ul.edu.lb/LawView.aspx?opt=view&LawID=257636

(٢) مجلة المجتمع، العدد ١١٦٢، ١٨ ربيع أول ١٤١٦ه، الموافق ١٥/ ٨/ ١٩٩٥م.

أمّا في مجال التكنولوجيا فيقول (أمنون رويشتاين) الوزير الأول بلا وزارة في وزارة الائتلاف الصهيوني في محاضرة أمام رجال الأعمال اليهود من الولايات المتحدة زار فلسطين المحتلة سنة ١٩٨٥م: «إنّ الدول العربية لا تملك اقتصاديات، بل تملك المناجم والثروات والمصادر الطبيعية الضخمة التي نحن في مسيس الحاجة إليها، أمّا نحن فنملك التكنولوجيا المتطورة والتقنية، وجيشا جرّارا من الخبراء الذين يمكننا أن ننشرهم في جميع أرجاء العالم العربي» [١].

وفعلا فتحت الأبواب أمام الخبرة الصهيونية، فجعلت لهم أماكن في الملتقيات، واستُنجد بهم في تقديم المشورة التقنية لبعض الدول العربية، كما أتيح لهم تملّك أسهم في الشركات العربية العملاقة، وقد تمّ في سنوات التطبيع الأولى رصد حركة قطاعات هامة من الدولة المصرية، ومن رجال الأعمال الذين يتعاملون مع الصهاينة عبر عشرات المشاريع الصهيونية النشطة في مصر، في مجالات اقتصادية حساسة، ففي الأول من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨٤م أبرمت اتفاقية ثلاثية بين مصر وأمريكا وإسرائيل تتعلّق بالاستفادة من التكنولوجيا المتطورة في مختلف المجالات الصناعية والزراعية، وقد تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بدعم مصر في ذلك لتشجيعها على المضي في سبيل التطبيع، وتدعّم التكولوجيا الإسرائيلية المتطورة فرص الشراكة الصهيونية العربية، حيث تتمتّع دول الخليج بدعم إسرائيلي للدفاع

(١) السلام مع إسرائيل، هاني محمد، ص٣٤.

عن نفسها ضد العمليات الإرهابية من خلال تكنولوجيا الرقابة، والتشارك في المعلومات الأمنية، وفي هذا الموضوع يقول كاتبا مقالة «الحب العربي الصهيوني»[1]، «تخيل إمكانيات التعاون التكنولوجي المدني في وقت تتحرك فيه دول الخليج لتنويع اقتصاداتها بشكل كامل بعيدا عن موارد الغاز والنفط إلى اقتصاديات تقوم على اقتصاد الخدمات والتكنولوجيا والمعرفة».

وفي النتيجة فإنّ في التعامل السياسي والاقتصادي مع هذا الكيان تسويغ وتبرير غير واع للوجود الصهيوني، يضفي عليه شرعية مجانية، ويتلقّى قوّته من تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية، ونفض اليدين من القيادات الفلسطينية التي لم تصل إلى الوفاق الداخلي، لتظلّ القضية تراوح مكانها، بينما يغرس الكيان الصهيوني جذوره، ويجذب الشراكات العربية في السياسة والاقتصاد، فمن العداء الشامل إلى الإقرار الكامل بالوجود الصهيوني أصبحت الكلمة العليا في المنطقة للمصالح، رغم ثبات الموقف الشعبي على مساندة القضية الفلسطينية، ولا أدلّ على إرهاصات المآلات من الحالة المصرية، «فإنّ عمليات التحوّل الاجتماعي الاقتصادي والسياسي -التي جرت على قدم وساق- في مصر طيلة ثلاثة عقود (١٩٧٩-٢٠١١) قد أتت أُكُلها، وخلقت فئات اجتماعية وطبقات، ارتبطت عضويا بمصالح ضخمة ومتداخلة مع كلٍّ من الأوساط الرأسمالية العالمية من جهة، والرأسمال الصهيوني من جهة أخرى، وهذه الجهات تؤثر سياسيا الآن في مجريات

(١) شاي فيلدمان، وتامار كوفمان ويتس، فورين بوليسي، نقلا عن موقع القدس العربي.

التسوية مع «إسرائيل»، وهي تتبنى وتدافع عن قنوات الاتصال السياسي والثقافي مع الأوساط الصهيونية، بل وهي كذلك تموّل هذا المشروع، وتنفق عليه ببذخ، لأنه يخدم خططها، ويحمي ظهرها، ويسهم في إحداث تحولات فكرية وثقافية في المجتمع المصري»[(١)].

* * *

(١) التطبيع والمطبعون، ص٣٩٤.

الفصل الثاني

المآلات العسكرية للتصهين العربي

مباحث هذا الفصل هي:

❊ الاستقواء العسكري الصهيوني وإضعاف جانب العرب

❊ وقوف القوة العربية إلى جانب القوة الصهيونية

في العام ١٩٤٨ كان الكيان الصهيوني الاستيطاني يضمّ ثلاثة تنظيمات عسكرية هي: الهاجاناه وهي أكبر التنظيمات الثلاثة، وتخضع للوكالة اليهودية، ومنظمة إتسل[١] المنبثقة عن أفكار جابوتنسكي التنقيحية وكانت آنذاك بزعامة (مناحيم بيغن)، ومنظمة ليحي وهي أصغر المنظمات، وكانت قد اشتهرت باسم قائدها (أبراهام شتيرن)، وقد تمّ بناء الجيش الإسرائيلي على هذه المنظّمات الثلاث، ففي السادس والعشرين من مايو ١٩٤٨م، وفي غمرة معارك الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، تمّ إعلان قيام جيش الدفاع الإسرائيلي، وذلك بتحويل منظمة الهاجاناه إلى نواة لهذا الجيش، ودخول التنظيمين الأخيرين: إتسل وليحي في دائرة هذه النواة»[٢].

ويتميّز المجتمع الإسرائيلي بالصبغة العسكرية، منذ قيام الكيان الصهيوني اعتُبرت المؤسسة العسكرية هي المؤسسة المحورية فيه، بحيث يشمل التجنيد الجميع إلزاميا رجالا ونساء، وتتشكل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية من هيئة أركان الجيش، والضباط المحترفين، وأجهزة المخابرات، ومعاهد الدّراسات الاستراتيجية، ومختلف التنظيمات التي يشرف عليها الجيش، بالإضافة إلى رجال الشرطة، ورموز الحكم المرتبطين في مواقفهم

(١) هو اختصار للعبارة العبرية «إرجون تسفاي ليومي بإرتس إسرائيل» أي «المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل»، وهي منظمة عسكرية صهيونية تأسست في فلسطين سنة ١٩٣١م من اتحاد أعضاء الهاجاناه الذين انشقوا على المنظمة الأم، وبنيت على أفكار فلاديمير جابوتنسكي المركزة على القوة اليهودية المسلحة لإقامة الدولة، وحق كل يهودي في دخول فلسطين، وكان شعار المنظلمة يد تمسك ببندقية كتب تحتها «هك\ا فقط».

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٧/ ٢٠٣.

بدور الجيش، فالوظيفة السياسية في الكيان الصهيوني تسيطر على الوجود السياسي، ولذا نجد أنّ أركان الجيش يسيطرون على التخطيط الاستراتيجي، ويحتكرونه.

ودور القوّة العسكرية الصهيونية هو حماية مصالح الاستعمار في المنطقة، حيث تحمل السياسة الخارجية بصمة المؤسسة العسكرية، وتحتلّ المصالح العسكرية الأولوية في اهتمامات الكيان الذي بقدر سعيه للتسلح، فإنه يسعى إلى التنسيق العسكري مع دول العالم، ففي الحرب الدائرة على قطاع غزة يتكشف تحالف إقليمي دولي يصطف خلف الكيان الصهيوني ضد المقاومة، فبوابة رفح المصرية رئة غزة الوحيدة على العالم بحكم إغلاقها إمعانا في الحصار، ويؤكّد العديد من المحللين الصهاينة أن إسرائيل تضرب غزة بتنسيق مع الحكومة المصرية لما بين الطرفين من مصالح مشتركة، لقد باتت المواقف العربية العسكرية ملتحمة مع الموقف الصهيوني المعادي للمقاومة، والمتّهم لها بالإرهاب مقابل السكوت على الجرائم الصهيونية.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
الاستقواء العسكري الصهيوني وإضعاف جانب العرب

المطلب الأول: التسلح الصهيوني:

لا يخفى على العالم الأهمية القصوى التي تمليها مخاوف الكيان الصهيوني للتسلح، والاستقواء من أجل المواجهة المفترضة مع الأعداء، وخاصة العرب، يقول الحاخام (جوآسيم برنز) مبيّنا أنّ الدعوة إلى السلام العالمية إنما هي في حقيقتها مخطط يهودي له أهدافه للسيطرة على العالم: «ولقد أطلق على هذا المخطط اسم (مخطط السلام) والعمل على تحقيقه لا يتطلّب سوى الإلحاح والمثابرة على الدعوة للمحافظة على السلام، والقصد منه ذو شقّين: أحدهما الحصول على الوقت اللاّزم لنا ولحلفائنا لكي نتمكّن من تسليح جيوشنا، وتقوية أجهزتنا الحربية، لأننا في هذا الوقت لم نستكمل العدة لخوض حرب عالمية ثالثة تكفل لنا النصر، وأمّا الشق الآخر فهو وقف سباق التسلح السائد الآن لدى الدول المعادية لنا ولحلفائنا وإرغام الدول على تدمير أسلحتها الذرية، وتقليص جيوشها الجرارة، وقتل الروح العسكرية في الأوساط الشعبية، ودفع الجماهير إلى كراهية الجندية، وتنفيرهم مها، بينما سنثابر نحن وحلفاؤنا على التسلح إلى أبعد مدى مستطاع»[1].

---

(١) مكائد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٤٣٠، منقول عن النشرة الدورية المسماة (الصليب والعلم) في عددها الصادر أواخر ١٩٥٥م، وهي نشرة تصدرها جمعية وطنية أمريكية تعنى بالأمن الوطني، وعنوان المقالة: الحاخام جوهاشيم برنمز يشرح وثائق المخطط السري اليهودي الأخير.

ويكتفي العرب في هذا السياق بخطب ودّ «إسرائيل» والتزلّف إليها فرادى وجماعات، وإن تسلّحوا فعلى بعضهم البعض تنافسا، واستقواءً، الحال الذي تكشفه الأرقام الصادمة عن تبديد الأموال في أحدث الأسلحة التي تكاد تقتصرُ مهمّتها على المناورات الاستعراضية.

المطلب الثاني: التحالف السياسي والعسكري مع اليهود:

ترفض الشعوب العربية والإسلامية وجود علاقات سياسية أو دبلوماسية مع إسرائيل في حين باتت هذه العلاقة بين (تل أبيب) وبعض الحكومات العربية مصيرية، ولا يكاد يعلن عن لقاء سرّي بين أحد المسؤولين العرب وآخر إسرائيلي حتى يعلن عن أخرى تمّ عقدها سرّا.

وآخر المنضمين حديثا لقائمة الدول التي لها علاقة سرّية بإسرائيل كانت المملكة العربية السعودية، والتي فضحتها وسائل إعلام إسرائيلية مؤخّرا، حيث كشفت صحيفة «ميكورريشون» الإسرائيلية في الأسبوع الأول من سبتمبر ٢٠١٧م عن زيارة ولي العهد السعودي (محمد بن سلمان) لإسرائيل مطلع الشهر ولقائه برئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو)، وأكّدت الخبر الصحفية الروسية المتخصصة بالشأن الإسرائيلي (نوجاتارنو بولسكي) في تغريدة لها على صفحتها الخاصة بموقع «تويتر».

وجاء الكشف عن اللقاء السرّي الذي جمع كلاًّ من قائد الانقلاب العسكري في مصر (عبد الفتاح السيسي) والملك (عبد الله الثاني) ملك الأردن مع رئيس وزراء إسرائيل (بنيامين نتنياهو) برعاية وزير الخارجية الأمريكي

(آنذاكجو نكيري) في مدينة العقبة الأردنية في فبراير ٢٠١٦م، لتُثار حالة من الجدل حول أسباب الإعلان عن هذا اللقاء خاصة أنّ صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية هي من أفصحت عنه.

عقد اللقاء سرّا جعل البعض يتساءل عن أسباب عدم عقده في العلن كما كان يفعل المخلوع (حسني مبارك) ومن قبله (السادات) خاصة أنّ (السيسي) يحظى بعلاقة خاصة مع تل أبيب التي تروّج لنظامه على المستويين الأمريكي والدولي، لكن ربما أراد (السيسي) ألاّ تتلطّخ صورته الوطنية المزيفة أمام عدسات الكاميرات والإعلاميين وأمام المصريين.

وتعدّ علاقة الأردن بإسرائيل هي العلاقة الأقوى من بين الدول العربية حتى أنها باتت شاهدة على اجتماعات إسرائيلية سرّية خلال الآونة الأخيرة، فبخلاف اللقاء الذي جمع الملك (عبد الله) و(السيسي) و(نتنياهو) شهدت عمان لقاءات سرّية لممثلين عن «إسرائيل» وروسيا والولايات المتّحدة حول اتّفاق وقف إطلاق النار في جنوب سوريا بمشاركة الأردن بحسب ما سربّته صحيفة (هآرتس)، ولا تتوانى هذه الدول في علاقاتها من الاقتراب من خط النار بعقد التحالفات العسكرية، وتهوين شأنها بدعوى تأمين المنطقة، وحمايتها من الاعتداء الأجنبي رغم أنّ العدو الحقيقي قابع بين ظهرانيها.

وإنّ السبب الحقيقي للهزائم التي حلّت بالمسلمين في قتالهم لليهود هو البعد عن الإسلام روحا ومعنى، وتشريعا وأخلاقا وعملا[١]، فلم يعد

(١) درس النكبة الثانية: لماذا انهزمنا وكيف ننتصر؟ ص٣١.

الجندي المسلم في سبيل الله ذلك المصلي المستقيم المرتبط بالقرآن الكريم، وإنما الأولوية في القيادة العسكرية والثقة في المتقدمين للجندية هي البعد عن الله تعالى بالمعاصي والآثام، ومعاداة الملتزمين بالدين والقسوة عليهم، وهذا سبب مباشر للهزيمة، حيث كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: «إنما ننتصر عليهم بطاعتنا لله ومعصيتهم له»[1].

«إنّ العرب قد دخلوا حروبهم الرّسمية الأخيرة ضد اليهود المعتدين بغير الزاد الذي يجب أن يتزوّد به المجاهدون، فكانت جعبتهم فارغة من كل عتاد المجاهد إلا بعض طلقات ربما تكون صالحة ولكنها بيد فاسدة، وقد تكون فاسدة بيد فاسدة، وقليلا ما تكون بيد صالحة صادقة، إنّ أحداث هذه الحروب لتدلّ دلالة واضحة على أنّ هذه الأمة لم تكن مع الله في حربها، ولم تستحضر من معاني الجهاد شيئا، بل لقد تخلّت عن كلمة الجهاد ذاتها، إمعانا في سلخ الأمة عن هويتها وطريقها، فأخذت تترك أو تبعد أو تهمل كلمة الجهاد التي هي الحافز الأول في نفوس المسلمين، وهي المحرّض الأكبر لهم على مواجهة الأعداء وتحمّل الصعاب، واستبدلت بهذه الكلمة ما يناسب السياسة الجديدة الدخيلة القاضية بالانسلاخ عن الدين والتديّن والدينونة لله سبحانه وتعالى، فصاروا يسمّون مقاتلين مناضلين بدل تسميتهم مجاهدين، ويسمّون الجهاد نضالا وكفاحا، وتنكّروا للألفاظ التي كانت تمنح المؤمن استعلاء ونورا وأملا، وتدفعه إلى الاستماتة في سبيل الله

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٧/ ٣٥.

دفاعا عن البلاد والعباد والعزة والكرامة، لأنه يسير بذلك إلى رضوان الله تعالى الذي هو خير من الدنيا وما فيها»[١].

يقول اللواء (محمود شيث خطاب) مبيّنا ما لاقاه من السخرية لتدينه بسبب التزامه بأوامر الله تعالى وهو يتقدم للدفاع عن الأمة: «تتابعت أسئلة قائد السريّة التي انتسبت إليها في أول لقاء به، وأول يوم تعرفت عليه حيث يقول: هل تعاقر الخمر؟ هل تلعب الميسر؟ هل تغازل الغيد الحسان؟ وتكرّر جوابي على أسئلته المتعاقبة بالنفي، فظهرت على وجهه بوادر خيبة الأمل، وندب حظه العاثر لالتحاقي بسريته، ثم عبس وتولى وهو يقول: لماذا أصبحت ضابطا؟ لماذا اخترت سلاح الفرسان؟ لماذا تعيش؟ الأفضل أن تموت.. كان هذا أول درس عملي تلقيته من قائد سريّتي في أول يوم من حياتي العسكرية العملية في الوحدات المقاتلة، ثم توالت علي الدروس المماثلة كاللحن المكرر يعاد على مسامعي صباح مساء.. سر الحياة في نظرهم هو أن يعيش الجندي المسلم والضابط المسلم كل همه كاس من الخمر يشربها، وامرأة فاجرة يقضي معها وطره ثم يدعها»[٢].

ونقف مع التطبيق العملي لهذا التوجّه في حرب فلسطين ١٩٤٨م حيث وقفت الدول العربية بأمر من بريطانيا في وجه مجاهدي فلسطين

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في القرآن، ص٢٧٢.

(٢) بين العقيدة والقيادة، اللواء محمود شيث خطاب، ص٢٣ وما بعدها.

الذين كان يتزعمهم الحاج (أمين الحسيني)[1] لأنهم كانوا يعلنون أنّ قتالهم جهاد في سبيل الله، ودفاع عن مقدسات المسلمين، وبعدما كان القرار قاضيا بتسليح الشعب، ألغي، لتحل محلة الجيوش النظامية العربية، وكذلك قبل حرب ١٩٦٧م بأيام، والتي قادها الثوريون الشرقيون نشرت إحدى الصحف مقالة جاء فيها: «إنّ الله والرأسمالية والامبريالية وكلّ القيم التي سادت المجتمع السابق دمى محنّطة في متاحف التاريخ -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا-»[2].

ووصل الهوان بالعرب في حروبهم المصيرية مع الصهاينة أنهم كانوا يلهبون حماسة المقاتلين عبر الإذاعات دعوة للقتال باسم فلان وعلان وليس باسم الله تعالى، مع إغرائهم بوقوف الفنانة فلانة أو علانة إلى جانبهم، بدل تحفيزهم بالجنة الموعودة، وتحميسهم بسورة الأنفال، ولذلك فقد كتب الشيخ (أبو الحسن الندوي) عن الحال المتخاذل للعرب في تلك المرحلة الحساسة فقال: «من عرف الشرق العربي الإسلامي الذي يسميه الأوربيون «الشرق الأوسط» أو «الشرق الأدنى» عن كثب لا عن كتب، وعاش فيه كأحد أبنائه، وتقلب في عواصمه وبيئاته وطبقاته بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧م، ورأى تردّد الحكومات في سياساتها، وضعف إرادتها، وخضوعها

---

(١) الحاج أحمد أمين بن مصطفى الحسيني، زعيم فلسطين السياسي في عصره، ولد بالقدس سنة ١٨٩٣م، وتعلم بها، ثم التحق بالأزهر وبدار الدعوة والإرشاد التي أنشأها محمد رشيد رضا بمصر، تخرج ضابطا باسطنبول عام ١٩١٧م، كان أول من نبه إلى خطر تكاثر اليهود في فلسطين بعد وعد بلفور، قاد جهادا ضد الانجليز واليهود، توفي سنة ١٩٧٣م في بيروت (الأعلام، ٦/ ٤٥).

(٢) ينظر: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، عارف العارف، ١/ ١٥.

للدول الأوربية الكبرى، وارتباطها بإشارتها، ورأى أخلاق الرؤساء والقادة، ومن بيدهم الحل والعقد، ورأى إخلادهم إلى الراحة، وإيثارهم للذة والمنفعة، ورأى عبث الأدباء والكتاب والموجّهين بالأسس الدينية، والقيم الخلقية والاجتماعية، والمقرّرات التاريخية، وتسخيرهم لطاقة الأدب والأقلام، لتقويم دعائم الحياة الصالحة والأخلاق الفاضلة، وبعث فوضى فكرية لا معروف فيها ولا منكر، ولا حقّ فيها ولا باطل، .. جزم أنّ هذه الشعوب لا تستطيع أن تحتمل أدنى صدمة تأتيها من الخارج، ولا تستطيع أن تدافع عن دينها وشرفها ومقدساتها وكيانها»[(١)].

ولا يزال التفريط في جنب الله تعالى قائما إلى أيامنا بين القيادات السياسية والعسكرية على وجه الخصوص، «ومما يزيد في اثر الذنوب في هزيمة هذه الأمة في معاركها مع اليهود أنها في هذه المعارك إنما تواجه عدوا ذا عقيدة يدافع عنها حتى وإن كانت هذه العقيدة باطلة، فإنّ اليهود يعتقدون في اغتصابهم لفلسطين، وفي حروبهم وقتالهم للعرب والمسلمين أنهم ينفذون أحكام التوراة والتلمود، ويعملون على إرضاء الله سبحانه وتعالى، وذلك من وهمهم، بخلاف ما رأينا من حال أمتنا، ومن الذين أعلنوا العداء لدينهم وإسلامهم»[(٢)].

❋ ❋ ❋

(١) المسلمون وقضية فلسطين، ص١٢-١٤.

(٢) أحكام التعامل السياسي مع اليهود، ص٢٧٩.

المبحث الثاني
وقوف القوة العربية إلى جانب القوة الصهيونية

بعد عهد المواجهات مع الكيان الصهيوني، دخل بنا التطبيع عهدا جديدا من الخضوع والتقارب في مختلف المجالات، بما فيها المجال العسكري، حيث تسابقت الدول المستسلمة نحو الظفر بموقع في أجندة التسلّح الأمريكية والصهيونية، وصارت العلاقات تفرض عليها تعاونا معلنا، ولقد سجّلت الحكومة التركية السابقة... تعاونا علنيا مع «إسرائيل»، وعقدت معها اتّفاقية التعاون في المجال الحربي، والتدريب، وسلمتها مهمة تحديث سلاح الجو التركي.

المطلب الأول:
الوقوف مع الصهاينة بالقتال في صفوفهم:

لا تقتصر أدوار المتعاونين مع الصهاينة من العرب في العمالة والتجسس، بل تصل حتى إلى القتال في صفوفهم، ففي حرب لبنان صنع الصهاينة جيشا من المتعاونين معهم من اللبنانيين أنفسهم لكي يتولى مواجهة المقاومة اللبنانية، غافلين عن أنهم كبش فداء المعركة، يقتلون إخوانهم بأيديهم، ويحمون بجعلهم في الواجهة رؤوس اليهود الذين يخافون الموت أيما خوف.

كذلك بعد اشتعال الانتفاضة عام ١٩٨٧م كثّف اليهود من إرسال الشباب العرب المجندين في صفوف جيشهم من الدروز وبعض البدو لمواجهة إخوانهم في الضفة والقطاع، ليجعلوا بأس المسلمين بينهم، ويكفون أيديهم

وبنادقهم شرّ القتال الذي يجبنون عنه لحب الحياة، وكراهية الموت، ولترك الثارات الداخلية تتأجّج بين الشعوب العربية.

المطلب الثاني:
التجسس على العرب لصالح الصهاينة:

حرص اليهود منذ إنشاء كيانهم على تقوية الناحية الأمنية من خلال الأجهزة المختلفة التي تنشط لهذا الغرض، في الداخل والخارج، وتتكون من (الموساد)[1] والمخابرات المركزية[2]، و(الشين بيت)[3] وغيرها من الأجهزة العاملة على أمن الكيان.

أولا: عمالة الأفراد:

علم الصهاينة منذ انغراسهم في قلب الأمة العربية والإسلامية أنهم سيعيشون وسط العداء والكراهية، وسيكونون محفوفين بالمخاطر من كلِّ الاتجاهات، ولذلك فإنّ تخطيطهم للاستمرار يرتكز بالدرجة الأولى على تقوية جهاز الاستخبارات بعملاء من بين العرب ينقذونهم في الوقت المناسب بما يسرّبونه لهم من معلومات على مختلف المستويات، فالقوة العسكرية وحدها

---

(١) هو جهاز الأمن الخارجي المنوط به جمع المعلومات الخارجية، والقيام بعمليات سرية خارج الكيان الصهيوني.

(٢) هي المخابرات السرية التي مهمتها تقييم المعلومات التي تخص العرب، إضافة إلى الاستخبارات الاستراتيجية.

(٣) هو جهاز المخابرات الداخلية المسؤول عن مكافحة الجاسوسية والأمن الداخلي المتعلق بالأفراد والمسؤولين والمؤسسات الرسمية.

لن تسعف للسيطرة على الحرب، وإنما القوة الأضمن هي الاختراق الأمني للأنظمة العربية، والتحركات الشعبية، والذي تحقّق من خلاله أهداف عظيمة بدرجات متفاوتة على رأسها:

أولا: إضعاف روح الانتماء للأمة، من خلال استغلال الهموم التي يتخبّط فيها الشباب على وجه الخصوص، واستمالتهم بالإغراء المادي، بالمال والنساء والمناصب، والاستدراج الخفي من خلال مواقع التواصل الاجتماعي حتى يقعوا في الفخ، وينفذوا للمخابرات الصهيونية ما تأمرهم به.

ثانيًا: الحرص على جمع المعلومات عن العرب والمسلمين في مختلف النواحي، بما يتيح الاطلاع على إمكانيات هذه الدول وأسرارها، ونواياها المستقبلية بما يستثمر لتحطيمها قبل استقوائها، الأمر الذي حدث مع المفاعل النووي العراقي، حيث استغفلت أجهزة المخابرات الصهيونية المشرفين عليه وتسلّلت لاستراق السمع بينهم.

ثالثًا: اختراق المنظمات والحركات والجماعات التي تنشط في البلاد الإسلامية، وخاصة الجهادية التي تعمل ضد الصهاينة في فلسطين وخارجها، وتسريب أخبار مخططاتها الموجهة للكيان الغاصب لإفشالها، مع التعرف على قادتها والعمل على اغتيالهم.

رابعًا: ضرب مصداقية الحركة الإسلامية، وبذر الشقاق بين قادتها وفصائلها من خلال الجواسيس

خامسًا: استعمال الجواسيس العرب في شراء المزيد من الأراضي العربية لصالح الكيان الصهيوني

سادسًا: تجنيد الجواسيس العرب لاختراق المنابر الإعلامية العربية، وبث الأفكار المسمومة من خلالها(١).

سابعًا: تجنيد الجواسيس العرب لجمع المعلومات السرية، والتقاط الصور للمناطق الحساسة.

وإنّ الدافع الأساسي لهذا الانزلاق الأخلاقي الذي يجعل العربي والمسلم يبيع بلده وذمته متراوح بين الرغبة والطمع في المال، وإشباع النزوات، وتحقيق فرص العيش الرغيد، والرهبة من الفضيحة في حالة الابتزاز بالصور والمواقف غير اللائقة.

ثانيًا: عمالة الدول:

تتجسد هذه العمالة عبر ما يسمى بالاتفاقيات الأمنية التي يعقدها الكيان الصهيوني مع بعض المصالحين له من العرب والمسلمين، ويتم بموجبها تقديم معلومات عن الحركات الجهادية التي تعمل ضد الصهاينة، مقابل أن يقوم الجهاز الأمني الصهيوني بتقديم المعلومات التي بحوزته عن المعارضة التي لا تخدم مصالح تلك الدول، فهو تجسس في اتجاه واحد من الطرفين، ضحيته الأولى هي ذوو الضمائر الحية من الرافضين لوضع الضعف والهوان.

---

(١) ينظر: علماء وجواسيس: التغلغل الأمريكي الإسرائيلي في مصر، ص١٨ وما بعدها.

لقد أحبطت السلطة الفلسطينية عدة عمليات للمجاهدين الفلسطينيين ضد الكيان الصهيوني، وسلّموا للصهاينة عددا من المجاهدين، كما قدّموا معلومات أمنية عن الحركات الجهادية للجهات الأمنية الصهيونية بحجة القضاء على خطرها المتجاوز للصهاينة إلى السلطة نفسها، وتجفيف منابع التهديد للمنطقة بأكملها، وخوفا بطبيعة الحال من الغضب الصهيوني في حال أصابته هذه الجماعات في مقتل، ممّا يحرمها من الامتيازات، ويفتح عليها أبواب المواجهات.

المطلب الثالث:
التهوين الإعلامي من شأن الاعتداءات الصهيونية:

لقد بلغ الخذلان بالعرب والمسلمين حدّ فتح قنواتهم الإعلامية للمحللين والخبراء العسكريين الصهاينة من أجل عرض مواقفهم وتحليلاتهم للأحداث التي يبرئون فيها جانبهم من الانتهاكات، ويلقون باللائمة على فصائل المقاومة، والعرب عموما في إشعال المنطقة بنيران الحرب، وأصبح الناطق باسم الجيش الصهيوني (أفيخاي أدرعي) ضيفا منتظما لبعض القنوات الفضائية، كما أصبحت إيران ومواجهة المدّ الشيعي مشجبا ومبرّرا للتطبيع مع الكيان الصهيوني، إلى الحدّ الذي دفع بكاتب سعودي أن يقول على الهواء مباشرة ودون مواربة بأنه يتمنى أن تنتصر إسرائيل على إيران، وآخر على شاكلته يقرّ بأنه لو توفّر على معلومات تفيد إسرائيل في حربها على إيران وحلفائها لسلّمها إليها عن طيب خاطر!!

ولئن كانت الذريعة في الوقوف إلى جانب الكيان الصهيوني هي كون الطرف الآخر شيعي متربّص بالسنة، فإنها ستتعرّى مع الوقت، وستكون ثابتة مع كلّ من تسوّل له نفسه الوقوف في وجه «إسرائيل» ولاء لها، واستسلاما للأمر الواقع ضعفا وهوانا.

والواقع أنّ التحدي الحضاري الإسرائيلي عبارة دخلت الخطاب السياسي العربي، ومفادها أنّ التجمع الصهيوني يمكن كيانا حضاريا مستقلا متفوقا على الكيان الحضاري العربي، وأنّ هزيمة العرب العسكرية نتيجة لتخلفهم الحضاري، «وإذا نظرنا إلى التجمع الاستيطاني الصهيوني الذي يمثل التحدي الحضاري حسب رؤية البعض لوجدنا بالفعل تجمعا قد حقق تفوقا عسكريا لا يمكن إنكاره، ولكنه تفوق لم يحرزه بإمكانياته الذاتية وإنما بالدعم العسكري الغربي، بل إنّ التجمع الصهيوني ككلّ لا يعتمد على موارده الطبيعية أو الإنسانية، وإنما يعتمد على الدعم المستمر من الولايات المتحدة والدول الغربية ويهود الغرب، ومن ثم فمحاولة محاكاة هذا المجتمع محاولة فاشلة مصيرها الإخفاق»(١).

❊ ❊ ❊

(١) موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية، ٧/ ٢٢.

الفصل الثالث

المآلات الاجتماعية للتصهين العربي

<u>مباحث هذا الفصل هي:</u>

❊ إضعاف علاقة العرب بالدين

❊ نزع الحواجز وإذابة خصوصية الانتماء

❊ الاختراق الرياضي الإسرائيلي للعرب

التجمّع الصهيوني في حقيقته ليس مجتمعا، بل هو تجمّع يتسم بالشذوذ البنيوي، لا يحمل معنى التحدّي الحضاري، بل هو مجرّد تحدٍّ عسكري خال من المنظومة القيمية الحضارية، وهنا ترجح كفة الأمة العربية التي كفل لها ثباتها على الدين الإسلامي الإبقاء على مقوّمات التعايش الاجتماعي عبر مختلف المستويات من الأسرة إلى المؤسسات التربوية، والفضاءات الشعبية.

المبحث الأول
إضعاف علاقة العرب بالدين

ظهرت حرب الصهاينة على الدين الإسلامي في ديار الإسلام منذ أن وطأتها أقدامهم النجسة، كما ظهر معها النموذج التغريبي الذي تسعى لنشره في المجتمع، حيث سارعوا مع الاستيلاء على السلطة في القسم الأكبر من فلسطين عام ١٩٤٨م إلى هدم المساجد، ونشر المقاهي والملاهي، وطبع المنطقة بطابع لا يمت بصلة للواقع العربي، الأمر الذي تحول مع الوقت إلى عامل إبهار للمنسلخين عن دينهم وعقيدتهم من المسلمين، مروجين لهذا النمط الاجتماعي في بلاد الإسلام، عبر ربطه بالتقدم العلمي والتكنولوجي المتزايد في طاق الكيان.

المطلب الأول: استبعاد الدين من المناهج الدراسية:

إنّ الاتفاقيات العربية-الصهيونية المتعاقبة والمستمرة قد فتحت أمام اليهود مجالا لفرض أفكار وثقافة وعقائد جديدة على الأمة تناقض ما جبلت عليه من مبادئ من صميم دينها، حيث جُعل التعاون الثقافي بندا من بنود

الصلح بين مصر والكيان الصهيوني، وجاء فيه: «يتفق الطرفان على إقامة علاقات ثقافية عادية بعد إتمام الانسحاب المرحلي، وعلى أنّ التبادل الثقافي أمر مرغوب فيه، مع الحرص على عقد اتفاقيات ثقافية[١]».

وذهب التنفيذ إلى أبعد من ذلك في بداية مسيرة التطبيع، حيث طرح الرئيس المصري (أنور السادات) في ٦ أغسطس ١٩٨٠م فكرة مجمّع الأديان، والتي تهدف إلى إقامة مجمّع يضم مسجدا إسلاميا، وكنيسة مسيحية، ومعبدا يهوديا، وكان من المقرّر أن يوضع حجر الأساس للمشروع في ١٩ نوفمبر/ تشرين الثاني١٩٨١م، بمناسبة مرور ثلاث سنوات على زيارة السادات لإسرائيل، لكن اغتياله قد قبر هذه الفكرة، خاصة وأنها قد واجهتها اعتراضات دينية فقهية تؤكّد على تعارض هذه الخطوة مع الإقرار بحقيقة الإسلام كخاتم الديانات، لتضلّ وصمة عار على جبين مصر في مسيرة التصهين المتدثرة بدثار التقارب الحضاري والتسامح الديني.

ويعتبر أكبر خطر اجتماعي ثقافي يقود إليه التصهين العربي، وفتح المجال للعلاقات العلنية مع الكيان الغاصب التلاعب بالمناهج التعليمية، وتشويهها، وتطويعها لإرضاء اليهود حيث تحذف منها كل التوجيهات القرآنية والنبوية التي تشير إلى عدائهم للإسلام والمسلمين، وتدعو إلى الحذر منهم، وتجنبهم، وهذا بناء على توجيهاتهم طبعا، حيث نشطت الدراسات الصهيونية الباحثة في سبب العداء العربي لإسرائيل، واتّفقت على تصدّر الدين الإسلامي لهذه

---

(١) نصوص ووثائق معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، ص١٠٣.

الأسباب، وصناعته للرفض الشعبي لأيّ صورة من صور التعامل مع الكيان الصهيوني، ولذلك فقد طعّموا مصالحاتهم ومعاهداتهم مع الزعماء العرب، بالأفكار الهدامة، والمبادئ الرديئة المناقضة لعقيدة الأمة، وتجرأوا على المطالبة بتعديل المناهج وإلغاء المفاهيم الدينية التي تحرّض على اليهود، واستبدالها بما يذكي روح التسامح، والتعايش والتبادل الثقافي.

لقد رأى النظام المصري القائد لمسيرة التطبيع مع الكيان الصهيوني ضرورة تربية الأجيال على الأفكار الجديدة، وتهيئتهم للاعتراف بالكيان الصهيوني كدولة كاملة الحقوق، مرعيّة المكانة، شريكة في مجالات عدّة سياسية واقتصادية وثقافية، وعليه فقد كانت الخطوة المباشرة هي التصرّف في المناهج الدراسية بما يرضي الصهاينة، ويخدم التطبيع، وتروى في هذا الصدد قصة ذات دلالة، ملخصها أنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي (مناحيم بيغن) زار مصر في أعقاب توقيع اتفاقية الصلح، وتحديدا في أغسطس ١٩٨١م، وتناول في محادثاته مع الرئيس (السادات) خطوات تفعيل التطبيع، فطمأنه السادات على رغبته وتحمّسه لذلك، فانتهز (بيغن) الفرصة، وأبدى انزعاجه من الآيات القرآنية التي تذمّ اليهود في المقررات الدراسية، فما كان من (السادات) إلاّ أن استدعى وزير التعليم المصري، وأمره بحذفها، واستمرّت الحركات التطمينية إلى عهد الرئيس (حسني مبارك) حيث حذفت كل المصطلحات المتعلقة بالصهيونية، والعداء، والأرض المحتلة... وأصبح (السلام) وتوابعه من صميم المقررات، ومن ثوابت التعبير في الامتحانات في مختلف المراحل التعليمية.

وقد أدّت الضغوط الإسرائيلية-الأمريكية إلى إحداث مجموعة من التعديلات في التعليم الأزهري منذ ١٩٧٩م وإلى يومنا هذا، منها:

- إلغاء أبواب الجهاد من المرحلة الإعدادية.
- تقليص المواد الشرعية، والتصرف في الآيات القرآنية المقرّرة بما يتماشى مع مرحلة التطبيع.
- تكثيف المواد العلمية والأدبية على حساب ما يتطلبه التعليم الأزهري من مواد فقهية وشرعية.

«ولقد بدأ اليهود العمل على إقامة مراكز تعليمية في العالم العربي لتدريس اللغة العبرية مجانا، وإيجاد مكتبات عامة غنية بالمصادر التي يحتاج إليها الطلاب والباحثون، والهدف من كلِّ ذلك هو جلب الطلاب النجباء والباحثين الأذكياء، والعلماء المعروفين، ولقد وقعت بين مصر والكيان الصهيوني الاتفاقية الثقافية التي تنصّ على التعاون الثقافي والفني والعلمي، وتبادل البرامج التلفزيونية والإذاعية والأفلام، وتسهيل زيارة العلماء والدارسين والباحثين، وتمّ إنشاء المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة(١)».

ولا تزال خطوات التقرّب العربي من الكيان الصهيوني تخرج عبر البرامج التعليمية بين الحين والآخر، وخاصة من خلال الخرائط التي يثبتونه فيها، ويلغون فلسطين، حتى إذا ما ثارت عليهم الشعوب تذرّعوا بالخطأ والغفلة.

---

(١) التطبيع: استراتيجية الاختراق الصهيوني، ص١٠٦.

المطلب الثاني: الذوبان الثقافي:

لقد تشوّشت أذهان الذائبين في حبّ كلّ ما هو غير عربي، ووجد منهم من يدعو للاحتذاء بالكيان الصهيوني في ثقافته وقيمه الاجتماعية، وفي نمط السلوك، وبدأت هذه الدعوة في أعقاب هزيمة ٦٧، وازدادت جرأة في أعقاب توقيع اتّفاقية (كامب ديفيد)، «فقد عمل اليهود، ومازالوا يعملون على نشر الرذائل، وتشجيع الفواحش والخلاعة، وقد كان السلام سبيلهم إلى التمكّن من ذلك، وللصحف والمجلات الخليعة القادمة من عند يهود دور في أداء هذه المهمة، وكذلك يقوم اليهود بإفساد الشباب والشابات، وذلك بعرض الأفلام الرخيصة والساقطة على شاشات السينما، كما يبثّ اليهود الراقصات والمومسات، ففساد الشباب في البلاد التي يتمكنون من الوصول إليها، وهذا مخطط قديم لليهود نصت عليه بروتوكولات حكماء صهيون، وهم لا يحاربون الأمة الإسلامية وحدها بل كلّ الأمم»[1].

* * *

(١) التطبيع: استراتيجية الاختراق الصهيوني، ص١٨٦.

المبحث الثاني
نزع الحواجز وإذابة خصوصية الانتماء

المطلب الأول:
غرس فكرة التقبل للتعامل مع الكيان الصهيوني:

«يمثل التطبيع الثقافي الدعامة الرئيسية لبناء السلام في المنطقة من وجهة النظر الإسرائيلية، وهو لديهم أكثر إقناعا، وأكثر استقرارا من أيّ ترتيبات أمنية.. وهو العامل الحاسم على المدى البعيد، فالصراع يوجد في وعي الشعوب قبل أن ينتقل إلى أرض الواقع، والمطلوب من الصهاينة ببساطة نزع العداء من العقل العربي استكمالا لمحاولة نزع السلاح من اليد العربية، ..ومن وجهة نظر القائم بالتطبيع الإسرائيلي، فكلّ عقدة ولها حل، فإذا كانت مناهج التربية والتعليم السابقة تحض على الكراهية، فإنه يمكن تغييرها لتشيع قيم السلام، وإذا عاقت الحقائق التاريخية تصفية الأحقاد يمكن تجاهلها، والتركيز على الجوانب الإيجابية»[1].

ولقد ركّزت البحوث والدراسات الصهيونية على نقاط يعتبرونها كفيلة بكسب المجتمعات العربية المسلمة لصالح السلام، والتطبيع، والتعايش، أبرزها:

- ضرورة فتح الحدود أمام حركة الناس، وتبادل المعلومات والثقافة والعلوم، وأن تكون هناك صلة إنسانية وطبيعية وتلقائية.

---

(١) التطبيع والمطبعون، ص٨٩.

- ضرورة مراجعة البرامج الدراسية مراجعة شاملة، وحذف ما يجب إبعاده، مقابل حشوها بما يخدم تيار الصهيونية الجارف.

- دراسة البرامج المتبادلة في وسائل الإعلام، وعلى الأخص الإذاعة والتلفزيون، وأن يسمح كل جانب أن يذيع في وسائل إعلام الجانب الآخر برامج ثقافية عن وثائقه وتاريخه.

- تغيير مواقف الزعماء من ثقافة وتاريخ الجانب الآخر، لما لذلك من تأثير قوي على الجيل.

- ضرورة إزالة المفاهيم السلبية في الأيديولوجية القومية العربية والإسلامية تجاه إسرائيل.

- تشجيع الأنشطة الرياضية الشبابية بين «إسرائيل» والدول العربية.

وكان (السادات) من أوائل من أعلن الغرض من خطواته التطبيعية مع الكيان الصهيوني في جانبها النفسي الاجتماعي، وهي إزالة الحاجز النفسي، «فالزيارة التاريخية لم تكن تتّسق مع المنطلقات الفكرية السابقة لمفهوم الصراع، ولم تكن تتّفق أيضا مع البنيان الفكري والثقافي السائد في الساحة المصرية حتى تلك اللحظة، رغم التهيئة التي كانت تتمّ منذ بداية السبعينات لتصفية الصراع، وقد جاءت إشارة البدء في إعادة الصياغة هذه من جانب (السادات) شخصيا، إذ استخدم مصطلح «الحاجز النفسي» عندما أعلن عن عزمه زيارة القدس، ثم تبلورت في خطابه بالكنيست الإسرائيلي في ٢٠

نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٧٧م، حيث ذكر أنّ هذا الحاجز النفسي يمثل ٧٠٪ من المشكلة بين العرب والإسرائيليين، وكان هذا الطرح من ضرورات الزيارة»[١].

واستمرّ العمل على هذا الطرح بشراكة إسرائيلية مصرية ـ أمريكية من خلال عقد المؤتمرات البحثية، وتكثيف الدراسات النفسية الكفيلة بالوقوف على زوايا التأثير المطلوبة لضمان تغييب مشاعر البغض، وعلاقة الجفاء التي تأصّلت في النفوس، «وفي إطار اعتبار التطبيع مع العدوّ» ضرورةً وطنيّةً، «يأتي كلامُ البعض عن لزوم الحوار مع وسائل الإعلام الإسرائيليّة من أجل «اختراق الوعي الإسرائيليّ». غير أنّ الإسرائيليّ لا ينتظر هذا المثقفَ العربيَّ أو ذاك كي «ينوّرَه» في شأنِ ما ترتكبه دولتُه أمام عينيْه منذ عقود، ثمّ إنّ «الاجتهادَ» الشخصيّ لمثل هذا المثقف أو ذاك يؤثّر سلبًا في حركة المقاطعة العالميّة، أيًّا حسُنتِ النيّة، ويعزِّز كذبةَ ديمقراطيّة الإعلام الإسرائيليّ»[٢].

وبعدما كان رفض التعاطي مع الصهاينة من المسلّمات، استنادا للدين والثقافة والقناعات الفكرية والسياسية، أصبح الأمر رهنا للمزايدات والمساومات، والضغوط الخارجية والداخلية، «فتصبح المشكلة خطيرة عندما يكون منتج هذه الثقافة من الداخل، سواء عن قصد خدمة أغراض

(١) التطبيع والمطبعون، ص٩٥.

(٢) التطبيع الثقافي: التعريف، المخاطر، القانون، المعايير، الذرائع، المسؤولية، سماح إدريس، موقع الآداب، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٧، على الرابط: www.al-adab.com

سياسية، أو مشيا مع الموجة، أو حتى استغلالا للفرصة لإعادة ترويج مفاهيم سابقة، ففي مثل هذه الحالة تختلط الأمور، وتتّسع مساحات الشكّ، على حساب اليقين، ويتم إبهام كثير من القناعات الثابتة التي كانت قد ارتقت إلى مستوى المسلمات، ونقترب من مواطن الزلل بدون وعي، أو بوعي زائف»[١].

المطلب الثاني:
الترويج الإعلامي للسياسة الإسرائيلية:

لا يتوقّف التطبيع بالعلاقات العربية الإسرائيلية عند حدود الاعتراف والتقارب، بل يذهب أبعد من ذلك بالوصول إلى تقديم مبرّرات الوجود، ومبرّرات الاغتصاب، بل ومبرّرات العدوان الهمجي المتواصل على الشعب الفلسطيني، ملقيات باللاّئمة على المقاومين المدافعين عن الأرض والعرض، ووصمهم بالإرهابيين، والمعطّلين لمسيرة السلام، والمثيرين للفوضى في المنطقة، وتَصرف حكومات العالم الإسلامي المليارات على هذه الأعمال وتسهر على نشرها وترويجها وتبليغها لشباب الأمة، ونذكر على سبيل المثال فضيحة الإعلام المصري في تغطيته للهجوم الإسرائيلي على غزة سنة ٢٠١٤م، فقد ألقت معظم التقارير الإخبارية اللوم على حماس بدلا من الكيان الصهيوني، واصفة إياها بالحركة الإرهابية المستفزّة لإسرائيل بغية تحقيق انتصارات سياسية على حسب تصريح الإعلامي «أحمد موسى» والإعلامية

---

(١) التطبيع والمطبعون، ٩٤.

«أماني الخياط»، وقد أثنت جريدة (التايمز) الإسرائيلية مؤخّرا على الإعلام السعودي نظرا لجهوده في ذمّ الإرهاب الموجه ضدّ اليهود ذاكرة مقالا للصحفية «سهام القحطاني» التي عبّرت عن استيائها من لعنة اليهود وعدم التدبّر في أسباب نجاحاتهم وتقدمّهم في شتى المجالات، ومقال الصحفي «ابراهيم الطرودي» الذي دعا للشيء نفسه هو والكاتب في جريدة الرياض «ياسر الحجازي»، وخاصة مقال «أحمد عدنان» على الموقع الإلكتروني لقناة العربية الذي قال فيه حرفيا: [على السعوديين أن يدخلوا في مفاوضات مباشرة من دون واسطة مع الكيان الإسرائيلي حسب مصالحهم الوطنية].

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث
الاختراق الرياضي الإسرائيلي للعرب

لا يقلّ التطبيع الرياضي في خطورته عن التطبيع السياسي والثقافي والاقتصادي، لحساسية هذا المجال اللصيق باهتمامات الجماهير، وللهوس الشعبي والشبابي خصوصا بالرموز الرياضية، ولذلك تسعى «إسرائيل» جاهدة لوضع قدم لها في كواليس الرياضة العربية، وترك بصمة على الملاعب والحلبات..

المطلب الأول: استمالة الجماهير الرياضية:

تعلم الدوائر الصهيونية يقينا مدى التعلّق بين الشعوب العربية وعالم الرياضة، وخاصة كرة القدم التي صارت قضية شعب، وحلم جيل، ونافذة ومتنفسا لمن سُدّت في وجوههم الأبواب، ولم يعوا لوجودهم معنى بمعزل عن مناصرة فرقهم، وتتبّع أخبارها، والوقوف خلفها أينما ذهبت، وهي ذاتها الجماهير التي تشكّل حاجزا فولاذيا في وجه المدّ الصهيوني، وجدارا صادّا لمشروعه في المنطقة، ولذلك فهي تخطط بلا هوادة لإحداث الشرخ في هذا الجدار من خلال تعزيز التطبيع الرياضي، كأحد آليات التطبيع الاجتماعي، بغية استمالة تلك الجماهير، وتعويدها على اللاعبين الإسرائيليين، والرموز الإسرائيلية، وتهوين الأمر في عيونها، وتحويلها من نقطة القوة في مقاومة الصهيونية، إلى مرتكز اختراق للتسليم والمسالمة، لتنقلب المقاومة إلى اعتراف، وتخطو بالرياضة الخطوة التي لم تخطها بالسياسة ولا بالاقتصاد، فالرياضة سبيل مباشر للجماهير، بينما السياسة والاقتصاد لعبة الحكام

والمسؤولين، والتحكّم في صانعي القرار لا يغني عن التقرّب من الشعوب، وبث السموم في عقولهم، فهم لا يفوّتون فرصة للاحتكاك، ومن ثمّ محاولة الإقناع بنزع حاجز المقاطعة.

والغالب في هذا الاحتكاك الرياضي هو الحساسية المفرطة، والتفادي قدر المستطاع ولو على حساب حصد الألقاب، سدّا لباب تطبيعي مفتوح على كلّ التنازلات، ومن شواهد التكهرب في مثل هذه المواجهات ما حدث سنة ١٩٩١م عند مواجهة منتخب كرة اليد المصري الفريق الإسرائيلي في تصفيات كأس العالم في مباراة اتّسمت بالعنف والتوتّر، حيث نزل أحد المشجعين الإسرائيليين لأرضية الميدان قبيل انتهاء المقابلة رافعا العلم الإسرائيلي، فما كان من حارس المرمى (أيمن صلاح) إلاّ أن طرح العلم أرضا ودهسه، مثيرا أزمة سياسية.

ولقد حدثت خروقات تطبيعية رياضية بالتماشي مع التطبيع السياسي منذ بداية التسعينات، كان أبرزها مشاركة المنتخب الإسرائيلي لكرة اليد في كأس العالم للشباب بقطر، ولعبه مع المنتخب التونسي في مباراة هتفت فيها الجماهير العربية في المدرجات بالموت لإسرائيل، وسماح الاتحاد الإماراتي للتنس بمشاركة اللاعب الإسرائيلي (آندي رام) بطولة دبي المفتوحة للتنس في فبراير ٢٠٠٥م، بعد أيام قليلة من توقّف العدوان الوحشي على قطاع غزة، ثم السماح للاعبة الإسرائيلية (شاهار بير) بالمشاركة في البطولة نفسها في فبراير ٢٠١٠م[1].

(١) التطبيع والمطبعون، ص١٤٦٥.

ولا تخفى خطورة هذا الجانب في مسيرة التصهين، فمتى ما تعودت الشعوب في منافساتها الرياضية على حضور الرموز الصهيونية يصبح الأمر واقعا في عيونها، وتتطوّع للقبول بوجود الكيان الصهيوني على الصعيد العالمي والإقليمي، وكما تتقبّل دخول لاعبيه ومناصريهم إلى الأراضي العربية، يأتي اليوم الذي تنتقل فيه مع فرقها إلى الأراضي الفلسطينية المغتصبة التي ترفرف عليها راية «إسرائيل»، ويقود الاحتكاك الرياضي إلى احتكاك اجتماعي، فتخفّ الحركة نحو الكيان الصهيوني بعدما كانت ثقيلة ممنوعة.

وبفهم عميق لمآلات التطبيع الرياضي صرّح حارس المرمى المصري السابق (أحمد شوبير) قائلا: بالرغم من أنّ لي وجهة نظر خاصة في أنّ الرياضة ليس لها علاقة بالسياسة، لكن الأمر مع إسرائيل يتجاوز ذلك، فالكلّ يعلم من هي إسرائيل، ويضيف: إنّ الرياضة بصفة عامة يجب أن تتمّ في مناخ ودي، وروح رياضية عالية، فكيف يتوافر ذلك مع لاعبين نعلم تماما أنهم عدوّنا الأوّل[1].

ومن باب الإحساس بالخطر الداهم، والتخوّف من المآلات السلبية، نشرت إحدى الصحف المصرية مقالا جاء فيه: «بعد اختراقه أكثر من موقع جاء الدور على الرياضة، فالأخطبوط الصهيوني يقوم بلفّ أذرعه الشيطانية حول الرياضة المصرية بعد أن تغلغل كثيرا في الاقتصاد والزراعة والثقافة، ومارس كلّ أنواع الفساد داخل مصر عن طريق ترويج المخدرات، وتزوير

(١) الأهرام المصرية، ٢٣/ ٩/ ١٩٩٤.

العملات الصعبة، ونشر الإيدز بين الشباب عبر شبكة محكمة، وهذه الأيام يحاول جاهدا الوصول إلى الشباب المصري، والخطورة أنّ الجميع نيام، ولا يدركون ما يحدث» [1].

ويعلّق المؤرخ الرياضي، ونائب رئيس تحرير صحيفة الجمهورية (عبدالرحمن فهمي) على ذلك بأنّ قضية اللعب مع إسرائيل لا تخضع لمعايير الرياضة فقط، فإذا نظرنا إليها بشكل رياضي فقط فسنطبق المبدأ الأوليمبي الشهير (إنّ الرياضة للشعوب والسياسة للحكومات)، ومن هنا فإنّ تدخّل السياسة في الرياضة خطأ أوليمبي، ولكن الأمر هنا لا يتعلّق بالحكومات السياسية، بل يتحكّم فيه عنصر أساسي من عناصر اللعبة الرياضية وهو الجمهور، وأعتقد أنه لا يمكن لجمهورنا أن يتقبّل ذلك حتى في ظل سياسة التطبيع، فالقضية لها عمق ديني وعاطفي وقومي أكبر من القوانين الأوليمبية، ويضيف: إنه لا يخفى على أحد الدور الذي يمكن أن تقوم به الألعاب الرياضية في تحسين علاقات الشعوب، وهذا ما تريده «إسرائيل» بالفعل لتحقيق مكاسب دعائية وسياسية، وليس مجرد رياضة فقط، لذلك أنا ضدّ تطبيع الرياضة حتى تعود الحقوق العربية أولاً.

وتقول إحدى الدراسات في الموضوع: «الألعاب الرياضية أصبحت أداة للسياسة الخارجية واكتساب المكانة الدولية، كما أنها تستخدم لاختبار النوايا وتحسين العلاقات بين الدول، وفي الدعاية السياسية والدولية، فقد

(١) الصهاينة في الملاعب المصرية، صحيفة مصر الفتاة، ٥/ ٣/ ١٩٩٥.

وظف (هتلر) دورة برلين عام ١٩٣٦م للدعاية للنظام النازي، كذلك استغلّت جنوب إفريقيا العنصرية الألعاب الرياضية للخروج من عزلتها، وكسر سياسة طوق المقاطعة الدولية، بينما لجأت الدول الإفريقية والآسيوية إلى استعمال الأداة ذاتها لإنكار شرعيتها، وإجبارها على إلغاء نظام الفصل العنصري، وقد حرصت «إسرائيل» على الانضمام إلى اللجنة الأوليمبية الدولية كجزء من سعيها لاكتساب الشرعية الدولية، وقد حاربتها الدول العربية في ذلك لفترة طويلة، وهدّدت بالانسحاب من هذه الاتحادات في حالة قبول إسرائيل بها»[١].

ويكفي في التدليل على انعكاسات التطبيع الرياضي على اللاعبين، والجمهور، والمجتمع ككلّ التقرير الإعلامي الذي أعقب المقابلة التي جرت في هولتدا بين الفريقين المصري والإسرائيلي، والتي سمّاها (معركة حربية)، حيث جاء فيه: «في الوقت الذي يفرض فيه المسئولون بالخارجية المصرية، واتّحاد كرة اليد حصارا من السرّية على أحداث مباراة مصر وإسرائيل التي جرت مؤخرا ضمن لقاءات دورة هولندا الودية، وكادت تنتهي بأزمة دبلوماسية، نشرت (الدستور) التفاصيل الكاملة للمباراة التي وصفها شهود عيان بأنها كانت أقرب لمعركة حربية، وأنّ اللاعبين المصريّين قاتلوا ليس من أجل الفوز، ولكن لتلقين الإسرائيليين علقة ساخنة، وإذا

(١) الألعاب الرياضية والعلاقات الدولية، محمد السيد سليم، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

كانت نتيجة كرة اليد قد انتهت بفوز إسرائيل بفارق هدفين فإنّ النتيجة الفعلية التي لعب عليها المصريون انتهت بخمسة مصابين من الفريق الإسرائيلي الذي لم يكن يعلم اتحاد كرة اليد أنه سيشارك في الدورة، حيث فوجئ المسئولون المصريون باشتراك إسرائيل بدلا من البرازيل، وبينما كانت النية تتجه لعودة الفريق إلى القاهرة، أبلغت السفارة المصرية المسئولين عن البعثة بضرورة الاشتراك، وحذرت من إثارة أزمة دبلوماسية.

ولأنّ اشتراك إسرائيل كان مقصودا، بل يمكن التأكيد على حدوث حيلة يهودية تورّط فيها الهولنديون مع سبق الإصرار والترصّد، فقد تعرّضت البعثة المصرية لاستفزازات كثيرة من جانب الأمن والمخابرات الهولندية التي تفرغ رجالها طوال الدورة لتفتيش غرف اللاعبين والمسئولين المصريين في حين كان يخضع أتوبيس الفريق لرقابة تفتيشية دقيقة خوفا من وجود متفجرات معهم.. في الوقت نفسه، مارس الصحفيون الإسرائيليون ضغوطا نفسية على اللاعبين المصريين، حيث أحاطوا بهم طوال الوقت، وطاردوهم بأسئلة من قبيل: ماهو شعوركم تجاه الشعب الإسرائيلي؟ وهل تقبلون التطبيع الرياضي؟[1].

ولا تزال القاطرة تسير بشعوبنا في اتجاه فرض الأمر الواقع بالحضور الإسرائيلي في مختلف الفعاليات الرياضية، عالمية كانت أم إقليمية، حتى يتمّ التعوّد، ومن ثمّ القبول بالأمر الواقع، وتغيير القناعات طوعا.

---

(١) معركة حربية بين مصر وإسرائيل في استاد كرة بهولندا، صحيفة العربي، ١٢/ ١١/ ١٩٩٦م.

المطلب الثاني: اختراق الأندية والمؤسسات الرياضية:

كان الرفض الفلسطيني للتغلغل الصهيوني في عالم الرياضة سابقا لزرع الكيان الصهيوني، ففي العام ١٩٤٤م قرّر الاتحاد الفلسطيني إبعاد اللاعبين والأندية اليهودية عن عضويته، في إطار الردّ على فتح باب هجرة اليهود إلى فلسطين منذ الثلاثينيات، ومنذ قيام «إسرائيل» قاطعت الأندية والاتحادات الرياضية العربية نظيرتها الإسرائيلية، وأجبرتها على الانسحاب من كافة الاتحادات الآسيوية، والانتقال إلى الاتحادات الأوربية، ولقد كان لبعض المسؤولين الرياضيين فهم عميق لطبيعة العلاقة، وحساسيتها، وخطورة مآلاتها، فرفض مثلا (صلاح سرور) مدير اتحاد كرة اليد المصري في التسعينات الدعوات المتكررة من الكيان الصهيوني لإقامة مقابلات ودورات رياضية مشتركة، وقال: «لا يمكن قبول هذه الدعوات، فلا اللاّعبون ولا الاتحاد ولا الجمهور يقبلون ذلك، فالأمر لا يمكن قبوله على أنه مجرد رياضة، بل أعتقد أنّ إسرائيل تسعى إلى شيء أبعد من ذلك، فيجب عند التعامل معها تحاشي الوقوف عند ظواهر الأشياء، فهم أخبث خلق الله» [(١)].

لكن منذ الشروع في التطبيع العلني انساقت الرياضة للسياسة، وصار للتصهين رموز داخل الاتحادات العربية تدافع عن المشاركة الإسرائيلية، وتغطي عليها ابتلاعا للسخط الجماهيري، حيث كشفت صحيفة مصرية النقاب عن اشتراك لاعب تنس إسرائيلي في بطولة مصر الدولية للتنس، ويدعى (بلوم)، وقد تستّر اتّحاد التنس المصري على اللاعب الإسرائيلي،

---

(١) صحيفة اليوم السابع، عدد: ١٢/ ٤/ ١٩٩٣م.

وادّعى أنه من جنسية كندية[1]، وغيرها كثير من الحوادث المؤسفة التي تكشف واقع الاستسلام للرغبة الصهيونية، وإلهاء الجماهير عن الحقائق في محاولة لإلغاء دورها في صنع القرار، حيث نجح الإسرائيليون مثلا في اختراق اتحادات الشطرنج، وسلاح الشيش، والكاراتيه، ونادي السيارات في مصر، واستطاعوا رفع العلم الإسرائيلي أكثر من مرّة في القاهرة خلال السنوات القليلة الأخيرة، من خلال مشاركتهم في بطولات تلك الاتحادات بتناغم واضح مع المسئولين عليها من متخلّين عن المبدأ العربي، والولاء للقضية الفلسطينية.

وخلاصة ما نصل إليه بالحديث عن التطبيع الرياضي كآلية اجتماعية ذات مآلات خطيرة أنّ:

- المحاولات الإسرائيلية للتطبيع الرياضي تتركّز على الألعاب والفرق ذات الشعبية العالية، أو ذات الرمزية في الوجدان العربي، خاصة عقب الانتصارات التي تحققها، والتي تستثمر للتطبيع الرياضي.
- التطبيع الرياضي يسير بوتيرة متناغمة مع التطبيع السياسي، والقادم أخزى وأسوأ في ظل التمادي في التنازلات.

ويستند رواد هذه المسيرة على حجج واهية يرفعونها في وجه المستنكرين، نوردها مع التعليق على النحو الآتي[2]:

---

(١) صحيفة مصر الفتاة، عدد ٢١/ ١/ ١٩٩١م.

(٢) يُنظر: الرياضة نافذة مغلقة أمام التطبيع طيلة ثلاثة عقود، محمد خيري، موقع إسلام أون لاين، ٢٣/ ٠٣/ ٢٠٠٩م.

أولاً: الخوف من العقوبات الدولية إذا ما رفضت الاتحادات العربية الرياضية مواجهة الإسرائيليين، وهي ورقة توت تغطي عورات المتصهينين الذين لا يتوانون عن توجيه الدّعوات للإسرائيليين من أجل إقامة مقابلات ودّية على أرض العرب، وخاصة مصر، وسجّل الأشراف في الميدان اعتذارات شتى عن المواجهات التطبيعية دون اكتراث بالعقوبات، فمن صميم الأخلاق مناصرة قضايا الأمة، وتقديم القدوة للأجيال في الثبات على مبدأ المقاطعة العربية للكيان الصهيوني الغاصب.

ثانيًا: المقاطعة تحرم العرب مكاسب كثيرة: وتقف مصر على رأس الدول العربية التي تتذرع بهذه الذريعة، وتحمل هذه الورقة كلما تجرأت على كسر الحواجز، واستضافت الرياضيين الإسرائيليين على أراضيها، أو أرسلت رياضييها إليهم، غافلة عن أنّ عين الخسران هو خسران الأرض والعرض، وتضييع النخوة والعزة.

ثالثًا: عدم إقحام الرياضة في السياسة: وهي ذريعة مقلوبة، فبدل ادّعاء النأي بالمشاركة الرياضية عن المواقف السياسية كان ينبغي أن تستبعد الرياضة عن سياسة التطبيع، فما ينبغي للاعب المواجه، ولا للجمهور المناصر أن ينسى الجرائم الصهيونية في حق الفلسطينيين، ولا أن يغفل عن أنّ أغلب هؤلاء اللاعبين من المجندين الذين يحملون السلاح في وجوه إخواننا المغلوبين على أمرهم.

وبين الترويج الثقافي، والعلمي، والرياضي، يقف الترويج للتطبيع السياحي، حيث دخل إلى مصر مثلا تحت غطاء السياحة حوالي ثلاثة ملايين

إسرائيلي في الفترة (١٩٧٩-٢٠١١)، وحسب بعض الدراسات فقد دخل ثلث الإسرائيليين الأراضي المصرية[1]، فالسياحة تجمع في رحابها مختلف المجالات التطبيعية الاقتصادية والثقافية والرياضية وحتى السياسية، وتقوم مؤشّرا على طغيان المادة على العرب، في مقابل تمرير الأجندات والسياسة الصهيونية بما لم يكونوا يحلمون به في أي فترة مرّت من فترات الصراع العربي الإسرائيلي.

ولا يخفى بعد كلّ هذا خطورة المآلات الاجتماعية للتطبيع المعلن بعد خفاء، فالسّير الأعمى خلف بني صهيون لن يقود العرب إلا لمزيد من الذل والعار، ولتنازلات سيكتبها التاريخ على خجل للأجيال، بعد تلاشي شعلة المقاطعة، والتخلّي التدريجي عن قضية فلسطين، والسّعي وراء المكاسب المادية، والمصالح الشخصية الضيّقة لزعماء لا يمثّلون إرادة الشعوب، والسماح لليهود بأن يسرحوا ويمرحوا على أراضينا على مرأى ومسمع منّا سفراء للثقافة والفن، ومنافسين في الرياضة، ومتجولين من خلال السياحة.

ونخلص من هذا الباب إلى التأكيد على الخطر المتربّص بالأمة من أعدائها الطبيعيين، وأذنابهم التابعين، فما نقف عليه من انزلاقات خطيرة في الأوضاع، وتنصّل واضح من المسئولية التاريخية والحضارية يدخل بأمتنا نفقا مظلما لا مخرج منه في ظل التطبيع الشامل، والتصهين الكامل، والحال يستدعي الحلّ العاجل للوقاية من مغبّات التمادي في التنازل.

---

(١) ينظر: التطبيع والمطبعون، ص١٤٩٥.

الباب الرابع
مقاومة التصهين العربي

فصول هذا الباب هي:

الفصل الأول: المناعة الدينية والأخلاقية

الفصل الثاني: المناعة الفكرية والوعي الاجتماعي

الفصل الثالث: المناعة السياسية والاقتصادية

الفصل الرابع: المناعة التعليمية والإعلامية

الفصل الخامس:

الإفادة من القوى الجماعات المضادة للصهيونية

المقاومة في حقيقتها لا تقتصر على الجانب القتالي فحسب، وإنما تتّخذ اتجاهات عديدة غلقا لأبواب الفتنة، وردّا للدخيل على أمة الإسلام، وتحصينا لها مما يسلخها عن انتمائها، «ومن ثم لابدّ من الجهاد، لابدّ منه في كل صوره، ولابدّ أن يبدأ في عالم الضمير، ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع المشهود، ولابدّ من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح، ولابد من لقاء الباطل المترّس بالعدة، بالخير المتوشّح بالعدة»[١].

وعليه فالواجب اليوم على المسلمين في مواجهة الحركة الصهيونية، والتيار المتصهين على حد سواء هو تحقيق هذه المقاومة بمعناها الواسع، عبر تجسيد المناعة الدينية والأخلاقية، وما يستتبعها من مناعة فكرية ووعي اجتماعي وإرساء المناعة السياسية والاقتصادية، ومن باب أولى التعليمية والإعلامية، مع الإفادة من القوى والجماعات المناهضة للصهيونية في تصدّيها للخطر الداهم، ووقوفها بالمرصاد لدعاة التنازل، والسلام المزيف مع كيان غاصب متغلغل في جسد الأمة رغما عنها.

* * *

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٢٤٠.

الفصل الأول
المناعة الدينية والأخلاقية

يضمّ هذا الفصل المباحث الآتية:

❋ المناعة الدينية في مواجهة تيار التصهين العربي

❋ المناعة الأخلاقية في مواجهة تيار التصهين العربي

قاعدةُ الإسلامِ، ومقتضى شهادةِ التوحيدِ موالاةُ أهلِ الإيمانِ، ومحبّتُهم، والبراءةُ من الكفرِ وأهلِه، ومعاداتُهم، ومصداقُ ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾(١).

وقد أقرَّ القرآنُ الكريمُ عداوةَ اليهودِ للمسلمين، فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾(٢)، ويشهدُ على ذلك تعاطيهم مع الدّعوة، وتربُّصهم بالمسلمين، فقد حاولوا قتلَ الرّسول ﷺ فنجاه الله منهم، وأرادوا أن يوقِعوا الفتنةَ بين الصحابةِ فسلّمهم الله تعالى منها، واستمرّ كيدُهم على مرِّ التاريخِ حتى اغتصبوا أرضَ فلسطين، ورفعوا للعيان شعارَ (أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات) سعياً لتحقيقِ عقيدتهم في أرضِ الميعاد.

وإنّ من أعظمِ المصائبِ المعاصرةِ التسلّلُ الصهيوني لأرض فلسطين، حرصاً على إقامةِ الوطن القومي على مرأى ومسمعٍ من المسلمين، بل والتقتيلُ الهمجيُّ، والتهجيرُ الممنهجُ لأهلِ الأرض تحت صمت المستسلمين، والمصيبةُ الأخطرُ منه هي تسابقُ العربِ على إرضاءِ بني صهيون، وعقد الصفقاتِ معهم سرًّا وعلانيةً مما يتعارض مع ما عهدناه عند الجيلِ الأول من بُغض من أبغضهم اللهُ، ومعاداتِهم في سبيله، قال (أبو الوفاء بن عقيل- ٥١٣هـ):

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

«إذا أردتَ أن تنظرَ إلى محلِّ الإسلامِ من أهلِ الزّمانِ، فلا تنظرْ إلى ازدحامِهم في أبوابِ المساجدِ، ولا إلى ضجيجِهم بلبّيك، ولكن انظرْ إلى مُواطأتِهم أعداءَ الشريعةِ» [(١)].

فبينما يخطط الصهاينة، ويتوسّعون في بلاد العرب من منطلق عقيدتهم التي سموا بموجبها كيانهم (إسرائيل) وهو اسم ديني واضح، كما يقنعون شتات اليهود في العالم بضرورة العودة إلى أرض الميعاد التي وعدهم الله تعالى بها، تجد شرذمة من العلمانيين من الساسة والمفكرين العرب يعتبرون الحركة الصهيونية حركة علمانية لا علاقة لها بالدين، وما كان لهذا الكيانِ الدّخيل أن يستقرَّ، ويهنأ بإقامةِ دولةٍ لولا الوهنُ الذي أصابَ المسلمين، وانخرامُ صفوفِهم بالخونة والعملاءِ والمنادين بالتطبيع والسّلامِ الدائمِ والشّامل من (المتصهينين) العرب الذين أعرضوا عن تحذيراتِ القرآن الكريم من دسائسِ اليهودِ، وترفُّعهم عن المسلمين بقولهم: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾[(٢)]، وما جبلوا عليه من نفضِ العهود ممّا ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ ﴾[(٣)]، لذلك تعتبر المناعة الدينية في طليعة وسائل المقاومة لاستفحال شرّهم، وتمدّد سلطانهم، بما تستدعيه من الوقوف على حقيقتهم التي فضحها القرآن الكريم، ومعاملتهم بما يستحقون من العداء، إضافة إلى المناعة الأخلاقية التي تحول دون خيانة الأمة مهما كانت صورها.

(١) من الآداب الشرعية، ابن مفلح، ١/ ٢٦٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٥.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٥٦.

المبحث الأول
المناعة الدينية في مواجهة تيّار التصهين العربي

لابدّ للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من التنبّه لظاهرة (التصهين) التي تجرفُ في تيّارها زعماءَ العربِ ورموزَهم فضلا عن الأذناب الذين تستعبدهم المصالحُ، ويسيرون مع اتّجاه الرّيح، فالالتزامُ الديني كما هو توحيد، وعبادةٌ نتقرّب بها إلى الله تعالى، فإنه كذلك ولاء لله وأوليائه الصالحين، وبراء من الشركِ ودعاته المفسدين، وخاصةً الكفارُ المحاربون، واليهودُ الغاصبون.

وتُكتسب المناعةُ الدينيةُ في التعاطي مع اليهودِ من خلال النظرِ في نصوص القرآن الكريم المبينة لحقيقتهم، والمحذرة من دسائسهم، والداعيةِ إلى معاداتِهم، والتفطن لما يرتكزون عليه من تسويغ ديني لتحركهم نحو هدف الوطن القومي.

المطلب الأول:
حقيقة اليهود في القرآن الكريم واستحقاقهم العداء:

ذكر القرآن الكريم بني إسرائيل، أو اليهود فيما يزيد عن الخمسين سورة منه، في عهديه: المكي والمدني، «والمتمعّن في ما ورد فيهم يجد أنّ ما ورد في القرآن المكي هو في الأغلب في صدد قصصهم السابقة للبعثة النبوية من لدن وجودهم في مصر، وبعثة موسى عليه السلام وبعدها، ومنه ما فيه إشارة صريحة إلى موقف بعضهم من الدعوة النبوية في عهدها المكي، كما أنّ منه

ما فيه إشارةٌ مطلقةٌ يدخلون في نطاقها في سياق ذكر الكتابيين، ومواقفهم من الدعوة.. في حين أنّ الوارد فيهم في القرآن المدني هو على الأغلب في صدد مواقفهم من الدعوة النبوية، مع ربطها بما كان من آبائهم من مواقف حجاج وتمرّد وانحراف بقصد تقرير توارث الجبلة الأخلاقية بين الآباء والأبناء المعاصرين، وفيه حملات لاذعة، وتقريعات عنيفة على تلك المواقف»[(١)].

أولا: حقيقة اليهود في القرآن:

فضح القرآن الكريم اليهود في معتقداتهم، ومعاملاتهم، وما تضمره أنفسهم من كيد وعداوة للمسلمين، فقال تعالى: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾[(٢)]، وهو قولٌ فصلٌ ملازمٌ لهم، في تاريخهم، ومستقبلهم، أعلنوه على الإسلام منذ ظهوره، ويتربّصون بالمنتمين إليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، غلاّ وحقداً وحسدً على الحقّ الذي أكرمهم الله تعالى به، فالمناعة المطلوبة للمسلمين إزاءهم تقوم على حقيقة ما أخبر به عنهم القرآن الكريم من سوء أدبٍ مع الخالق عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[(٣)]، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾[(٤)].

---

(١) اليهود في القرآن الكريم، محمد عزة دروزة، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م، المكتب الإسلامي، ص٣-٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤.

وكذلك ممّا استحقّوا اللعنة به من العدوان، والكذب، واقتراف المحرمات: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ ﴾[١].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ ﴾[٢].

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ ﴾[٣].

ويخاطبهم الله تعالى في القرآن الكريم منكراً لكفرهم، وموبّخاً على تحايلهم على الحقّ، ومعرّضا بخبيث ما يقترفون، فيقول: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ ﴾[٤]، كما يقول مخبراً عنهم في ذات السورة: ﴿۞وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾[٥] فالآية تسجّل عليهم خلق استحلال ما يدخل في عهدتهم من نعم وأمانات غيرهم، والافتراء في كلّ ذلك على الله تعالى، ظلما وعدوانا.

وفي كلّ ذلك، وغيره ممّا ورد في القرآن الكريم صور متنوعة لتمرّدهم على الخالق، وتحايلهم على الحقّ، وتدليسهم، وجحودهم، وموقف العداء

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٦١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧٠-٧١.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

الذي ظهر منهم تجاه الدعوة الإسلامية، وبلغوا بفسادهم حدًّا تأذت منه دول عديدة في التاريخ، وفي عالمنا المعاصر مما يطول بنا المقام عند ذكره، ويكفينا في ذلك قول أحد الغربيين عنهم: «إنّ كلّ الثورات والفوضى العالمية نظمتها وستنظمها الحكومة اليهودية السرّية العالمية ذاتها» [1]، بل إنّ اليهود أنفسهم اعترفوا بذلك، حيث جاء في مجلة الجامعة الإسرائيلية: «نصادف في كلّ التغييرات الفكرية الكبرى تقريبا عملا يهوديا، سواء كان ظاهرا واضحا، أو خفيا سريا، وعلى هذا فإنّ التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمي بجميع مجالاته، حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس» [2].

ثانيًا: الاستجابة لدعوة القرآن إلى معاداة اليهود:

لقد ابتلي العرب والمسلمون في هذا العصر بالتوافد اليهودي على أرض فلسطين، ورغم ما سبق في التاريخ من معاملة حسنة لهم، بإيوائهم، وحمايتهم، ومنحهم الحرية في دينهم وعبادتهم من منطلق احترام الأديان، والتعايش مع أهلها، إلاّ أنّ الأمر يختلف هذه المرّة، فالتقاطر اليهودي على المنطقة إنّما يأتي تنفيذا لنداء الحركة الصهيونية العالمية على ما سبق ذكره، والهدف المعلن هو إقامة وطن قومي في قلب أمة الإسلام، ومدّ الأذرع في كلّ اتجاه من أجل توسيع السيطرة، والاستيلاء على الأرض، مع عدم التواني في هدر الأرواح، وإراقة الدماء، وانتهاك الحُرمات في سبيل ذلك ولذلك فحري بالمسلمين

---

(١) هو رويسير، في (حكومة العالم الخفية) لسبيروفيتش، ص٨٩.

(٢) مجلة الجامعة الإسرائيلية، ٢٦ يوليو، سنة ١٩٠٧، ص٥٨٥.

التفطن لهذا الكيد، والثبات على العداوة التي حرض عليها القرآن الكريم، حيث نهى في عدّة مواضع منه عن موالاة اليهود، والأمن لهم، فقال:

- ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(1).
- ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(2).
- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾(3).
- ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾(4).
- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾(5).

---

(1) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(2) سورة المائدة: الآية ٥١.

(3) سورة المائدة: الآية ٥٧.

(4) سورة هود: الآية ١١٣.

(5) سورة الممتحنة: الآية ١.

• ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣ ﴾[1].

«وإنّ الحقائق التي عرض لها القرآن -وهو يكشف عن سمات اليهود- أمانة في أعناق المسلمين، وإدراك ذلك، وأداء حق الله فيه، كفيل -إذا صدقت العزائم واتخذت الأسباب- أن يغيّر مجرى الأحداث، ويعيد الأمور إلى نصابها، وعندها يملي المسلمون -بعون الله- كلمتهم على التاريخ من جديد وينحسر ما نرى من اتخاذ أمة المسلمين هزوا، وتنطّع من ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، وتسربلوا غضب الله إلى يوم الدين» [2].

وعليه يجدر بنا التحذير من الانسياق وراء المسوّغين للتطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب تغافلا عن الواقع، وليّا لأعناق النصوص، وحسبنا تدليلا على ذلك ما أملاه التوجّه السياسي المصري على مشيخة الأزهر في عهد التطبيع الذهبي، حيث قال الشيخ الراحل (محمد سيد طنطاوي) في سبتمبر ٢٠٠٥م: «لا يوجد في الدين الإسلامي ما يحرّم التطبيع مع الدول الأخرى، خاصة إسرائيل، طالما كان التطبيع في غير الدين، وفي مجالات تخدم شئون الحياة واحتياجاتها»، وبهذه الفتوى خلد عليه التاريخ وصمة اعتباره أول شيخ أزهر يدعو للاعتراف بـ«إسرائيل»، ومعاملة الصهاينة كباقي شعوب الأرض المسالمة، وزاد على ذلك بأن وقف وقفته الشهيرة مع (شيمون بيريز) مرحّبا،

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١٣.

(٢) اليهود في القرآن والسنة، د. محمد أديب الصالح، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ص٤٢.

ومصافحا في نيويورك عام ٢٠٠٨م، الأمر الذي استهجنه العرب والمسلمون، وأثار عليه أهل العلم، والفتوى، حيث اعتبرته رابطة علماء فلسطين مواليا للكفار الغاصبين، واستنكرت موقفه التطبيعي.

«ولا شكّ اليوم أنّ المؤرق الوحيد لإسرائيل هو الصحوة الإسلامية التي سوف تفسد عليها مخططاتها -إذا ما تحققت تماما بالرؤية القرآنية- لذلك فهي تحاول محاصرتها على مختلف الأصعدة، وتغري بسل حركتها، ومحاربتها، وتوقع بينها وبين الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي، وتخوفها منها، وتخوف العالم كله من عودة الأصولية، وخطرها على الحضارة العالمية، وتحاول الامتداد بذراعها لتطول كل عناصرها ومؤسساتها» (١).

المطلب الثاني:
التفطن للمخططات الدينية للصهيونية:

إنّ من ضروريات تحقيق المناعة الدينية إلى جانب فهم حقيقة اليهود، وطبيعة علاقتهم بالإسلام منذ نزوله، التفطّن لمخططاته ذات الطابع الديني، ففي الوقت الذي يستبعد فيه الزعماء والقادة المسلمون الدين الإسلامي من الحكم والاحتكام في السّلم والحرب، بدعوى فصل الدين عن الدولة تارة، وعدم مواكبته للعصر تارة أخرى، نجد رموز الحركة الصهيونية يلحّون على الأساس الديني لمشروعهم الاستيطاني، حيث يقول (بن غوريون) -أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني-: «نحن لا نهزم العرب ولا مرّة.. العرب

(١) اليهود والتحالف مع الأقوياء، من مقدمة عمر عبيد حسنة، ص٢٣.

هم الذين انهزموا أمامنا كل مرّة، وبدون التفوّق الرّوحي لم يكن شعبنا يستطيع البقاء ألفي سنة في الشتات، وأنه لا معنى لإسرائيل بغير القدس، ولا معنى للقدس بغير الهيكل»، وبعث برسالة إلى (ديغول) جاء فيها: «إنّ التوراة هي أساس جميع الأعمال التي تتخذها إسرائيل»[1].

وبمنتهى المرارة يشهد المفكر الراحل (محمد الغزالي) رحمه الله على هذه المفارقة فيقول: «لقد أحسست كربا شديدا وأنا أسمع قائد جيوش اليهود يقول: نحن نقاتل من أجل التوراة واليهودية وأرض الميعاد، يقولها دون غموض ولا استحياء ولا توجّس، على حين تنطبق شفاه الزعماء العرب والمسلمين فلا يجرأون على إرسال مثل هذا التصريح في الدفاع عن الإسلام والقرآن والأمة الكبرى المكروبة تحت وطأة ألف مهاجم من الشرق والغرب»[2]، ويقول في موضع آخر: «لقد رأيت بعيني صور الجنود يحملون التوراة في اليد اليمنى، والمسدسات في اليد اليسرى، وهم على صهوات دباباتهم المنطلقة بهم في ربوعنا المقفرة، وأرضنا الذليلة الموحشة»[3]، وما ذلك طبعا إلاّ لأنهم جعلوا الحاخام على رأس الضابط، والتوراة دستور الحياة، بينما يستبعد عندنا القرآن ويحشر في الزوايا والمساجد التي تعطّل بدورها عن القيام برسالتها، ويحارب رجاله من الداعين إلى الجهاد، والمقبلين عليه

(١) درس النكبة الثاية، ص٧٢.

(٢) حصاد الغرور، ص١٢٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٥.

فيقتلون، ويسجنون، ويوضعون في الإقامات الجبرية بدعوة الإخلال بالأمن العام، وبتهمة الإرهاب التي تخول ممارسة كل التجاوزات في حقهم.

وينبغي الحذر خاصة مما يشرف عليه رموز الصهيونية ممّا يعرف بمؤتمرات توحيد الأديان، وتقارب الأديان التي نشطت بعد (اتفاقية كامب ديفيد على وجه الخصوص، فالاختراق قد وصل حتى إلى مشيخة الأزهر، حيث جاء في مقال لمجلة السنة[1]: «الصهاينة لا يعملون عشوائيا، بل هناك مخطط منظم لتنفيذ هذا الغرض، بدأ في النصف الأول من شهر ديسمبر عام ١٩٩٧م عندما استقبل شيخ الأزهر الدكتور (محمد السيد طنطاوي) حاخام إسرائيل الأكبر «لاو» في خطوة اعتبرها كثيرون بداية موجة التطبيع الديني للأزهر مع «إسرائيل»، ورغم ظهور شيخ الأزهر يقبل الحاخام «لاو» بكل مودّة، مع ما أثاره فينا من مواجع، إذ أنّ هذا يحدث والمسجد الأقصى أسير يستصرخ فيا النخوة الإسلامية، إلا أنّ هذه المحاولات واللقاءات استمرّت، بل وتعدّدت أوجه التطبيع مع إسرائيل واليهود بصفة عامة، حيث استقبل شيخ الأزهر حاخام فرنسا ورئيس المجلس اليهودي بها، ثم باستقباله لوفد جمعية السلام اليهودية الأمريكية التي ضمّ وفدها وقتذاك أعضاء في الموساد الإسرائيلي مثل إلياهو بن اليسار أول سفير لـ «إسرائيل» في مصر، وكذلك سفير «إسرائيل» الحالي في الدانمارك، ولعل صورة الزفزاف آنذاك وكيل الأزهر وهو يحتضن ويقبل الحاخام اليهودي أكدت بما لا يدع مجالا للشك أن اختراقا صهيونيا كبيرا قد تم للمؤسسة الإسلامية الأولى».

(١) الاختراق الصهيوني للأزهر، مجلة السنة، العدد ١١١، رمضان ١٤٢٢هـ.

المطلب الثالث:
التعويل على الدافع الديني قبل التاريخي في الدفاع عن فلسطين:

لقد استطاع اليهود أن يجتمعوا من مختلف بقاع العالم، من أكثر من سبعين قومية ليحقّقوا الهدف المشترك بالعودة إلى أرض الميعاد، بينما تهيم أمّتنا في شتاتها رغم وحدة الرقعة الجغرافية، واتّحاد المصلحة الدينية والدنيوية، وكان حريًّا بها أن تحقّق الوحدة لمواجهة الأعداء، بدل الانشغال بالقضايا الجانبية، والخلافات الهامشية.

تعاظم نطاق التعويل على الناحية التاريخية في الدفاع عن أرض فلسطين على حساب الدافع الديني الذي يعتبر الأساس في مقارعة الغاصبين، وإقامة الحجة عليهم، وما ذلك إلا للتخلّي عن الجهاد، واستشراء الوهن في جسد الأمة، ولذلك يرى بعض الباحثين الأولوية لاعتماد الناحية الدينية، لما تجرّه علينا ورقة التاريخ من أمور في طليعتها[١]:

- أنّ رفع الشعار التاريخي في قضية فلسطين، يقابله اعتبار المسلمين الذين فتحوا الأندلس معتدين، وغاصبين، ومن ثمّ يقتنع البعض بأنّ إلغاء هذه يقتضي إلغاء تلك، ولذلك فإنّ واجب تحرير فلسطين لا يقوم على فكرة أنّ العرب أول من سكنها، وإنما لقداستها، واحتوائها على المسجد الأقصى المبارك.

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٨١.

● المطلب التاريخي مشترك بين المسلمين واليهود، وكما يطلب المسلمون، يطلب اليهود بناء على التاريخ الغابر للأمتين على أرض فلسطين.

● أثبت الواقع أنّ الناحية التاريخية في المطالبة بأرض فلسطين إذا تجرّدت عن الناحية الدينية تكون قاصرة عن بث الحمية وروح البذل الدائم الذي يجسده الجهاد، والشاهد في ذلك تنازل أصحاب الحق التاريخي مع الوقت عن هذه المطالبة ليقبلوا بجزء صغير منها ضمن شروط تضيق على أهل البلاد الحركة، بينما لا يفكّر دعاة الحق الديني في التنازلات، ولا يتراجعون في كل الظروف، فجد اليوم من أعلنوا إسلامية فلسطين، وإسلامية حقهم فيها، ثابتين على المبدأ ومطالبين بحقهم كاملا غير منقوص، ليستعيدوا الأرض المقدسة، وليرفعوا فوقها راية لا إله إلا الله، فاستعادتها جزء من العقيدة، والعقيدة أغلى من الأنفس، وأولى بالبقاء.

ولنجاعة المناعة الدينية في صدّ التأثير الصهيوني، وممارسة الضغوط المفضية إلى القبول بالأمر الواقع، قال (بن غوريون): «نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلا ثم بدأ يتململ» [(١)]، كذلك قال (بيغن) عقب معاهدة السلام مع مصر: «إنني لن أطمئن على معاهدة (كامب ديفيد) وملحقاتها مع مصر إلا بعد أن يتم القضاء على الحركات الإسلامية المتعصبة في مصر بشكل خاص»[(٢)].

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ص٦١.

(٢) قبل أن يهدم الأقصى، عبد العزيز مصطفى، ص٢٠.

كذلك قال (شامير) في مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١م: «لابدّ من تغيير ثقافتكم العدائية نحو اليهود، فعلى مراحل تنتهي كلّ شعارات العداء لليهود، بل ينتهي حتى كل ما يثر العداء دينيا»، كما نشرت إحدى الصحف اليهودية مقالا جاء فيه: «إن على وسائل إعلامنا ألاّ تنسى حقيقة هامة، هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أنا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل، وبأيّ أسلوب »[(١)].

وإنّ في طليعة أسباب الهزيمة العربية في مواجهة اليهود تغييب الهدف الديني، ورفع شتى الشعارات المحدودة النطاق والغرض، لذلك يقول بعضهم: «حروب العرب في مواجهة اليهود ليست جهادا في سبيل الله، وليس فيها شيء من مقوّمات الجهاد، وهي قتال ليس فيه أدنى مقومات النصر وأسبابه، وبالتالي فإنّ كلّ ذي بصيرة لا يعجب من نتائج هذه الحروب.. فالنصر حليف المسلم العامل على إعلاء دين الله في الأرض، وإن هُزم المسلم فإنما يكون بسبب من عند نفسه»[(٢)].

---

(١) يديعوت احرونوت، ١٨/ ٣/ ١٩٧٨م، من كتاب (صراعنا مع اليهود في ضور السياسة الشرعية)، محمد شبير، ص١٠٦.

(٢) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٢٩٤.

ثم يفصّل فيقول: «الحروب التي دارت بين العرب واليهود هي حروب بين فريقين: أحدهما يحمل عقيدة فاسدة وأخذ للحرب عدّتها، فأعدّ للمعركة العدّة اللازمة، ورفع معنويات جنده، وربطهم بعقيدته الباطلة، والفريق الآخر لا ينتمي إلى عقيدة، بل تخلّى عن عقيدته ودينه الحق، ورفع شعارات لا تدفع صاحبها إلى استبسال ولا إلى موت، وتخلّى عن كل أسباب النصر، فلا هو أعد عدّة، ولا هو أعزّ جنده فأنى ينتصر؟»[1].

وتأكيدا على ضرورة التعبئة الإيمانية في المعركة القائمة يقول الدكتور (يوسف القرضاوي): «لابدّ من تنمية روح الإيمان، وعقيدة الإيمان، وأخلاق الإيمان في الأمة التي يراد إعدادها للجهاد، فالإيمان هو السلاح الأول في معركتها، وأمة بلا إيمان ستنهار لأول ضربة، وتخر صريعة لأول صدمة، فالإيمان هو الذي يقاوم اليأس في قلوبها، والخلل في صفوفها، والطراوة في حياتها، والوهن في نفوسها، وأوّل الوهن حب الدنيا وكراهية الموت، والأمة التي تريد أن تحيا لابدّ أن تحرص على الموت حتى تستحق أن تعيش»[2]، فبعقيدة الإيمان انتصرت أمتنا على أوربا في حروبها الصليبية العاتية، وفي حروب أخرى كان سلاحها فيها اليقين في نصر الله تعالى، واليقين في الحق الذي يجاهدون في سبيله، رغم ما كان يظهر من تفاوت القوة مع الأعداء.

***

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٢٩٥.

(٢) درس النكبة الثانية، يوسف القرضاوي، ص٣٠.

المبحث الثاني
المناعة الأخلاقية في مواجهة الإفساد الصهيوني

لقد صرّح اليهود في بروتوكولاتهم بما يعملون عليه من هدم الأخلاق، وشر الفساد، حيث جاء في البروتوكول التاسع منها: «يجب أن توجّهوا اهتماما خاصا في استعمال أساليبنا للقضاء على الأخلاق الخاصة بالأمة التي تعملون بها..» [1].

ولذلك فإنّ مقاومة واقع التصهين العربي والعالمي تنطلقُ بالأساس من المناعة الدينية التي تكفّل القرآنُ الكريم بترسيخها في العقول والنفوس، توعيةً بحقيقة اليهود، وطبيعة علاقتهم بالمسلمين، وخبث مخططاتهم المتربصة بالعالم بأسره، والمناعة الأخلاقيةِ التي تحول دون خيانة الأمّة بالتوجه على خلافها، والأمان لأعدائها، والتعامل معهم بما يخدم المصالح الخاصة على حساب مصلحة الأمّة، فرأس الأخلاق في هذا الميدان هو الوفاء للأمة، والنأي عن الخيانة، مهما كانت درجتها، مع الاعتزاز بالانتماء، والثبات على المبادئ.

وقد شهد بهذا الجانب من الإفساد اليهودي الصهيوني أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية (جورج واشنطن)، والرئيس (بنجامين فرانكلين) حيث قال في خطاب له عام ١٧٨٩ عند وضع دستور أمريكا محذرا الشعب الأمريكي من اليهود: «في كلّ أرض حلّ فيها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي، وأفسدوا الذمة التجارية فيها، .. إذ لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، ص٢١٦.

بنصّ الدستور فإنّ سيلهم سيتدفق إلى أمريكا في غضون مائة سنة إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا»[1].

ولم نجد في ختام هذا الفصل نصيحة أجمع، ولا أوعى من حديث الدكتور (عمر عبيد حسنة) في هذا الشأن إذ يقول: «وأعتقدُ أنّ المساحة التعبيرية الكبيرة والمتكرّرة التي أعطاها القرآن لتاريخ بني إسرائيل، والتي تحكي عمليا قصة وتاريخ النبوة مع البشر، في مجال العقيدة، والعبادة، والسلوك، يمكن أن تعتبر منجما فكريا لا ينضب، للبيان، والهدى، والموعظة، والوقاية للأمة المسلمة، التي أورثت الكتاب، وانتقلت إليها القيادة الدينية للعالم بعد بني إسرائيل، إضافة إلى ما قدّمته السيرة والتاريخ الإسلامي بشكل عام من مختبرات وتحليلات عملية لشتى صور التعامل، من ألوان الحوار، والمجادلة، والمباهلة، والمشاركة، والمعاهدة، والمواجهة.. مما لم يدع استزادةً لمستزيد»[2].

فبقدر التمسّك بهدي القرآن الكريم، والتخلّق بأخلاقه يبتعد الفرد المسلم، والجماعة المسلمة عن الفساد والإفساد في الأرض، ويفوّت على الصهاينة وسائر الجماعات المفسدة في الأرض فرصة استغلاله لتحقيق أهداف النيل من الأمة من خلال استهداف شبابها أخلاقيا، وزعزعة نفوسهم بتقزيم قضايا الأمة، ودفعهم إلى التخلّي عنها، وبيعها بالرخيص.

***

(١) حكومة العالم الخفية، سبيروفيتش، ص٢٩ وما بعدها.

(٢) اليهود والتحالف مع الأقوياء، من مقدمة الدكتور عمر عبيد حسنة، ص١٤.

الفصل الثاني
المناعة الفكرية والوعي الجماهيري

<u>مباحثه:</u>

❊ تكثيف التأليف في موضوع الصهيونية

❊ تنظيم الملتقيات والمؤتمرات

❊ إنشاء المراكز التثقيفية والتوعوية لصالح الشباب

تتعدّد وسائل ومحاولات اليهود والصهاينة للتغلغل الفكري في المجتمعات المسلمة، فيسعون لزلزلة ثوابت المسلمين، والتأثير فيهم بما يقودهم لتقبّل الأمر الواقع، والذهاب بعيدا في التمكين للعناصر والمؤسسات الصهيونية في المجتمعات العربية والمسلمة، حيث يعملون على إنشاء الأكاديميات العلمية اليهودية في بلاد الإسلام، ونشر الكتب، وإقامة المؤتمرات، والإغراء بتغيير مناهج التعليم، وهو ما أفصح عنه (موشيه ساسون) ثاني سفير إسرائيلي بمصر في محاضرة له بجامعة تل أبيب ضمن عرضه لمخطط تلقين المصريين مبادئ السلام: «فالسلام الذي نحن بصدده يحتاج إلى سنوات عديدة من الرعاية الخاصة، والحرص الشديد، والمواظبة المتصلة بهدف تقوية عوده عن طريق اقتلاع واستئصال المفاهيم السلبية، والأفكار المسبقة التي عفا عليها الزمن»[1].

المبحث الأول
تكثيف التأليف في موضوع الصهيونية

مهما بدت لنا المؤلّفات في مجال الصهيونية كثيرة فهي قليلة بالنّظر إلى حجم الخطر، والمسئولية الحضارية في التصدي له، وبالقياس مع حجم ما يكتبه الأعداء عنّا، لذا ينبغي الإكثار من التأليف بمختلف أساليبه وطرقه أداء للأمانة، وكشفا للحقائق.

(١) مخاطر الوجود اليهودي، ص٣٨.

أولا: نشر المقالات:

بدأ هذا النشاط مبكرا، فبعد ثورة تركيا الفتاة[1] ١٩٠٨م تأسست في فلسطين أربع صحف جعلت التصدّي للمشروع الصهيوني أولى اهتماماتها، حيث أسّس (حنا عبد الله العيسى) سنة ١٩٠٨م صحيفة «الأصمعي» في يافا، وحملت منذ بداية صدورها موقفا نقديا من المهاجرين اليهود للأسباب ذكرتها هي: «إلحاقهم الضرر بأبناء البلد، والإساءة إليهم باستنادهم إلى الامتيازات الخاصة بالدول الأجنبية في تركيا، وإفسادهم قيم الحكام المحلّيين، وحملهم على الخيانة، إضافة إلى ذلك أنهم معفون من غالبية الضرائب والخراجات التي تتكدّس على سكان الدولة، ومنافستهم لبناء البلد في العمل، وتضييقهم عليهم بأسباب معاشهم، ولم يستطع السكان الصمود في وجه منافستهم» وقدمت «الأصمعي» اقتراحات في اتجاهات مختلفة للوقوف بصمود في وجه هذه المنافسة، بالدّعوة إلى تطوير النشاط الداخلي، وتفضيل المحلي على الأجنبي.

ونجيب نصار اللبناني (١٨٦٥-١٩٤٩) صحيفة «الكرمل» في حيفا، والتي حملت لواء المقاومة الفكرية، وحملت مساهمات نوعية في نشر الوعي عن الصهيونية، وكشف مخططاتها ونشاطاتها التخريبية في جسد الأمة العربية،

(١) جمعية تركيا الفتاة حركة المعارضة لحكومة السلطان العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد، قامت بثورة على ذلك الحكم (١٩٠٨)، وأجبرت السلطان على إعادة دستور عام ١٨٧٦، إلا أنّ السلطان قام بثورة مضادة (١٩٠٩)، الأمر الذي أدى إلى انقلاب عسكري بقيادة ضباط من تركيا الفتاة، وإلى خلع السلطان عبد الحميد، وتنصيب أخيه محمد رشاد مكانه.

وركّزت كثيرا على التعريف بمؤسساتها، وأساليب نشاطها، بالاستناد إلى الموسوعة اليهودية، مكرّسا صحيفته للتصدي للنشاط الصهيوني بأبعاده الفكرية والسياسية والعملية، مع رفع مطالب وقف الهجرة إلى فلسطين، ومنع بيع الأراضي إلى اليهود، وهي جهود كللت بتراجع الحكومة عن بيع أراضي الجفتلك (الأميرية) في غور بيسان وأريحا (١٩١٣)، وقد تعرض للمطاردة والاعتقال من السلطات العثمانية والبريطانية لاحقا.

وفي سنة ١٩١٢م أسّس (سعيد جار الله) صحيفة «المنادي»، و(عيسى العيسى) صحيفة «فلسطين» التي لعبت دورا مهما في مقاومة الصهيونية والاحتجاج على نشاطها في فلسطين، وخاصة بتصاعد وتيرة الهجرة اليهودية الثانية إليها قبل الحرب العالمية الأولى، وقد وجهت هذه الصحيفة نقدا شديدا للمؤتمر العربي الأول ١٩١٣ في باريس، لأنه ركّز على مسألة الاستقلال الذاتي في مداولاته، ولم يول اهتماما كافيا للمسألة الصهيونية فقد كان الاهتمام الأكبر يدور حول العلاقة بين الأمة العربية والدولة العثمانية، الأمر الذي حسمته الحرب العالمية الأولى.

ونظرا للتأثير المحسوس لهذه الصحف في التوعية بمخاطر الصهيونية، والتحذير من مخططاتها فقد واجهت حربا ضروسا، حيث نشطت الأوساط الصهيونية لتوقيفها عن العمل، فأغلقتها الحكومة العثمانية مرارا، وكذلك الأمر في ظل الانتداب البريطاني.

وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى زار (جورجي زيدان) فلسطين، وكتب عن مشاهداته هناك في مجلة الهلال (١٩١٤)، تحت عنوان «الإسرائيليون

في فلسطين»، كما قام (محمد الشنطي) صاحب صحيفة «الإقدام» القاهرية بجولة في فلسطين رصد من خلالها مواقف المرشّحين للبرلمان العثماني من الصهيونية.

وفي المقابلة مع المربي (خليل السكاكيني) بتاريخ ٢٩/٠٣/ ١٩١٤ قال: «إنّ الصهيونيين يريدون أن يمتلكوا فلسطين، قلب الأقطار العربية، والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بإفريقيا، وهكذا يبدو أنهم يريدون كسر الحلقة، وتقسيم الأمة العربية إلى جزأين للحيلولة دون توحيدها، فعلى الشعب أن يكون واعيا إذ أنه يمتلك أرضا ولسانا، وإذا شئت أن تقتل شعبا فاقطع لسانه، واحتلّ أرضه وهذا بالضبط ما يعتزم الصهيونيون أن يفعلوه».

وتوفر لنا الصحافة العربية مقياساً هاماً جداً لتفحّص موقف الجماعات العربية المختلفة من الصهيونية. وقد ذكرنا المنشورات العربية في المراكز خارج حدود فلسطين، مثل بيروت والقاهرة وباريس. وعلى مسافة أبعد، ومنذ ١٩١٠م بدأت «مرآة العرب» صحيفة المهاجرين العرب السوريين في نيويورك بنشر مقالات ضد الصهيونية.

وفي أواخر ١٩١٠م تركزت غالبية الدعاوى العربية الأولى ضد الصهيونية، ونشرت على يد (شكري العسلي) في رسالة مفتوحة، بقلمه، ظهرت في صحيفة «المقتبس» بدمشق، وكذلك في صحف أخرى مثل «الكرمل» في حيفا.

واستمرت المسيرة الصحفية للمناوئين للصهيونية، والمحاربين لممارساتها، مستثمرة مختلف القوالب من حوار وتحقيق وعمود نقدي، ومقالة هادفة لبيان حقيقة الكيان الصهيوني، والتنبيه لدسائسه، وفضح ألاعيبه، والتحذير من خطره على الأمة، بل حتى الصحف الغير المتخصصة فيها الكثير من الوقفات مع القضية الفلسطينية، ومؤشرات التصهين تفاعلا مع الأحداث المستجدّة.

وإذ نتحدّث عن المناعة الإعلامية التي تحقّقها الكتابات الصحفية فلا نحصرها في الصحافة الورقية، بل نتوسّع بها إلى ما أحدثته الثورة التكنولوجية من الإصدارات الرقمية استغلالا لشبكة الانترنت التي أتاحت إطلاق مئات المواقع المدافعة عن الحق المغتصب في فلسطين، ناهيك عن النشاط الحثيث الذي يتجسّد عبر مواقع التواصل الاجتماعي ترويجا لحملات المقاطعة، ودعوات الصمود، وتوضيحا للحقائق بما يقف في وجه الأقلام المأجورة، ويفسد عليها تدليسها للحقائق، وتدجينها للعقول.

ثانيا: تأليف الكتب:

لقد ظهرت المؤلفات المحذرة من الحركة الصهيونية، والمحرّضة للعرب على مناهضتها في مرحلة مبكّرة من تاريخ الصراع العربي الصهيوني، فإلى جانب المقالات الصحفية المحذّرة من الحركة الصهيونية، ومراميها الخبيثة، ظهرت كتابات تاريخية وأدبية تحذّر من الصهيونية، وتكشف أسرار مخططاتها في المنطقة، ومنها كتاب «الساحر واليهودي» لإسعاف التشاشيبي

(م١٩١١)، و«فتاة صهيون» لمعروف الأرناؤوط، و«تاريخ الصهيونية» لمحمد روحي الخالدي (١٩١١) الذي أوضح الهدف الحقيقي لهذه الحركة في إقامة دولة يهودية في فلسطين، منبّها إلى مخاطر نشاط المستوطنين في المنطقة، وكذلك الشيخ (محمد رشيد رضا) الذي حذر من مخاطر الصهيونية على المسلمين في المقالات التي كان ينشرها بمجلة «المنار»، كما أشار «نجيب عازوري» في مقدمة كتابه «يقظة الأمة العربية» إلى أخطار الصهيونية على الوطن العربي، محذرا من الصراع الدموي الذي سينجم عن الإصرار على غرس الكيان الصهيوني في فلسطين، وتوالت المؤلفات بشأن حقيقة الصهيونية، وخفايا مخطّطاتها بما أحدث وعيا جماهيريا ملموسا بالخطر الداهم، والعدوّ الجاثم على مفاصل الأمة، ولذلك: «فإنّ نشر كتاب إسلامي أصيل، يحسن عرض الإسلام أو جانبا منه، ويكشف عن مكنون جواهره، ويبرز جمال تعاليمه، ونصاعة حقائقه، كما يفضح أباطيل خصومه، وتعميم مثل هذا الكتاب على نطاق واسع جهاد في سبيل الله»[1].

ونقف من كتابات المعاصرين على جهود المفكر الراحل (عبدالوهاب المسيري) الذي شرّح الظاهرة في مختلف جوانبها وأبعادها، ووضع الموسوعات، والأجزاء والدراسات، ومئات المقالات الواقفة على حقيقة الصهيونية، وطبيعة الدولة المعلنة، ومرامي التطبيع..كذلك يبرز جهد مشكور للدكتور (رفعت سيد أحمد) عبر موسوعته الضخمة (التطبيع والمطبّعون) التي رصد فيها الحالة المصرية منذ توقيع اتفاقية (كامب ديفيد)، ومعاهدة السلام في

(١) فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، ٢/ ٢٨٨.

١٩٧٩م، وإلى غاية العام ٢٠١٤م، وللمؤلف نفسه كتاب قيّم مناهض للتطبيع بعنوان (اختراق العقل المصري) يضع اليد على مداخل الصهينة ووسائلها، مستثمرا الوثائق والوقائع، لكشف المؤامرات الفكرية ذات الرعاية الأمريكية، والدفع الصهيوني في سبيل إغراء المصريين على وجه الخصوص بالتعاطي الفكري، والتبعية المموهة بفهم الآخر، والاقتراب من ثقافته من خلال البحوث المشتركة التي تمارس الاختراق بينما تدّعي التقارب، ليدعو في خاتمة بحثه إلى تنشيط وتفعيل المراكز الفكرية العربية للوقوف في وجه هذا التيار المتعاظم، وتسخير أهل العلم والفكر في هذه المواجهة الحضارية التي تذهب بعيدا في عالم الفكر والثقافة لممارسة غسيل الأدمغة.

ولا يخرج عن هذا النطاق بحثنا هذا، فقد دفعنا الوهن العربي المشهود، والتحوّل السريع إلى جهة المسالمة الخاذلة للأمة إلى تغيير المسار من التركيز على طبيعة الصهيونية إلى تشريح ظاهرة التصهين العربي، ودوافع رموزه، والشبهات التي يتحججون بها، مع التحذير من المآلات، واقتراح سبل المناعة من الانجراف مع هذا التيار.

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني
تنظيم الملتقيات

تؤدي الملتقيات دورا حساسا ومؤثرا في تشريح قضايا الأمة، وملامسة أدوائها، والبحث عن العلاج بإسهامات أهل العلم والفكر المتخصصين، ويخدم تفعيلها، وأخذ توصياتها الأمة إلى حد بعيد، فقد دأب العلماء المسلمون المنضوون تحت راية الدعوة والتبليغ الأمين لما يعلمون على حضور هذه الملتقيات المحلية والعالمية، والإسهام فيها بما أوتوا من علم في المسائل الفقهية والعقدية والحضارية بكلّ ما تحمله من معاني الحث على النهوض، وبيان أمراض كلّ مرحلة، وسبل تجاوزها على ضوء التذكير بمآثر السابقين، وركائز السؤدد، والتحذير من المكر اليهودي العابر للأزمان بأثواب متجدّدة.

ورغم كثافة الملتقيات المنعقدة هنا وهناك بمبادرات المجامع الفقهية والمؤسسات الدعوية إلاّ أنّ المعوّل عليه فيها هو التفعيل، وتجسيد التوصيات التي تسفر عنها على أرض الواقع، وجعلها ملزمة وليست مجرد تقاليد علمية سنوية أو فصلية لحشد العلماء والمفكرين، واستكتابهم في محاور محددة، خاصة في ظل التطور الحاصل في الوسائل والآليات المستهدفة للإسلام والمنتمين إليها، والمخططات الخبيثة لسلخهم عن هويتهم، وتشويش عقولهم، تحت غطاء العولمة، والقرية الصغيرة، والدين البديل، والحوار الحضاري وغيرها من الشعارات الزائفة.

* * *

المبحث الثالث
إنشاء المراكز الإسلامية لاحتواء الشباب

لا يفتأ التعويل على عنصر الشباب يشغل المفكرين، والمربين لما تؤديه هذه المراكز من وظيفة توعوية وتربوية تنتشل خزان القوة في الأمة من مخالب المتربصين، و«إن إنشاء مراكز إسلامية واعية في داخل بلاد الإسلام نفسها، تحتضن الشباب المسلم، وتقوم على توجيهه الوجهة الإسلامية السليمة، وحمايته من الإلحاد في العقيدة، والانحراف في الفكر، والانحلال في السلوك، وتعده لنصرة الإسلام ومقاومة أعدائه، جهاد في سبيل الله.. فدفع المال في هذه الوجوه يُعد قمة الجهاد بالمال في سبيل الله لأن السير في هذه الأمور هو السبيل الوحيد للوصول إلى أمة الإسلام المنشودة، وإلى دولة الإسلام القوية العادلة»[1].

ورغم تسجيل خطوات في هذا الصدد من طرف المؤسسات الدعوية والخيرية العاملة في الميدان في مختلف بقاع العالم، وخاصة في البلاد الغربية على سبيل التحصين والاحتضان تظل الجهود قليلة بالنظر إلى الإمكانيات المتوفرة من العقول المفكرة، والهياكل المتاحة، مما يعاب على أهل الميدان تقاعسا، وتفريطا، وتهوينا من شأن الخطر الداهم، والتصدي المطلوب، فالشباب المسلم في أرض الإسلام كما في خارجها يعاني من التناقض في حياته،

(١) أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة، ص٢٣٢.

ويقع فريسة سهلة للمتربصين من المعادين لهذا الدين، خلف أقنعة متغيرة بحسب الأحوال، وبخطاب عصراني يغري ويخدع، ولا يواجه إلا بالحصانة الفكرية والعقدية.

* * *

الفصل الثالث

المناعة السياسية والاقتصادية

يقوم هذا الفصل على مبحثين رئيسين:

❊ المناعة السياسية ضد التصهين

❊ المناعة الاقتصادية ضد التصهين

في مقابل الخطر الذي يجسده التطبيع السياسي والاقتصادي، والمآلات الوخيمة التي يقود إليها، يستدعي الوضع التركيز الجدي في توفير المناعة السياسية والاقتصادية لتحاشي الوقوع بين مخالب الصهيونية وأشياعها من القوى العالمية، وتفصيل ذلك في الآتي:

المبحث الأول
المناعة السياسية

أولا: الحفاظ على السيادة:

يستهدف التخطيط الصهيوني في الأمة بأسرها روح الانتماء، والمناصرة للقضايا العادلة، وخاصة قضية فلسطين المستمرة عبر الأجيال، تشكيكا في عدالتها، وإغراء بالتنازل عنها، ولكن الأحرار يظلون دائما على العهد، وتظل ضمائرهم صاحية في الدفاع عن الحق، والثبات على المبادئ، وكدليل على ذلك الكويت التي عاش فيها مئات الآلاف من الفلسطينيين في العقود الماضية، وتم تهجيرهم جماعيا بعد وقوف منظمة التحرير إلى جاب صدام حسين عام ١٩٩٠م إلا أنّ الكويت لا تزال تشرف على منظمة المقاطعة العربية لإسرائيل، ولا تزال القضية حاضرة في أذهان الكويتيين، حيث يلعب البرلمان بتركيبته الإسلامية الغالبة دور العجلة التي تمرر من خلالها هذه المشاعر، وتحافظ على المبادئ التي لا تنازل عنها على غرار رفض فتح سفارة إسرائيلية، ومنع دخول الأشخاص الذين تربطهم جوازات سفرهم بإسرائيل، والإعلان عن نيتها فتح سفارة لها في الأراضي الفلسطينية هذه السنة (٢٠١٨).

ثانيا: التفطن للمخططات الصهيونية:

الغفلة داء في هذه الأمة المستهدفة لما كرّمها به الله تعالى من الدين الخاتم، والنبي المرسل رحمة للعالمين، والتجديد سمة المخططات المغرضة المحاكة ضدها، ولذلك كان لزاما على أبناء الإسلام التفطّن للمخططات الصهيونية المتجددة، والنظر في الواقع الذي تتسارع فيه وتيرة التأثر بالخطاب الاستسلامي المتمسح بمسوح السلام والتعايش، «ويحدثنا التاريخ أنه خلال الفترة الممتدة من (١٩٧٩-٢٠١١) لم يكن هدف الكيان الصهيوني من التطبيع مع مصر تحقيق نوع من التعاون المشترك في كافة المجالات تأكيدا لانتهاء حالة الحرب، ولكن كان الهدف الإسرائيلي هو اختراق مصر تحت مسميات التعاون المشترك من أجل تخريب بنية مصر، ونخر قواها الأساسية، وبقائها دولة مثقلة بالديون، وبأعباء التنمية، وبالبطالة، وبالأوبئة الاجتماعية، وقد نجحت إلى حدّ ما في تحقيق ذلك»[١].

ولذلك يستلزم الأمر متابعة الحدث العالمي، وكل ما تعلق بالكيان الصهيوني من جوانب السياسة والاقتصاد والثقافة، من خلال النظر في علاقاته بالقوى العظمى، وما يريد أن يصل إليه من علاقات مع الدول العربية، لينبه إلى مغباتها، ويحذر من مآلاتها، ويجدّد العهد مع المبادئ المعلنة رفضا لهذا الكيان المغروس في جسد الأمة، الغاصب لأرضها، والمنتهك لعرضها.

❊ ❊ ❊

---

(١) التطبيع والمطبعون، ص٤١٩.

المبحث الثاني
المناعة الاقتصادية ودورها في التحرّر من التبعية

على ضوء ما سبق عرضه من مظاهر التطبيع الاقتصادي، ومآلاته، يحسن بنا الحديث عن المناعة الاقتصادية المطلوبة لحماية الأمة من التبعية، وذلك في الآتي:

المطلب الأول: تقوية اقتصاد الأمة العربية في مواجهة اقتصاد الكيان الصهيوني:

لقد ملكت بعض الدول العربية كنوز الأموال، ودخلت في عالم الترف، بينما تئن دول عربية أخرى تحت وطأة الفقر والحرمان، وفي هذا الاختلال دلالة على غياب الروح الإسلامية والقومية التي تحول دون هذا التفاوت المشين، ولقد حذر القرآن الكريم من سوء استعمال المال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1].

وبينما تنفق المليارات من الدولارات من أموال العرب في حياة البذخ عبر الترويج للمجون والفسق والمحرّمات، تمنع عن المساهمة في استعادة التوازن بين الدول العربية، وفي سبيل الدفاع عن الأرض والعرض، الحالة التي جرّت على الأوطان الويلات، وفوّتت عربها فرصة حضارية من ذهب على أيدي الحكام الفاسدين الذين بدّدوا الأموال، واستأثروا بها الأعداء،

(١) سورة الإسراء: الآية ١٦.

فحرموا منها أصحابها الحقيقيين، وتصرّفوا فيها بما يثبّت عروشهم رشوة لأمريكا وربيبتها إسرائيل، وتدعيما لهم ليزدادوا سيطرة على العالم، ويفرضوا عليه قوانينهم الجائرة، وسياساتهم العاثرة، ومخططاتهم المدبّرة.

وإنّ التصرّف السلم لو كان هؤلاء الحكام يعقلون هو استثمار هذه الأموال والمقدرات الاقتصادية التي أنعم الله تعالى بها على الأرض الإسلامية فيما يحقق النهضة الموعودة، ويقوّي الأمة، ويقفز بها إلى التأثير العالمي، فتكسر بذلك شوكة المتسلطين، وتقطع الطريق على المتربصين، وتصنع العزة التي وعد بها الله تعالى عباده المؤمنين.

المطلب الثاني:
السيادة الاقتصادية وسيلة للضغط:

السيادة في هذا العالم محكوم بها للأقوى، ومقياس القوة هو الأموال التي يدرّها الاقتصاد، استثمارا في الثروات الطبيعية، والسواعد البشرية، ومن الخزي في هذا المقام ما كان من البلدان البترولية العربية سنة ١٩٤٨م من الامتناع عن استخدامه كوسيلة ضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لوقف دعمها عن اليهود المعتدين، متذرعة بأنه لا ينبغي إدخال الاقتصاد في السياسة[١]، وذلك في الوقت الذي تدفقت فيه أموال يهود العالم على العصابات اليهودية المعتدية على أرض فلسطين، تمويلا بالمال، وتموينا بالسلاح والغذاء.

(١) نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، عارف العارف، ١/ ٦٢.

وإنّ الوضع الراهن يستدعي اغتنام الإمكانيات المتاحة في البناء لا في الهدم، وتضافر الجهود لتحقيق وحدة الأمة في وجه الدول التي تساند الكيان الصهيوني، وتستعبد العرب والمسلمين لضمان تفوقه واستقوائه، كما يتوجب على المسلمين سحب أرصدتهم أفرادا وجماعات ودولا من بنوك الشرق والغرب استقواء بها، وتفويتا لفرصة استخدامها ضدهم، فأعداء المسلمين بما فيهم الكيان الصهيوني يعيشون على تلك الكنوز المودعة عندهم، ومن التحويلات التي يتهرب بها المستبدون من محاسبة الشعوب، بل ومن الإتاوات التي يقدمونها لهم على سبيل ضمان الحماية، ولو سار الحال على عكس ما هو عليه لكنا اسياد العالم، ورفعنا راية الإسلام من جديد.

المطلب الثالث:

المقاطعة الاقتصادية وجدواها في محاصرة الكيان الصهيوني:

أجمعت أوراق (المؤتمر القومي لمقاومة الاستسلام والتطبيع)[1] على برنامج عمل للوقوف في وجه تيار التصهين والتطبيع، جاءت فيه الخطوات الآتية لضمان المناعة السياسية والاقتصادية:

١- ضرورة توحيد الصف العربي، وتكوين جبهة من المؤسسات الأهلية التي تمثل مختلف الفئات، عبر تبني غايات المجتمعات الأساسية، في سبيل فضح المتصهينين.

٢- تعزيز المنظمات الشعبية التي قامت لمواجهة التطبيع في مصر بمنظمات

(١) مقره في الكويت.

مماثلة في مختلف الدول العربية، وتكوين رابطة عربية لمقاومة التطبيع من مجموع هذه المنظمات وقوفا في وجه المنساقين العرب للتطبيع.

٣- إقامة مراكز بحثية لتشريح ظاهرة التطبيع والتصهين العربي، وبحث السبل الكفيلة بمقاومتها، وتجفيف منابعها.

٤- إقامة شبكة معلومات متجددة عن الأفراد والمؤسسات السائرين في طريق التطبيع، والتصهين، وتتبع مواقفهم وخطواتهم في هذا السبيل لصدّ تأثيرها في المجتمعات العربية.

وجاء في المدونة: «قال مالك: كل ما هو قوة على أهل الإسلام مما يتقوّون به في حروبهم من كراع وسلاح أو خرثي[١] أو شيء مما يعلم أنه قوة في الحرب من نحاس أو غيره فإنهم لا يباعون ذلك»[٢]، وهو تأسيس عميق لعوامل المناعة من السقوط، وسبيل قميء بتفويت الفرصة على شذاذ الآفاق الذين حققوا ما لم تحققه الدول العربية مجتمعة بفضل ما قُدّم لهم من فرص من طرف المتخاذلين والمستسلمين.

والخلاصة في ذلك هي ضرورة تقدير المال، والنهوض بالاقتصاد، وتجاوز العثرات التي أعطتنا الدروس حول حقيقة المكر العالمي، وإمكانيات الارتقاء بتغيير المسار، والتعويل على الوحدة الداخلية في الأمة بدل التبعية المذلّة.

* * *

(١) الخرثي هو متاع البيت، وهو عند الفقهاء السقط من المتاع، أو الرديء من الأشياء.
(٢) المدونة، ٤/ ٢٧٠.

الفصل الرابع
المناعة التعليمية والإعلامية

<u>يضم هذا الفصل المباحث الآتية:</u>

❊ المناعة التعليمية

❊ المناعة الإعلامية

تتعدد صور الوهن العربي، وتراجع الشهود الحضاري لأمة الإسلام تحت وقع الضربات المستهدفة لعقيدتها، وهويتها بما تحمله من خصوصيات ثقافية ولغوية وقومية، بهدف سلخها عنها، وتركها مسخا لا حاضر له ولا مستقبل، وهو الواقع الذي لخصه (محمد الغزالي) في وقت مبكر من سريان مفعول المخطط اللئيم فقال: «والحق أني عندما أتأمل في هزائمنا المتلاحقة أمام اليهود خلال ما مضى من سنوات أشعر بأنّ الغزو الثقافي قد حقّق مراده وفق ما يشتهي، وأنّ ما غرسه في بلادنا قد آتى ثماره المرّة كلها، وأنّ جهوده الماكرة في ميادين التعليم والإعلام منذ استعمر الأراضي والعقول لم تضع سدى، من عشرات السنين والأجيال الجديدة تذاد عن القرآن الكريم ذودا، وتُجهّل في آياته تجهيلا، من عشرات السنين والتاريخ الإسلامي تُعكّر منابعه، وتُقلّل حصصه، ويُلحق تارة بالتاريخ القومي وتارة بالتاريخ الأجنبي، حتى لا يُحسب محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم آباءنا الروحيين والفكريين.

من عشرات السنين وعلوم العقيدة والفقه والتربية والأدب تطارد من التعليم العام.. من عشرات السنين والأوضاع المقلوبة التي تشبه عملية التعرية تنحت مقوماتنا من الإيمان والصلاة والتقوى، وتطلق أسراب الديدان لتلتهم كل نبت يبدو للشرف والوفاء والحياء، .. وقد وصل الغزو الثقافي إلى غايته المنشودة، وانعكس كله على معاركنا مع بني إسرائيل، ذلك أنّ المعارك يربحها طلاب التضحية من أصحاب العقائد، ولا يربحها عباد الشهوات من أبناء الدنيا»[1].

---

(١) حصاد الغرور، ص١٢٤-١٢٥.

لقد عزفت الدوائر الصهيونية على وتر التعليم، وبثت سمومها في الإعلام بما يستميل إليها ضعاف النفوس، ومهزوزي الانتماء، .. وقد تم توقيع اتفاق ثقافي بين مصر والكيان الصهيوني في ٨/ ٥/ ١٩٨٠ ينص على تدعيم التعاون في العلاقات الثقافية والعلمية عن طريق الاتصالات، وتبادل المطبوعات الثقافية والعلمية والتعليمية، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، والأشرطة، والأفلام العلمية والثقافية، وزار مصر كثير من اليهود المتخصصين خدمة لهذا التقارب التعليمي والإعلامي[١].

وفي إطار تسهيل مهمة اليهود في الاختراق الأكاديمي، والسيطرة على العملية التعليمية تم إنشاء المركز الأكاديمي اليهودي في القاهرة في مايو ١٩٨٢م، حيث تديره الجامعة الشرقية التابعة للأكاديمية اليهودية للعلوم والإنسانيات، ويقوم بتسهيل مهمة الباحثين اليهود من خلال إقامة الندوات والمحاضرات، وتقديم الخدمات المكتبية للمصريين، كما اصدرت مجلة ضخمة بعنوان (لقاء الثقافتين: العربية واليهودية) وتصدر باللغتين العربية والعبرية[٢].

ولم يفوت القرآن الكريم الدعوة إلى الردّ على أهل المنكر في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[٣]، فجهاد اللسان واجب لا يتخلف لإرساء الحق، ونبذ

(١) خطر الوجود اليهودي، ص٢٤.

(٢) مخاطر الوجود اليهودي ص٣٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

الباطل، وقد حذر الرسول ﷺ من تركه فقال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[1]، ومما يدخل في جهاد اللسان في عصرنا جهاد القلم عبر التعليم والإعلام مما يقف في وجه الانسلاخ المعلن عن القيم والمبادئ، والارتماء في تيار التصهين الجارف، «ومن وسائل هذا الجهاد المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد والجامعات، فإنّ الأجيال تصطبغ بما يفرض عليها من مناهج، ويجري ما تتعلمه فيها مجرى الدم في العروق، ومنها تبنى عقيدة الأمة وثقافتها وفكرها، فإن كانت المناهج إيجابية أخرجت للأمة جيلا إيجابيا والعكس بالعكس، والأمة اليوم بحاجة إلى هذا النوع من الجهاد، من أجل نجاتها في الآخرة، وعزتها في الدنيا، وإنّ هذا النوع من الجهاد هو الأساس الذي يبنى عليه كلٌّ من الجهاد بالمال والجهاد بالنفس، لأن الأمة إذا كانت جاهلة وإذا كانت صلتها بالله معدومة أو ضعيفة، فإنه لن ينفعها كثرة المال والسلاح والرجال إنما تكون غثاء لا تساوي شيئا»[2].

***

(١) سنن الترمذي، حديث رقم ٢١٦٩، ٤/ ٤٦٨، وقال حديث حسن.

(٢) أحكام التعامل السياسي مع اليهود، ص٢٢٦.

المبحث الأول
المناعة التعليمية المقاومة لتهجين التعليم والسيطرة عليه

يقول الكاتب الصهيوني (آمنوسي آلون) في كتابه المؤسسون الأبناء: «منذ مطلع هذا القرن وضعت البرامج التعليمية على يد المهاجرين الأُول لتوحيد التعليم في إطار مبادئ التلمود[1]، فتكوّن فكر سياسي واحد ينبع من تراث اليهود القديم»[2].

وليس بالسرّ من الحقائق أنه «تمّ تعديل مناهج التعليم في مصر وفق الإيديولوجيا الصهيونية، فحذف ما يشير إلى الصراع العربي اليهودي، واستغني عن الآيات القرآنية الحاثة على القتال، كما تم محو اسم فلسطين من جميع الخرائط، وكل المواد التي تشير إلى عداء اليهود وخبثهم»[3].

وقد عدلت أربع مواد هي الدين واللغة العربية والتاريخ والمجتمع، ففي الدين أزيل ما يدعو إلى الجهاد، ويفضح حقيقة اليهود وفي الجغرافيا ألغي من الخرائط اسم فلسطين ليحل محله اسم (إسرائيل) ويقصد به المناطق المغتصبة عام ١٩٤٨م، وفي اللغة والأدب أزيلت قصة (رمضان العبور) بقصة رفاعة الطهطاوي، كما استبدلت قصيدة (مصر والمعتدون) بقصيدة

---

(١) التلمود هو الكتاب الديني الثاني عند اليهود بعد التوراة، وهو يتمكن من (المشفاه) التي هي شريعة شفوية معزوة إلى موسى عليه السلام، و(الجمارا) وهي شرح للمشفاه، وهو في الحقيقة من صنع حاخاماتهم دون سند يؤكد نسبته.

(٢) الله أو الدمار، سعد جمعة، ص٣٤٩.

(٣) حقيقة اليهود والنصارى أحمد زايد ص٤٥٤

(ذكريات عن مصر)، بل حشيت دروس التاريخ بسموم التصهين والاستسلام، فجاء فيها: «رحبت جميع دول العالم المتحضرة باتفاقية السلام في هذه المنطقة الهامة بالنسبة للعالم، أما الدول العربية التي عجزت عن فهم المتغيرات الدولية، وفهم ميزان قوى العالم فإنها لم ترحب بالمعاهدة» [1].

وعمدت الأردن بدورها إلى إلغاء قوله ﷺ: «تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله» ترطيبا لأجواء علاقاتها الاستسلامية[2].

وجاء في مجلة السنة[3]: «في تقرير نشرته مجلة «المصور» المصرية كتبه رئيس تحريرها وثيق الصلة بالرئيس ذكر أن التعليم في الأزهر مرضي عنه في أمريكا، فقد تأكدت واشنطن من المرجعية المعقولة للأزهر الشريف كجامعة إسلامية قاومت التطرف والإرهاب، ولم يتخرّج من بين معاهدها شخص واحد ينتمي للجماعات».

إنّ الأمر الملحّ في وقتنا هذا هو إعادة صياغة المناهج التعليمية بما يتناسب مع هويتنا، ويقوى على مواجهة التحديات المحدقة بنا، حتى تتربى الأجيال على الدين والأخلاق، وتتشرب بمعاني العزة والكرامة، ويتحقق ذلك عبر تجديد الأهداف، والرغبة في إيجاد جيل رباني، قرآني، حضاري، قوي الولاء لدينه وأمته، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال:

---

(١) التطبيع: استراتيجية الاختراق الصهيوني، غسان حمدان، ص١٤٥.

(٢) التطبيع مع دولة العدوان اليهودي، ص١٢٣.

(٣) العدد ١١٤، محرم ١٤٢٣هـ

١- بناء العقيدة الإسلامية في قلوب الناشئة وعقولها بما يؤهلها للوقوف صفا واحدا في وجه حملات المسخ والسلخ، وتلك هي القاعدة الأساسية في تحديد مسار السياسات المختلفة وتوجيهها.

٢- التركيز على المواد المنمية لجانب الأخلاق، وتهذيب النفس، لتحرير الإنسان من الخضوع لشهواته ونزواته، وجعله عصيا عن الانزلاقات المهددة لشخصه ولأمته.

٣- تطعيم المواد الدراسية بمواد شرعية فقهية تضمن للفرد المسلم حصانة علمية، ووعيا دينيا يقوده إلى حياة الاستقامة في العبادات والمعاملات.

٤- الإعداد لكل مجالات الحياة مما تحتاج إليه الأمة لتسجيل الشهود الحضاري، ومسايرة العصر، مع توفير الظروف الملائمة للتحفيز على التطور والإبداع.

٥- العناية بتكوين جيد للمدرسين والمربين، وتعهدهم بالمتابعة والتوجيه لحساسية الدور الذي يقومون به في تطبيق المناهج، وتربية الأجيال.

* * *

المبحث الثاني
المناعة الإعلامية

يظل التطبيع الثقافي والإعلامي من أخطر أشكال التطبيع، للدور الحساس الذي يلعبه في تشكيل الوعي، وإضعاف روح الانتماء، وتكريس الانسلاخ عن الهوية، ولذلك تكتسي المناعة الإعلامية طابعا مهمّا، وأولوية مطلوبة في سبيل القيام بدور مزدوج بفضح ممارسات المتصهينين والمطبعين من جهة، وبث الوعي بين الناس من جهة أخرى.

المطلب الأول: التفطن لسموم الدعاية الإعلامية الصهيونية:

اشتهر من الأقلام العربية التي مارست التطبيع الإعلامي مع الكيان الصهيوني، أو دافعت عنه ودعت للاعتراف به، ومسالمته تحت شعار «السلام» و«الواقعية» وغيرها من الشعارات:

- أنيس منصور: الكاتب المعروف الذي توفي عام ٢٠١٢.
- مكرم محمد أحمد: نقيب الصحفيين السابق.
- عبد المنعم سعيد: رئيس مجلس إدارة الأهرام.
- صلاح منتصر: الكاتب الصحفي بالأهرام.
- طارق حجي: الكاتب بالأخبار المصرية.

والقائمة تطول من المصريين وغيرهم من الإعلاميين العرب، الذي تجاوزا حدّ التصفيق والتهليل للزيارات الودية، واللقاءات السرية داخل تل أبيب.

ولقد قاد تيار التصهين المهرول نحو «إسرائيل» إلى إصدار أول صحيفة عربية أسبوعية أردنية تطرح نفسها منبرا للترويج للتطبيع مع الصهاينة علنا عنوانها (صوت السلام)، حيث طبع العدد الأول منها في الأراضي الفلسطينية في٨/ ٩/ ٢٠٠٠، بعد رفض كل المطابع الأردنية طباعتها.

ونشر المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت يوم ٣٠ مايو ٢٠٠٥م بحثا بعنوان (مراكز الأبحاث والمؤسسات العاملة في خدمة التطبيع والاستراتيجية الصهيونية) جاء فيه أنه ضمن الإطار التطبيعي أقيمت في مصر ست وثلاثون مؤسسة علمية أمريكية وثقافية إسرائيلية مثلت وتمثل مظلة رسمية لاختراق الشخصية العربية، والتجسس على قطاعات المجتمع كافة، ولا تزال التحركات مستمرة في هذا الصدد، على ما سبق تفصيله في المبحث المتعلّق بتسويغ التطبيع، والترويج الإعلامي للكيان الصهيوني، مما يستنهض الهمم للتصدي بالمفحم من الحقائق، والمجدي من الحلول تحصننا من هذه المخططات السرية والمعلنة، ومناعة من الانجراف بتيار التصهين.

المطلب الثاني: الاستثمار في المنابر الإعلامية التقليدية:

لا يخفى على عاقل الدور الذي يلعبه الإعلام في توجيه الرأي العام الجماهيري، ويتم ذلك في نطاق مواجهة التصهين بأفكار متطورة ترتكز على الخطاب الديني لتحصين المسلم، فلا يخفى الدور الكبير الذي تضطلع به المساجد في توعية المجتمعات المسلمة، وربطها بدينها، فكما يؤدي المسلمون فيها صلواتهم، ويتلون كتابهم، فإنهم يتلقون فيها العلوم الشرعية، ويستمعون

للخطب المنبرية التي تدعو في الأساس إلى التمسك بالدين، والثبات عليه، وبث روح الإيمان والتضحية والجهاد في سبيل الله تعالى، وإن مما يميت فيها هذا الدور النظرة الضيقة للقائمين عليها، عبر الانشغال بالخلافات المذهبية والحزبية، بدل العمل على إذكار مشاعر الحب والأخوة، والدعوة إلى الوحدة بين جماهير المسلمين الذين تحيا قلوبهم بالتذكير المستمر، ويزداد وعيهم.

وفي المحصلة فالإعلام وسيلة ذات أثر كبير في توجيه الشعوب، وهو الركيزة الأساسية في حربنا على الأفكار الهدامة المنتشرة بيننا، وخاصة ما يحمل منها التثبيط والتوهين، ويدعو إلى القبول بالأمر الواقع، فالواجب هو لفت الانتباه إلى واقع الأمة المخزي، والمآل الذي يتهددها لو لم تعد إلى مسارها الصحيح، وتتسلح بالعقيدة والمبادئ الراسخة اعتزازا بالدين، وحماية لحياضه.

❋ ❋ ❋

الفصل الخامس

الإفادة من القوى والجماعات المضادة للصهيونية

تتوزّع مادة هذا الفصل وفق المباحث الآتية:

❊ الإفادة من الجماعات الجهادية

❊ الإفادة من جهود المناضلين السياسيين

❊ الإفادة من جهود المناهضين للتطبيع

المبحث الأول
الإفادة من الجماعات الجهادية

رغم غلبة الهوان على الأمة العربية في مواجهة الاحتلال الصهيوني، ورغم التشنيع على الجيوش النظامية في تخاذلها عن نصرة القضية الفلسطينية، فإنّ ثمة ما يستحق التثمين من جهود المخلصين الذين واجهوا الوجود الصهيوني بالسلاح، ثائرين استجابة لدعوة القرآن الكريم، فقد انتفض الغيورون على الأرض والعرض في مرحلة مبكرة من الصراع لصدّ اليهود الطامعين في أرض فلسطين، فهاجمت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين عام ١٩١٩م أربع مستوطنات يهودية في الجليل الأعلى، وكان من بين القتلى الصهاينة (يوسف ترومبلدور) أحد زعماء الحركة الصهيونية، وشهد العام ١٩٢٠م ثورة الفلسطينيين واصطدامهم بالمستوطنين الصهاينة أثناء الاحتفال بموسم النبي موسى في القدس، كما شنّت المقاومة في يافا) في العام ١٩٢١م هجوما مسلحا استمرّ أسبوعا كاملا، وأسفر عن شهداء وقتلى من الصهاينة[1]، .. واستمرّت الصدامات بين الحين والآخر بطابع فردي، ولكن منذ وعد بلفور قامت عدة ثورات ضد الاحتلال البريطاني، وضد وجود الصهاينة على أرض فلسطين، وكان الدين منطلقها، والمساجد مباعث رجالها، وأبرز هذه الثورات:

● ثورة البراق ١٦/ ٢٦ أغسطس ١٩٢٩م: قامت في أعقاب مظاهرة لليهود بمناسبة عيد الغفران، حيث أعقبتها مظاهرات للمسلمين أشد منها

(١) يُنظر: الأيديولوجية الصهيونية، ٢/ ١٠١.

قرب حائط البراق بالقدس، وامتدت إلى صفد والخليل ويافا وكافة مدن فلسطين، لتتحول إلى مواجهات أسفرت عما يزيد عن مائتي قتيل وستمائة جريح أكثرهم من اليهود[١].

● حركة الشيخ عز الدين القسام، والذي حرص على تنشئة الجيل على العقيدة الصحيحة، وإعداد خيرة الشباب للجهاد منذ ١٩٢١م، فتسنّى له إعداد ما يزيد عن مائتي مجاهد يضربون المستوطنات في فلسطين، ويستهدفون مصالح الصهاينة فيها، مؤتمرين بأمره إلى أن استشهد عام ١٩٣٥م.

● وبعد استشهاد الشيخ (عز الدين القسام) قامت ثورة ١٩٣٦م التي اشترك فيها مجاهدون متطوعون من سوريا ولبنان والعراق وفلسطين، وقد ضيقت هذه الثورة على اليهود والانجليز كثيرا، وما هدأت إلا بعد تدخّل بعض الدول العربية، ووعدها بحل القضية مع بريطانيا.

● نشطت بعدها في الميدان الجهادي الكتائب التي كانت تحت إمرة (عبدالقادر الحسيني)[٢] الذي عينته جامعة الدول العربية بعد قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ قائدا عاما للجهاد المقدس، فتجند شباب الإسلام معه بحماس وإقدام، وخاضت هذه الكتائب عدة معارك ناجحة إلى غاية دخول جيش

---

(١) القضية الفلسطينية، محمد عزة دروزة، ص٦٢.

(٢) عبدالقادر الحسيني (١٣٢٦-١٣٦٧هـ)، ولد بالقدس، وعمل في الجيش العقراقي مدة قصيرة، وعندما قامت معركة فلسطين بين العرب واليهود قاد مجاهدي المنطقة الجنوبية، استشهد على أبواب القسطل وهو محاصر لها في الثامن من أفريل ١٩٤٨م، ودفن بجوار المسجد الأقصى.

الإنقاذ[1] في ٦ آذار ١٩٤٨، وكان بتعداد ثلاثة آلاف بقيادة (فوزي القاوقجي)[2]، وبأمر من غلوب باشا قائد الجيش الأردني، وبذلك تمّ إضعاف دور المجاهدين المتطوعين بذريعة إتاحة الفرصة للجيوش النظامية للدفاع عن البلاد، وفي ٨/ ٤/ ١٩٤٨ وقعت معركة القسطل واستشهد عبدالقادر الحسيني.

وقد شهد العام ١٩٤٨ خروج المجاهدين المتطوعين من أبناء الحركة الإسلامية من كلّ أنحاء العالم العربي، والإسلامي، وجاهدوا بمنتهى البسالة محرزين تقدما في عدة مواقع مما أثار الرعب في نفوس اليهود، حيث ظهر جيش الجهاد المقدس الذي أشرفت على تشكيله الهيئة العربية العليا لفلسطين تحت قيادة عبد القادر الحسيني، ويضم هذا الجيش وحدتين رئيسيتين:

◊ الفرقة النظامية ويتراوح عددها بين ٥ و ٧ آلاف مقاتل.

◊ الفرقة غير النظامية من المتطوعين، ويبلغ عددهم حوالي عشرة آلاف مقاتل.

---

(١) تأسس جيش الإنقاذ بأمر من جامعة الدول العربية لنصرة فلسطين، وقد حملت على عاتقها مهمة تسليحه والإنفاق عليه، وقد خاض هذا الجيش الكثير من المواجهات مع الصهاينة.

(٢) فوزي القاوقجي (١٣٠٧-١٣٩٧هـ) من رجال السياسة والنضال العربي في الشام، ولد بطرابلس، خدم ضابط بالجيش العثماني، وكان على صلة بقيادة الثورة العربية، ترك مذكرات خاصة ضمنها مسيرته مع الكفاح (ذيل الأعلام، أحمد العلونة، ١٩٩٨م، دار المنار، جدة، ص١٥٢).

ولكن هذا الجيش للأسف لم يتلقَّ الدّعم المناسب من اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، وكان ما وجهه لهم الحسيني ملائما للوضع، حيث قال مخاطبا القائمين عليها: «أنتم خائنون.. أنتم مجرمون.. سيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين» (١).

ووقف في ميدان المواجهة أيضا رجال جماعة الإخوان المسلمون(٢)، التي استطاعت رغم قلّة الإمكانيات إثبات وجودها، وإرباك الكيان الصهيوني، بما أبداه رجالها من استماتة في القتال، وإخلاص في الإقبال على ساحة الوغى، وقد صرّح وزير مالية العراق آنذاك (محمد رستم)(٣) قائلا: «لقد كنا في زياراتنا الماضية لأوربا نتحاشى أن نتظاهر بأننا عرب، ولكنا في هذه المرة، بعد جهاد عرب فلسطين وبطولتهم التي وصل صداها آفاق أوربا، أصبحنا نفخر بعروبتنا، وأصبحنا نلقى من الأوربيين كل إجلال واحترام» (٤).

وعلى الرغم من رجحان كفة القوة لصالح الكيان الصهيوني، إلا أنّ هؤلاء الشرفاء ظلوا يقاتلون، واستطاعوا إنزال ضربات موجعة بالكيان

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، أبو بصير، صالح مسعود، ص٣٤٩.

(٢) تأسست عام ١٩٢٨م على يد الإمام حسن البنا الذي وصفها بأنها دعوة سلفية، وطريقة سنية، وهيئة سياسية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية».

(٣) محمد رستم (١٣٠٦-١٣٥٨م) من رجال السياسة العربية، ولد ببعلبك، وتعلم بدمشق، ولما تولى فيصل عرش العراق عام ١٩٢١م جعله سكرتيرا، ورئيسا للديوان الملكي، ثم وزيرا لمالية العراق عام ١٩٣٤م، توفي رميا بالرصاص سنة ١٩٤٠م (الأعلام، الزركلي، ٦/ ١٢٤).

(٤) أسباب كارثة فلسطين: أسرار مجهولة ووثائق خطيرة، العيشة العربية العليا لفلسطين، ص٢٦.

الصهيوني، حتى اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية برغبتها في إلغاء قرار التقسيم تهديئا للوضع، لكن الإسرائيليين أصروا على هذا المكسب، وسارعوا بإعلان دولة إسرائيل فور انتهاء الانتداب البريطاني، فكانت الولايات المتحدة أول المعترفين بها. بل ولقد أشاد بهذه الشجاعة هتلر في بيان رسمي وجهه للألمان في السوديت حيث كانوا يحاولون التخلص من حكم تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨م، فحواه: «اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم، إنهم يكافحون انجلترا أعظم قوة في العالم، واليهودية العالمية معا، ببسالة خارقة، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد، أما أنتم فإني أمدكم بالمال والسلاح، وإن ألمانيا كلها وراءكم»[١].

ولقد حملت حرب ١٩٧٣م صورة مشرفة للجهاد العربي ضد الصهاينة، حيث رأت بفضلها القضية الفلسطينية بعض النور ضمن الشرعية الدولية، وأدى الوضع المستجد إلى محاصرة الكيان الصهيوني على الصعيد الدولي، وعزله بسبب قطع العلاقات الدبلوماسية معه، وخاصة من طرف الدول الإفريقية، ولكن الجهات الرسمية المتواطئة مع الدوائر الصهيونية حالت دون استمرار هذا الإقبال على الجهاد في فلسطين، فميّعته بادعاء تولي الجيوش النظامية ذلك، وتدهور الوضع في الحرص والغضب للمقدسات إلى درجة اكتفائها بدور المتفرج على الخطوات الصهيونية الجريئة في المنطقة، مكتفية بالتنديد الرّسمي، بل ووصل الأمر إلى وصم الشباب المقاومين في فلسطين

---

(١) أسباب كارثة فلسطين..ص٢٧.

بالإرهابيين، وللأسف «فلم يكن لدى العرب خطة واضحة، أو استراتيجية حربية متبعة، بل على العكس فقد كان العرب يجهلون تماما إمكانات عدوهم، أو حتى الإمكانات المتوفرة لديهم أنفسهم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) الإرهاب الصهيوني.. ص٧٤.

المبحث الثاني
الإفادة من جهود المناضلين السياسيين

لم تقتصر المقاومة الفلسطينية على النشاط المسلح في مواجهة الأطماع اليهودية في أرض فلسطين، وإنما أخذت أيضا أشكالا سياسية ودبلوماسية، «ففي عام ١٨٩١م أرسل الفلسطينيون عريضة احتجاج إلى الدولة العثمانية لوضع حدّ لدخول المهاجرين اليهود، ووقف بيع الأراضي لهم، وقد استجابت السلطنة العثمانية عام ١٨٩٨م فعلا، وفرضت قيودا على هجرة اليهود، وبمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول (١٨٩٧م)، أسّس الفلسطينيون في (يافا) الحزب الوطني لمحاربة الصهيونية، وقد عدّ الحزب التعامل مع الصهيونية جريمة قومية، كما أنشئت جمعية لمنع بيع الأراضي للصهاينة، ولمقاطعة البضائع اليهودية (١٩١٠م)، كما أنشئت جمعيات أخرى بين عامي (١٩١١-١٩١٣) لنفس الأهداف في القدس وحيفا»[(١)].

وإنّ الوضع الاستسلامي الراهن ليدعو إلى النظر في أحوال هؤلاء الأبطال من رجال الميدان بمختلف أنواع السلاح المتاح انتصارا للمبادئ، ونصرة للحق، وتحليقا بالأمة في سماء العزة التي يشهد التاريخ على نتائجها الباهرة إذا ما استُشعرت وحُققت في النفوس.

* * *

(١) الأيديولوجية الصهيونية، ٢/ ١٠٠.

المبحث الثالث
الإفادة من جهود المناهضين للتطبيع

في خضم موجات التطبيع المتتالية الرامية إلى إخضاع بلدان المنطقة للاستسلام، انبثقت حركة شعبية مقاومة للذل والخضوع، ومواجهة العنصرية الصهيونية، وكما كانت مصر أول بلد شهد الموجة، فقد كانت الحركة الشعبية في مصر أول من تحداها، وكانت مهمة عسيرة ليس فقط وسط جمهور قيل له إنّ كلّ معاناته سوف تنتهي دفعة بإحلال السلام، ولكن أيضا بإجراءات قمع الممانعين من نظام راهن بكل شيء على نجاح مبادرته.. انخرطت في هذه الحركة الأحزاب السياسية، والحركة النقابية، والحركة الطلابية، وانبثقت عبر الممارسة لجان شعبية متخصصة في مناهضة التطبيع في كل المجالات تعززت يوما بعد يوم، ليس فقط بالإصرار والاستعداد للتضحية، ولكن أيضا بفضل تبدّد الأوهام، وحماقات «إسرائيل» التي أصرّت على أن تظل مبادرة السادات مجرد صفقة لحل منفرد»[١].

ورغم اتفاق هذه الجماعات على مقاومة التطبيع، ومناهضته بمختلف أشكاله، إلا أنها اختلفت في تحديد الأولويات ونقاط التركيز، فركزت المنظمات الحقوقية على الجوانب القانونية، وكشف الوجه العنصري للصهيونية،

---

(١) مقاومة التطبيع: ثلاثون عاما من المواجهة، محسن عوض، دراسة ضمن كتاب (التطبيع والمطبعون)، ص٢٨٣.

ومقاومة التطبيع الثقافي، وركزت المنظمات الطبية على حماية أرواح الفلسطينيين، ومناشدة العالم للوقوف إلى جانب المدنيين العزل، ورعاية الضحايا والجرحى، كذلك فإن مقاومة التطبيع قد شملت عناصر متعددة، «بدءا من الإصدارات المختلفة من بيانات ونشرات وكتب، إلى عقد الندوات والمؤتمرات والحلقات البحثية، إلى المسيرات والتظاهرات والاعتصامات الاحتجاجية، وإحياء المناسبات التضامنية، إلى الفتاوى الدينية، وكذا اللجوء إلى المحاكم، واستخدام الآليات القضائية، وطلبات الإحاطة والاستجوابات في المجالس النيابية، ولم تخلُ أحيانا من مبادرات استخدم فيها العنف، حيث استقى خطاب مقاومة التطبيع عناصره من روافد عديدة، عبرت عن التيارات الفكرية والاجتماعية الكبرى الرافضة للاستسلام والتطبيع على الساحة العربية، وهي: التيار القومي، والتيار الإسلامي، والتيار الماركسي، والتيار الليبرالي، فجاءت صياغته ذات طابع جبهوي، مع تبني كل تيار عناصر إضافية تنطلق من مفهومه لطبيعة الصراع، وتقديره لتأثيره على جمهوره، وقدرته على التعبئة الشعبية التي يتوخاها»[١].

ونسجل في هذا المقام أنّ هذه الحركات المناهضة للتطبيع قد عملت إلى حدّ بعيد على التضييق على الصهاينة والمتصهينين، وسدت في وجوههم أبواب التأثير والتدليس، ويحسب لها من الإنجازات:

(١) مقاومة التطبيع: ثلاثون عاما من المواجهة، محسن عوض، دراسة ضمن كتاب (التطبيع والمطبعون)، ص٢٨٦.

• عزل التطبيع عن العمل الشعبي، وحصره في مجرد علاقات بين الحكومات، على نحو ما كان من سلام بارد مع مصر، وشراكة استراتيجية مع الأردن.

• جعلت هذه الحركة المناهضة من التطبيع مع الكيان الصهيوني عملا شائنا يستحق الإخفاء، والكتمان هربا من لعنة الشعوب، ومتابعة الضمائر الحية.

إنّ الشعب هو المحور الأهم في مواجهة التطبيع، فقد كانت المواجهة السياسية والفكرية والنضالية والدينية أهم ملامح النضال ضد التطبيع، وانطلقت استراتيجية المقاومة الشعبية للتطبيع عبر مراحله من(١):

• القاعدة الإيمانية الرابطة بين دولة «إسرائيل» المغتصبة، والحركة الصهيونية، ودور اليهود بشأن الدعوة المحمدية، بإذكاء من الدعاة الموجهين للشعوب، والمحذرين إياهم من الانزلاق والزلل.

• قاعدة العروبة والثقافة العربية المؤكدة على أهمية الهوية والانتماء، فالعرب أمة واحدة تستند إلى قيم وحضارة مشتركة.

• قاعدة تقويم مسيرة النضال منذ ١٩٤٨م وإلى يومنا هذا، وهي كفيلة برد القاطرة إلى سكتها، واستباق الدعوات الشاذة بتحصين المجتمع من روح التخاذل والاستسلام.

---

(١) استراتيجية مقاومة التطبيع، أمين إسكندر.

ويشرّفنا في هذا المقام عرض ميثاق علماء الأمة ضدّ التطبيع، ونصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي بعده، وبعد:

فإنّ كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها يعتبر تحرير المقدسات الإسلامية بفلسطين قضيته التي يسعى لنصرتها، ومسؤوليته التي يُسأَل عنها، وفي سابقة تاريخية يسعى اليوم ما يسمى النظام العالمي إلى فرض ما يسمى «التطبيع» الذي يُفضي إلى التنازل عن الأرض، وتذويب عقيدة تحرير الأقصى من رجس يهود غاصبين، وإجراء تهويد قسري لأجيال المسلمين.

وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾، وإعمالًا لقوله ﷺ عند مسلم وغيره: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»؛ فقد تداعى ثلةٌ من علماء المسلمين ومن كل حدب وصوب لبيان الحق في هذه النازلة ونصح الخلق، وتأكيد ما اتفقت عليه الأمة ولم تختلف فيه قطّ، ألا وهو وجوب جهاد المحتل الغاصب بكل سبيل مشروع.

وبعد جلسات علمية ومشاورات شرعية وواقعية قرر العلماء المجتمعون بإجماع هيئاتهم وأشخاصهم الاعتبارية أن التطبيع بكل أشكاله السياسية والاقتصادية والثقافية والرياضية منكر يجب النهي عنه، والتحذير منه، فلا يجوز لدولة ولا لحزب ولا لجماعة مُقاوِمة أن تقع فيه أو تُقرَّ به ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ

عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾[1].

بل الواجب مقاومة هذا المنكر على كل أحد بما يستطيعه؛ امتثالًا لأمر النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم.

وإنّ العلماء ليضعون حكام المسلمين خاصة والأمة عامة أمام مسؤوليتهم الشرعية في تحرير الأرض وصيانة العرض وتحرير المقدسات، ويؤكدون على أن مقاومة التطبيع حق تشرعه الرسالات الإلهية والمواثيق والأعراف الدولية، ولا تبيحه ضرورة ولا تجيزه مصلحة ولا يشهد لجدواه واقع.

وإبراء للذمة ونصحًا للأمة في نازلة التطبيع مع الكيان الصهيوني المغتصب، الذي أسهم في صياغته علماء كبار ومتخصصون ذوو أقدار من مختلف الأقطار يأتي هذا الميثاق ليكون بمثابة الدستور الذي يحكم تعامل الأمة مع التطبيع ويبين مسالك مقاومته، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تعريفات ومفاهيم:

١- الميثاق هو مجموعة من المبادئ والأحكام الشرعية التي توافق عليها علماء الأمة الموقعون عليه بغرض بيان الحكم الشرعي في التطبيع مع الكيان الصهيوني وبيان الواجب الشرعي المترتب عليه.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٩.

٢- الكيان الصهيوني هو كيان عنصري إحلالي توسعي معادٍ للإنسانية غصب أرض فلسطين ودنس مقدساتها واعتدى على حقوق أهلها وصادر حرياتهم.

٣- التطبيع هو بناء علاقات متنوعة مع الكيان الصهيوني أو ممثليه على وجه يفضي إلى الإضرار بمقاومته أو الإقرار بحقه في اغتصاب أرض فلسطين وتدنيس المقدسات الإسلامية.

أهداف التطبيع ومقاصد المطبعين :

٤- يهدف الكيان الصهيوني من وراء التطبيع إلى إضفاء الشرعية على كيانه وتثبيت أركانه واستبقاء وجوده محلياً ودولياً، وضمان توسعه ليتمكن من السيطرة على الأمة الإسلامية ومصادرة حريتها ونهضتها وسلب مقدراتها.

٥- إنّ مقاصد المطبعين مع الكيان الصهيوني غير معتبرة شرعاً، وهي لا تعدو كونها مصالح متوهمة غير حقيقية، ولها أضرارها على فلسطين والأمة، وتكذبها تجارب الأمس ووقائع اليوم واستشرافات المستقبل.

توصيف الكيان الصهيوني وحكمه الشرعي والقانوني :

٦- الكيان الصهيوني كيان باطل الوجود شرعاً قام على احتلال الديار وغصب المقدسات والاعتداء على الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وجهاد الاحتلال ومقاومته واجب في الشريعة الإسلامية.

٧- الكيان الصهيوني كيان منعدم قانوناً تأسس بحكم القوة والإرهاب، ومقاومتُه -بما فيها المقاومة المسلحة- حق تكفله الأعراف والقوانين الدولية.

٨- إنّ كل القرارات الدولية التي صدرت لشرعنة وجود الاحتلال باطلة شرعاً ومنعدمة قانوناً.

الأحكام الشرعية والقانونية للتطبيع السياسي:

٩- التطبيع مع الكيان الصهيوني محرم شرعاً؛ لمناقضته مقتضيات الإيمان ولوازمه القائمة على الولاء للمؤمنين ووجوب نصرتهم والبراء من المعتدين وعدم مبادلتهم المودة والإخاء وقد أخرجوا المسلمين من ديارهم ومقدساتهم.

١٠- إنّ كافة الاتفاقيات والتفاهمات المبرمة مع الكيان الصهيوني وما ترتب عليها من التزاماتٍ محرمةٌ شرعاً وباطلة غير نافذة تحرم طاعة الحاكم فيها، وهي منعدمة قانوناً لاعتدائها على الأمة والشعب الفلسطيني.

١١- إنّ وجود الكيان الصهيوني على أرض الواقع وتطبيع البعض معه سراً أو علناً لا يغير من توصيفه وحكمه الشرعي والقانوني شيئاً، ولا يسقط واجب جهاده ومقاومته.

١٢- لا يتغيّر حكم التطبيع باسترجاع بعض الأرض واستعادة بعض الحقوق.

١٣- إن جميع محاولات تصفية القضية الفلسطينية من خلال مشاريع توطين اللاجئين أو تهويد المقدسات لا تنشئ للكيان الصهيوني حقاً ولا ترفع عنه وصف الاحتلال والعدوان وهو مناط حرمة التطبيع.

التطبيع ومهمة الحاكم :

١٤- إنّ مهمة الحاكم حراسة الدين وسياسة الدنيا به بتحقيق المصالح ودرء المفاسد، والتطبيع مع الكيان الصهيوني خيانة للعقد بين الحاكم والرعية لما فيه من مفاسد تتناقض مع أغراض نصب الحاكم في الشريعة الإسلامية.

منطلقات ومبادئ في مقاومة التطبيع :

١٥- مقاومة التطبيع مع الكيان الصهيوني متسقة مع الشرائع الإلهية والأعراف والقوانين الدولية القاضية بمقاطعة الظالم والأخذ على يده ومناصرة المظلوم حتى يسترد حقوقه.

١٦- مقاومة التطبيع متسقة مع قيم الحق والعدالة والحرية والكرامة التي تضافرت عليها البشرية.

١٧- مقاومة التطبيع متسقة مع سنن المدافعة بين الحق والباطل والخير والشر، ووجوب نصرة المظلومين على الظالمين.

١٨- مقاومة التطبيع تنطلق من استراتيجية الأمة في تحرير فلسطين.

مقاصد مقاومة التطبيع :

١٩- تهدف مقاومة التطبيع مع الكيان الصهيوني إلى حفظ دين الأمة وأمنها ومصالحها واستبقاء الحس الإسلامي للأمة وشعورها النفسي الرافض للاحتلال.

٢٠- تهدف مقاومة التطبيع إلى محاصرة الكيان الصهيوني ورفض وإفشال كل محاولات إدماجه في المنطقة وإضفاء الشرعية على وجوده.

٢١- تهدف مقاومة التطبيع إلى تعزيز صمود الشعب الفلسطيني ودعم مقاومته وحقوقه.

مفاسد التطبيع ومخاطره :

٢٢- يهدد التطبيع مع الصهاينة المبادئ الإسلامية والإنسانية الكبرى كالحرية والعدالة والكرامة الإنسانية والأمن والسلم العالميين.

٢٣- التطبيع مع الصهاينة خطر على عقيدة الأمة ومكانة المقدسات في نفوسها ومهدد لمقاصد الشريعة الهادفة لحفظ الأمة في دينها ونفسها ومالها وعقلها ونسلها.

٢٤- التطبيع مع الصهاينة يهدد مشروع المقاومة ويضعف جذوتها في نفوس الأمة.

٢٥- يؤدي التطبيع السياسي مع الكيان إلى توظيف الدول العربية والإسلامية في تصفية القضية الفلسطينية والقضاء عليها، وتبديد آمال وطموحات الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه واستعادة حقوقه كاملة.

٢٦- إنّ أمن الأمة وحدة واحدة، وإن التطبيع مدخل أساس للهيمنة الصهيونية الأمنية والعسكرية الشاملة على الأمة العربية والإسلامية.

٢٧- يقلب التطبيع السياسي الحقائق فيجعل العدو صديقاً مما يهدد أمن واستقرار الدول العربية والإسلامية.

٢٨- يعيق التطبيع مع الكيان الصهيوني جميع محاولات التغيير والإصلاح في الأمتين العربية والإسلامية.

٢٩- يعطل التطبيع السياسي وعي الأمة بذاتها ويحولها لشعوب ودول مفتتة، ما يفسد كل محاولات وحدة الأمة ونهضتها وبناء مشروعها الحضاري الجامع.

٣٠- يقيّد التطبيع قدرات الأمة ويغير عقيدتها الأمنية والعسكرية ويعيد صياغة شبكات علاقاتها وصولاً لتحول الدول المطبعة إلى أدوات للاحتلال.

٣١- يهدد التطبيع مع الكيان الصهيوني نمط حياة الأمة وقيم شعوبها واتجاهاتها وولاءاتها، وثقافة المقاومة والاستقلال بالاضمحلال والزوال.

٣٢- التطبيع مع الكيان الصهيوني هزيمة نفسية وإقرار بتفوقه قيمياً وحضارياً وثقافياً، ومقوض لروح الأمة وعقلها وفكرها ووجدانها

٣٣- التطبيع مع الكيان الصهيوني يزور حقائق التاريخ ويزيف الوعي ويبدد الإرث الثقافي العربي والإسلامي.

الواجبات :

٣٤- إنّ مقاومة التطبيع واجب شرعي ومسؤولية إنسانية حضارية تقع على عاتق شرائح المجتمعات العربية والإسلامية والإنسانية بشخصياتها ومؤسساتها وتجمعاتها كافة، كل له دوره الخاص والفاعل والمؤثر في مقاومة التطبيع.

٣٥- إنّ بيان الحكم الشرعي للتطبيع مع الكيان الصهيوني واجب العلماء، وإن التقاعس عنه كتمان للعلم.

٣٦- إنّ من أمانة الكلمة التي استحفظ عليها العلماء الربانيون تفنيد مسوغات التطبيع باسم السلام والصلح.

٣٧- مدافعة المشروع الصهيوني والتخلي عن المعاهدات معه واجب الحكام والحكومات حفاظاً على عقيدة الأمة وشريعتها ومقدساتها.

٣٨- إنّ تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني ومساءلة المطبعين وتقنين مقاطعة الكيان الصهيوني واجب دستوري قانوني على القضاء والمؤسسات التشريعية والمنظمات الحقوقية.

٣٩- قيادة مشروع المقاومة واجب الحركات والأحزاب والجماعات الوطنية والإسلامية لما تملكه من امتدادات نخبوية وشعبية.

٤٠- يجب على المفكرين والمثقفين والإعلاميين وقادة الرأي أفراداً ومؤسسات تعرية التطبيع والمطبعين وتشكيل الرأي العام المقاوم للتطبيع.

٤١- الجاليات العربية والإسلامية عليها واجب كبير في التصدي للكيان الصهيوني والتخلي عن دعمه.

٤٢- يجب على الشباب أن يكون طليعة في مقاومة التطبيع مع الصهاينة بالوسائل اللائقة به.

٤٣- إنّ تشكيل رأي عام نسائي رافض ومحافظ على هوية الأمة ومقدساتها واجب المرأة.

٤٤- إنّ تربية الأبناء وتنشئة الأجيال على مقاومة التطبيع من الواجبات المنوطة بالأسرة ومؤسسات التعليم.

وشاركت في إعداد هذا الميثاق عدّة مؤسسات علمية منها: رابطة علماء السنة، ورابطة أهل السنة والجماعة في العراق، ورابطة علماء فلسطين، وهيئة علماء المسلمين في لبنان، والحملة العالمية لمقاومة العدوان.. وغيرها.

ونخلص من فصول هذا الباب إلى :

١- الإيمان بأنّ حربا فاصلة ستقع بين المسلمين واليهود، يكون النصر فيها للمسلمين.

٢- الإيمان بأنّ الأيام دول، وزمن الضعف والهوان قد ينقلب إلى زمن للعزة إذا ما عقد العزم على الانتصار، واتخذت الأسباب اللازمة لذلك.

٣- بذل قصارى الجهد في التوعية بقضية فلسطين، وتلقينها للأجيال في المدارس والجامعات.

٤- الوقوف موقفا حازما من الأشخاص والمؤسسات المتصهينة، والداعمة للكيان الغاصب.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

لا عجب أن تتعرّض الأمة الإسلامية لحملة صهيوصليبية شرسة من الخارج وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم «لتجدن أشد الناس عداوة للذين امنو االيهود والذين أشركوا» لكن العجب العجاب من الخيانات التي تتعرض لها الأمة من الداخل، فهي سلاح الصهيونية الفتاك وأخبث أساليبها في نشر جراثيمها، فهي مستترة خلف شعارات ومفاهيم محرفة خدعت جزءا كبيرا من الشعوب الإسلامية وغررت بأجيال كاملة وفتنت الشيب والشباب، «ولعل مرحلة السيرة النبوية، مرحلة القدوة، وما حملت لنا من أخبار يهود، في مواجهة الدعوة منذ مراحلها الأولى، والكيد لها بعد أن جاء النبي الذي كان اليهود الذي يستفتحون به، من العرب، أو من غير الشعب المختار، والصورة المجسدة للتعامل بأشكاله المتعددة، من المجادلة بالتي هي أحسن، إلى الدعوة إلى كلمة سواء ولحوار، إلى المشاركة في وثيقة المدينة، إلى المعاهدات مع القبائل اليهودية، من بني قريظة، والنضير، وقينقاع، إلى المباهلة بعد العجز عن الوصول إلى الاتفاق، إلى المواجهة العسكرية، إلى التسلل إلى الصف الإسلامي من خلال صناعة النفاق والمنافقين، والتآمر، والكيد، والتشكيك في العقيدة، وسؤال النبي ﷺ عن بعض القضايا للإحراج، ومن ثمّ استقرار الحكم الشرعي، والفعل الإسلامي مع ذلك بقبول اليهود كمواطنين معاهدين في المجتمع الإسلامي في كلّ حقب التاريخ المختلفة، من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق، إلى الأندلس، يعطي المسلم تجربة غنية، ورؤية واضحة لكل الأبعاد المطلوبة للتعامل مع يهود، وأن

المسلمين كلما تحققوا بالرؤية القرآنية، واعتبروا بالواقع العملي في السيرة النبوية، كانوا الأقدر على إعطاء حقوق يهود، والحذر من مكرهم وخداعهم، وكلما ابتعدوا عن الرؤية القرآنية، والعبرة التاريخية، أو غفلوا عن أسلحتهم وأمتعتهم، وقعوا في حبائل يهود بشكل أو بآخر»[1].

نتائج البحث:

• المشهور من المصطلحات المعبّرة عن العلاقات العربية الصهيونية مصطلح التطبيع، بما يحمله من دلالة تحويل ال الشاذ إلى طبيعي، وجعل التعاطي مع الكيان الصهيوني طبيعيا مسموحا، لكن مصطلح التصهين يحمل دلالات أخصّ فهو يومئ إلى لبس رداء الصهيونية، والتعامل معها، والعمالة لها، والدفاع عنها مهما كانت تجاوزاتها.

• حملت مسيرة التصهين العربي الخزي والعار للأجيال، فقد تسارع أصحاب المصالح من الزعماء والملوك إلى تقديم الخدمات لبريطانيا، رجاء تمكينهم من الحكم، وتثبيته، وتطلّب إرضاؤها التسامح مع الصهاينة الذين هيّأت لهم المقام في أرض العروبة والإسلام.

• تناغمت وتيرة التصهين العربي في مختلف مجالاتها مع الاتفاقيات التطبيعية التي عقدتها مصر والأردن والسلطة الفلسطينية مع إسرائيل، فبفضل هذه الاتفاقيات خرج التعامل السري إلى العلن، وزادت امتيازات «إسرائيل» بدرجة لم تكن تحلم بها.

(١) اليهود والتحالف مع الأقوياء، من مقدمة عمر عبيد حسنة، ص١٨.

● يسعى الكيان الصهيوني باستمرار لكسب الأبواق العربية في تثبيت وجوده في المنطقة، ودعم مخططاته، ويستخدم في سبيل ذلك بالدرجة الأولى الإغراء المادي، والتغلغل الثقافي، والرعاية الإعلامية الدعائية.

● يبرع المتصهينون العرب في إثارة الشبهات، ورفع الحجج الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية تبريرا لما هم عليه من عمالة ونذالة، ولكنها شبهات تتساقط مع أول نقاش فكري، واعٍ، واقعي.

● تتسارع مع التطبيع المعلن وتيرة التنازلات العربية للكيان الصهيوني بواقع يدق ناقوس الخطر، خوفا على مستقبل الأمة من الضياع والتشتت أكثر مما هي مشتتة، والتمكين لهذا الكيان المزروع في جسدها من إحكام السيطرة على الأرض والشعوب.

● لابد في مواجهة تيار التصهين الجارف من الصمود بالمقاومة، وتحقيق المناعة الدينية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والفكرية، والتعليمية والإعلامية بنفس متجدد، وبقوة متزايدة حماية للأمة في هذا الظرف الصعب الذي تمرّ به، ولا أدلّ على بقاء الخير فيها من نماذج الجهاد والنضال والمناهضة للتطبيع مهما كانت المغريات.

التوصيات:

تضعنا هذه الدراسة أمام مسئولية التبليغ والتوجيه، فقد بلّغنا من خلالها ما استطعنا بخصوص الوضع ومآلاته، ومخارجه، ويجدر بنا التوجيه والتوصية في ختامه بجملة من الإجراءات على رأسها:

• تفريغ ثلّة من الباحثين والمفكرين للتخصص في رصد الحراك الصهيوني، وتتبع خطواته، وتشريح حقيقته تأليفا، وتدريسا، وتنشيطا للمحافل العلمية.

• تجديد الخطاب المتعلق بالصهيونية ببيان ثوبها الجديد في عهد الدعوة إلى السلام، وعدم الاكتفاء بالوعظ والتحذير جنوحا نحو كشف فضائحها، وسمومها، واستنطاق العارفين بخباياها.

• الاهتمام المتواصل بظاهرة التصهين العربي، فهي خطر متعاظم ينفخ فيه الصهاينة، ويجسده العرب في مختلف المجالات.

• تعرية الشبهات المضللة دفاعا عن الوجود الصهيوني في المنطقة.

• تتبع الأقلام المأجورة، والكتابة عنها، ونقد أفكارها، والتشهير بها تحذيرا من سمومها.

• تجنيد وسائل الإعلام المختلفة لرفع كلمة الحق، وموقف الصدق والعدل في مقابل الصفقات والتحالفات العربية الصهيونية التي تجري في السر والعلن.

• رعاية المناهج التعليمية قدر المستطاع، وحفظ عقول الأجيال الصاعدة بتقديم تعليم حضاري، نابع من صميم ثوابت الأمة.

* * *

فهرس المراجع

١ - **أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة**، د.نواف هايل تكروري، دار الشهاب، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢ - **اختراق العقل المصري**: **دراسة ووثائق**، رفعت سيد أحمد، دار التوني للطباعة والنشر، القاهرة، يناير ١٩٨٦م.

٣ - **الاتصالات السرية العربية -الإسرائيلية**: **١٩١٨-١٩٩٣**، أمين مصطفى، دار الوسيلة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٤ - **اتفاق أوسلو وتداعياته**، منير شفيق، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥ - **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**: **دراسة مقارنة**، وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.

٦ - **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**، روجيه غارودي، تقديم: محمد حسنين هيكل، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢م.

٧ - **أصدقاء إسرائيل في مصر**: دراسة عن الشخصيات العامة المصرية المتعاونة مع الكيان الصهيوني، محمود عبده، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ١٤٣٣هـ

٨ - **الأصولية الإنجيلية**: **نشأتها وغايتها وطرق مقاومتها**، صالح بن عبدالله الهذلول، دار المسلم، الرياض، دون تاريخ.

٩ - **الأيديولوجية الصهيونية**، عبد الوهاب المسيري، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر ١٩٨٢م.

١٠ - **بروتوكولات حكماء صهيون**، عجاج نويهض، دار طلاس، دون تاريخ.

١١ - **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى- الإسرائيلي**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٢ - **بيع الأوطان بالمزاد العلني**، عبد الله الصالح العثيمين، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٣ - **بين العقيدة والقيادة**، محمود شيت خطاب، دار الفكر، المكتبة اللبنانية، بيروت، دون تاريخ.

١٤ - **تاريخ الاستيطان اليهودي في فلسطين**، الأكاديمية القومية الإسرائيلية للعلوم، مؤسسة بيالك، القدس، ١٩٨٩م.

١٥ - **التطبيع**: **استراتيجية الاختراق الصهيوني**، غسان حمدان، دار الأمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٦ - **التطبيع والمطبعون**: **العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٧٩-٢٠١١)**، د.رفعت سيد أحمد، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

١٧ - **تفاصيل الاختراق الإسرائيلي للعقل المصري**، د.رفعت سيد أحمد، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٨ - **الجهاد في الإسلام**: **كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟**، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

١٩ - **حصاد الغرور**، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٢٠ - **الدراسات العربية والإسلامية في أوربا**، ميشال جحا، بيروت، ١٩٨٢م.

٢١ - **درس النكبة الثانية**: **لماذا انهزمنا.. وكيف ننتصر**، د. يوسف القرضاوي، ١٩٩٣م.

٢٢ - **دولة اليهود**، تيودور هرتزل، دون مترجم، دون تاريخ.

٢٣ - **سِفر التاريخ اليهودي: اليهود..تاريخهم، عقائدهم، فرقهم.. الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية**، رجا عبد الحميد عرابي، الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

٢٤ - **السلام الضائع في كامب ديفيد**، محمد إبراهيم كامل، طبعة كتاب الأهالي، يناير، ١٩٨٧م.

٢٥ - **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢٦ - **السيرة النبوية لابن هشام**، تعليق: عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

٢٧ - **الشرق أوسط الجديد**، شيمون بيريز، نسخة مترجمة لشبكة الآلوكة، ١٩٩٣م.

٢٨ - **صحيح مسلم شرح النووي**، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٢٩ - **الصهيونية العالمية**، عباس محمود العقاد، دار المعارف، مصر، دون تاريخ.

٣٠ - **الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي**، ريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، ديسمبر١٩٨٥م.

٣١ - **الصهيونية المسيحية**، محمد السماك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م.

٣٢ - **فقه الزكاة**، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م.

٣٣ - **القاموس السياسي**، أحمد عطية الله، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م.

٣٤ - **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

٣٥ - **علماء وجواسيس**: **التغلغل الأمريكي - الإسرائيلي في مصر**، رفعت سيد أحمد، رضا الريس للكتب والنشر.

٣٦ - **لسان العرب**، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

٣٧ - **لعبة الفن والسياسة** (**مذكرات الفنان إيهاب نافع**)، إعداد أيمن الصياد، دار الوجاهة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٨ - **المبسوط**، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٩م.

٣٩ - **المجموع شرح المهذب**، محي الدين بن شرف النووي، دار الفكر، دون تاريخ.

٤٠ - **المخططات التلمودية اليهودية-الصهيونية**، أنور الجندي، دار الاعتصام، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٤١ - **المدخل إلى القانون الدولي العام وقت السلم**، محمد عزيز شكري، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م.

٤٢ - **المدونة الكبرى**، مالك بن أنس، مطبعة السعادة مصر، ١٣٢٥ه.

٤٣ - **مذكرات ديفيد بن سلطان**، ترجمة عمرو زكرياء، دار ابن لقمان، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٤٤ - **مذكراتي السياسية** (**١٨٩١-١٩٠٨م**)، لعبدالحميد الثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م

٤٥ - **مسار المفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، دون تاريخ.

٤٦ - **مسند الروياني**، أبو بكر محمد بن هارون الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ه.

٤٧ - **المفاوضات العربية الإسرائيلية**، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٤٨ - **المغني**، ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٩ - **مكائد يهودية عبر التاريخ**، محمد حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٨٢م.

٥٠ - **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٥١ - **نصوص ووثائق معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٢ - **النكبة**: **نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود**، عارف العارف، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٥٦م.

٥٣ - **اليهود في القرآن**، **عفيف عبد الفتاح طبارة**، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، ١٩٨٤.

٥٤ - **اليهود والتعامل مع الأقوياء**، د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، كتاب الأمة رقم ٣٢، قطر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

الرسائل العلمية:

٥٥ - **اتفاقية كامب ديفيد الإسرائيلية - المصرية وأثرها على القضية الفلسطينية (١٩٧٨-١٩٩٣)**، زياد خضر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٢م.

٥٦ - **الإرهاب الصهيوني في فلسطين (١٩٤٨-١٩٧٣م)**، منصور معاضة سعد العمري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠٠٦م.

المؤتمرات والدراسات:

٥٧ - **اتفاق أوسلو**: **التداعيات الكارثية على القضية الفلسطينية**، أسامة يوسف، موقع العربي الجديد، ٣٠ سبتمبر ٢٠١٧.

٥٨ - **الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية**، محسن عوض، مركز دراسات الوحدة العربية، مايو ١٩٨٨م.

٥٩ - **المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين**، الكتاب السنوي السابع، ١٨٩٧م.

٦٠ - **أساليب الصهيونية في نشر مخططاتها وتورط حكومات العالم الإسلامي**، محمد بن أبي عامر، موقع تبيان لصنع الوعي، بتاريخ ٣٠/ ٠٨/ ٢٠١٧م.

٦١ - **الألعاب الرياضية والعلاقات الدولية**، محمد السيد سليم، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

٦٢ - **الصهيونية العربية**، هاني جودة، من كتاب كشف مكيدة الصهيونية العالمية، مقال في موقع دنيا الوطن، ٢٩/ ٠٧/ ٢٠١٢.

٦٣ - **فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين**، ١٩٨٩م.

٦٤ - **يوميات هرتزل ترجمة هلدا شعبان**، **منظمة التحرير الفلسطينية**، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٨م.

المجلات والجرائد والمواقع الالكترونية:

٦٥ - **الاختراق الصهيوني للأزهر**، مجلة السنة، العدد ١١١، رمضان ١٤٢٢هـ

٦٦ - **أساليب الصهيونية في نشر مخططاتها وتورّط حكومات العالم الإسلامي**، محمد بن أبي عامر، موقع تبيان لنشر الوعي، ٣٠/ ٠٨/ ٢٠١٧م.

٦٧ - **التحديات الشرق أوسطية الجديدة والوطن العربي**، مناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، مارس، ١٩٩٤م.

٦٨ - **التطبيع الثقافي**: **التعريف**، **المخاطر**، **القانون**، **المعايير**، **الذرائع**، **المسؤولية**، سماح إدريس، موقع الآداب، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٧، على الرابط: www.al-adab.com

٦٩ - **التطبيع الرقمي**: **كيف توظف إسرائيل تويتر وفيسبوك لخدمتها**، مي خلف، الخليج أونلاين.

٧٠ - **حتى لا ننسى**: **ملف عن المجازر الصهيونية**، شبكة فلسطين للحوار، ٤/ ٥/ ٢٠١٤م.

٧١ - **الرياضة نافذة مغلقة أمام التطبيع طيلة ثلاثة عقود**، محمد خيري، موقع إسلام أون لاين، ٢٣/ ٠٣/ ٢٠٠٩م.

٧٢ - **الصهاينة في الملاعب المصرية**، صحيفة مصر الفتاة، ٥/ ٣/ ١٩٩٥.

٧٣ - **الصهيونية العربية**، عبد العزيز مصطفى كامل، موقع طريق الإسلام، على الرابط: https://ar.islamway.net/article/73685

٧٤ - **الصهيونيون العرب**.. **خيانة وشطرنج**، محمد بيوض، جويلية ٢٠١٧، على الرابط http://mohammedbayoud.blogspot.com

٧٥ - **العرب والصهيوية**: **١٨٨٢- ١٩١٤**، د. إلياس شوفاني، موقع عرب ٤٨، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٩.

٧٦ - **مجازر الصهيونية**، د. كرمة سامي، جريدة الأهرام المصرية، العدد ٤٥٧٨٢، ١١أبريل ٢٠١٢م.

٧٧ - **مراحل التصهين العربي**، زياد العاني، موقع (ساحة التحرير)، ١٧/ ١٢/ ٢٠١٧.

٧٨ - **معركة حربية بين مصر وإسرائيل في استاد كرة بهولندا**، صحيفة العربي، ١٢/ ١١/ ١٩٩٦م.

٧٩ - **معلومات قد لا تعرفها عن الاقتصاد الإسرائيلي**، أشرف إبراهيم، موقع (ساسة بوست) بتاريخ:٧/ ٠٨/ ٢٠١٦ على الرابط: https://www.sasapost.com/14-information-may-not-know-about-the-israeli-economy

٨٠ - **موجة التصهين العربي، وائل عوّاد**، مجلة إضاءات الالكترونية، بتاريخ ١٠/ ٠٦/ ٢٠١٦م، على الرابط:www.ida2at.com

٨١ - **موضوعات في التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني**، موقع الصوت العربي الحرّ، ٢/ ١٠/ ٢٠١٣م، على الرابط: http://www.freearabvoice.org

٨٢ - **هل يمكن أن يشهد الشرق الأوسط تحالفا سعوديا إسرائيليا**؟، روسيو فاسكيز، جامعة مدريد المستقلة، ترجمة:موقع نون بوست، ١٤/ ٠٢/ ٢٠١.

٨٣ - **٢٣ عاما من التطبيع الاقتصادي**: **تاريخ مختصر للعلاقات الاقتصادية بين الأردن و «إسرائيل»**، هنادي قواسمي، ٢٠/ ٤/ ٢٠١٧، موقع (حبر) على الرابط: https://www.7iber.com/politics-economics

٨٤ - **بوابة الشرق الالكترونية**، بتاريخ ٢٠/ ٠٥/ ٢٠١٨، على الرابط: https://www.al-sharq.com/article/20/05/2018

٨٥ - **شئون فلسطينية**، العددان ١٥٨-١٥٩

٨٦ - **مجلة الأمة**، العدد ٥٨، ١٩٨٥م.

٨٧ - **جريدة الأهرام**، ٧/ ٥/ ١٩٧٩م.

٨٨ - **جريدة الخليج**، ٢١/ ٠٣/ ١٩٩١م.

٨٩ - **صحيفة الراية**، ٢٦جمادى الأولى١٤١٥هـ الموافق ١/ ١١/ ١٩٩٤م، العدد ١١٨ .

٩٠ - **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ١١٥٦، ٦صفر ١٤١٦، الموافق ٤/ ٧/ ١٩٩٥م.

٩١ - **مجلة الدراسات الفلسطينية**، عدد ٢، خريف ١٩٩٤م.

٩٢ - **مجلة قضايا دولية**، العدد ٨٤، السنة٢، بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٩١م.

❊ ❊ ❊

فهرس الآيات القرآنية

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	**رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

* * *

حالة التصهين العربي

واقع الانتهاك ومآلات التغيير

دراسة فكرية شرعية

إنّ قضية فلسطين هي قضية كلّ المسلمين، وهي تتجدّد وتقوى كلما زاد الطمع فيها، والتآمر عليها، والاعتداء على شعبها، والتخطيط للاستيلاء عليها، وهي قضية مستمرة وحية مادامت الصهيونية قائمة بين ظهرانينا، ومادام في العالم من يساندها، ويدعّمها من الشرق والغرب، بل ومادام فينا من يناصرها، ويعلن الولاء لها من (المتصهينين العرب) الذين يسعون لإطفاء جذوة الأمل في استعادتها، ويتسارعون في جعل الكيان الصهيوني دولة معترفا بها، وطرفا تُعقد معه الصفقات، وتحاك معه المكائد والمؤامرات ليس ضد فلسطين وأهلها فحسب بل ضد كل الأمة.

ينال موضوع (التصهين العربي) أهميةً خاصّةً؛ لتعلّقه بقضية تهم جميع المسلمين على مرّ العصور، وهي قضية فلسطين، ومستقبل الصراع فيها، ولتجدّده مع كلّ خطوةٍ وقرارٍ يصدر عن الصهاينة، ويصفّقُ له المتصهينون من أشياعِهم، وتعودُ هذه الأهميّةُ بالدرجةِ الأولى إلى:

❖ الوضع الخطير للأمة، وتخلي معظم الأنظمة العربية عن قضية فلسطين، أو التراخي الغادر في شأنها.

❖ الدور المدمر والخطير الذي يلعبه تيار "التصهين" في تمكين اليهود من فلسطين، ووضع أيديهم على مقدساتها.

❖ التذكيرُ بالواجب المنوط بالغيورين على ثوابت الأمّة، ومقدّساتها إزاء هذا التيار الجارفِ لضعاف النفوس، ومرضى القلوب.

وإسهاماً منّا في تعرية هذا التيار المتآمر، آثرنا الخوض في غمار البحث في ظاهرة (التصهين) من معظم جوانبها، وعبر المؤكّد من مظاهرها، والمتوقّع من مآلاتها، مع بعض التفصيل في سبل مقاومتها، فكان موضوع بحثنا: (حالة التصهين العربي .. واقع الانتهاك ومآلات التغيير ـ دراسة فكرية شرعية).

mst.online.manager@gmail.com
muntadaalulama
https://www.youtube.com/MuntadaAlulama
mst-online.com
muntada.ulama.2015
https://t.me/MuntadaAlulama